قُرَّة العين
(الطاهرة)

والبـابيـة

دراسة تاريخية موثقة

تأليف وتحقيق
سيفي سيفي النعيمي
2001م

حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إعتـذار	
المـقـدمـة	7
1 - الفصل الأول	
ما كتبه بعض المستشرقين عن إيران	
في القرن التاسع عشر	15
2 - الفصل الثاني	
ما كتبه بعض المستشرقين عن البابيـة	27
3 - الفصل الثالث	
ما كتبه بعض المستشرقين عن شخصية البـاب	53
4 - الفصل الرابع	
نبذة مختصرة عن البابيـة	81
5 - الفصل الخامس	
قرّة العين (الطاهرة) في سطور	97
6 - الفصل السادس	
اعتناق قـرّة العين للبابيـة	107
7 - الفصل السابع	
الأحداث في العـراق والخروج منه	129
الأحداث في بغداد	136
في الطريق الى كرمنشاه	139
في همدان	142
8 - الفصل الثامن	
الأحـداث في قزويـــن	147
9 - الفصل التاسع	
مؤتـمـر بـدشـــت	171
10 - الفصل العاشر	
الأحـــداث في طهـــران	197

11 الموضوع **الصفحة**

- الفصل الحادي عشر
مـقتـل قـرّة العين (الطـاهــرة) 217
12 - الفصل الثاني عشر
مـذابـح البـــابـيـيـــن 247
13 - الملحق الأول
من كتابات البـــاب بخصوص الطـاهــرة 269
14 - الملحق الثاني
من كتابات الطاهــرة المختلفــة 275
15 - الملحق الثالث
رسالة محمد مصطفى البغدادي (الرسالة التسع عشرية)299
16 - الملحق الرابع
من كتاب (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) 325
17 - الملحق الخامس
نبذة مختصرة عن البهائية 365
18 - الملحق السادس
مقتطفــات من أشــعار قـرّة العيـن 381
* مصادر الكتاب 384

إعتذار

من المؤسف خلو غالبية المصادر التي وقعت تحت يدي لفحوى المناقشات العديدة التي تمت بين "قرّة العين" وبين رجال الدين، سواء أكان ذلك في العراق أو في ايران. ومن المحتمل وجود مثل هذه المناقشات مدونة هنا أو هناك في بطون الكتب الفارسية أو العربية التي لم استطع الحصول عليها لأسباب مختلفة. لذلك استميح القارئ عذراً عن هذا النقص الواضح عسى ان يسد غيري من الباحثين وكتّاب المستقبل هذا الفراغ، ممن يودون الكتابة بمزيد من التفصيل عن هذه الشخصية الفريدة.

ان ما دعت اليه قرّة العين ليس أفكارها الشخصية، فهي لم تكن مؤسسة الفكر البابي، بل واحدة من أتباعه، فلقد كانت تدعو لفكر سيدها علي محمد الباب. فعلى من يود الاستزادة من أفكارها، العودة الى كتابات الباب أو بهاءالله أو عبد البهاء، باعتبار أن الديانة البهائية هي امتداد للدين البابي.

كما اعتذر عما يلاحظه القارئ الكريم من تذبذب في اسلوب سرد النصوص، وذلك لقدم اسلوب المخطوطات وتراجمها في بعض الأحيان.

المؤلف
سيفي سيفي النعيمي

حقوق الطبع محفوظة للكاتب
Sayfee2@yahoo.com

الناشر
مؤسسة مطبوعات مرآة – نيو دلهي
MIRAT@NDE.VSNL.NET.IN

المقدمة

كُتب الكثير عن شخصية قرّة العين (الطاهرة) التي تبوأت مكانة مرموقة بين بنات جنسها في إيران في خلال منتصف القرن التاسع عشر والتي ضحّت بحياتها من أجل تحريرهن، وبقيت ذكراها تزداد تألقاً يوماً بعد يوم حتى أصبح لها شأن كبير بين الشخصيات الثائرة الحديثة واسم مرموق بين الشاعرات الموهوبات، يعرفها كل متتبع للنتاجات الأدبية والشعرية الرفيعة وصارت رمزاً لأول امرأة شرقية طالبت بتحرير بنات جنسها ليس في الشرق فحسب بل في العالم أجمع.

عبر التاريخ البشري الذي سيطر عليه النظام الأبوي، كانت القاعدة أن يتولى الرجل مقاليد الحكم، وكان الاستثناء أن تبرز امرأة تقوم بما يقوم به الرجال الذين يديرون الأمور ويوجهون ويقودون. ولكن ذلك لم يمنع من ظهور نساء اشتهرن في ميادين مختلفة. فهناك نساء ملكن أقوامهن مثل زنوبيا وبلقيس على سبيل المثال لا الحصر، وهناك نساء اشتهرن بحفظهن للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وهناك من تحولن الى زاهدات متصوفات كرابعة العدوية، ومن اشتهرن بالشجاعة في ساحات المعارك مثل خولة بنت الأزور، ومن عرفن بصبرهن ورباطة الجأش نتيجة إيمانهن الصادق بالدين كالخنساء. وفي أكثر من مرة، يتباهى التاريخ العربي والاسلامي ببعضهن في محاولات للتأكيد على احترام الدين الاسلامي للمرأة ويمنحها الفرصة كما يمنح الرجال.

كل هذا مقبول وموضع افتخار ما دامت الحالة مستقرة، أي ما دامت المرأة لم تخرج على فلسفة المجتمع السائدة من حيث الجوهر، وما دامت المصالح غير معرضة لأضرار فكرية – كما يتصور أصحاب الفكر السائد – أو أضرار مادية تهدد وجود

الخطأ وتنذر بتصحيحه. فاذا حدث غير هذا، يختار الرجل لكل مقام مقال.. وما أسهل الطعن في قدرات المرأة العقلية باعتبارها ناقصة عقل كما يصورون، وما أسهل إثارة الشكوك في أية علاقة بينها وبين أي رجل مهما كان عالما فاضلا، وإذا اشتد الأمر، فليس هناك أرخص من الطعن بها وقذفها... هكذا يبرر ولاة الأمر عدم جواز منح المرأة درجة الاجتهاد مثلا حتى ولو بلغت أعلى مراتبها، لأن المرأة كما يقولون: عورة كلها، صوتها، جسمها بل ورأيها وهذا هو المراد.

فكيف بامرأة نشأت في عائلة متدينة، درست علوم الدين وحفظت الكثير واستمعت الى محاضرات أبيها الدينية والفقهية من وراء ستار، وجمعت الى كل ذلك ذكاء حاداً يرفض قبول الأشياء كما تقال، ووجدت في نفسها قدرة على التعبير عن صواب رأيها وتسجيل ملاحظاتها. لكن العيب أو المعوق، إنها إمرأة، حتى قال أبوها عنها أكثر من مرة: كم تمنيت لو كانت ولداً! لأنهم في مثل هذه الأمور يتساهلون فيها مع الذكور، اما الأناث، فلا مناص من محاربتهن واستغلال كل ما يوفره المجتمع لاستغلالهن.

من المناسب اقتباس فقرة لتقرير كتب في المجلة الآسيوية سنة 1892م صدر بعد ظهور البابية وقرّة العين بحوالي خمسين عاما، يشرح وضعية الأحوال الاجتماعية السائدة في ايران آنذاك وصعوبة التبشير بالديانة المسيحية وعدم تقبلها، وكيف يشعر الكاتب (المبشر) باليأس من انتشار ديانة معترف بها بين الشعب الايراني. فاذا كان هذا حال المبشرين بالأديان السماوية المعروفة، فكيف بمن يدعو الى أمر جديد غير معروف!؟

(ان أمواج المجهود التبشيري تضرب عبثا على حائط الاسلام الصخري الذي لا يهدم حيث انه نظام شامل لكل ناحية وموافق لطقوس وعوائد وأعمال سكان تلك البلاد التي وضع يده الحديدية عليها. وأتباعه يخضعون لنظامه مأسورين من المهد الى اللحد،

فهو لهم ليس دينا فقط، بل حكومة وفلسفة وعلما ايضا. والفكرة الاسلامية ترمي الى حكومة دينية وليس الى دين حكومي. والروابط التي ينهض بها المجتمع الاسلامي ليست مدنية بل هي دينية وقد يكتفي بهذا الدين السامي، المفلوج المسلم الذي يعيش قانعا متنازلا عن كل إرادة معتقدا في القدر ومعتبرا أعظم شيء في الحياة هو عبادة الله ويجبر عليها غيره، وإذا لم يمكنه ذلك يحتقر كل من لا يعبده بروحه ثم يموت وهو مؤمل في دخول الجنة. وما دام هذا القانون الشامل الملتهم لجميع نواحي الحياة مستوليا على الشرقيين الذين يعتنقونه ومفصلا لأحكام كل شيء متعلق بهذه الحياة ومؤملا في حياة ونجاة وسعادة بعد الموت، فان أعمال المبشرين وصرفهم الأموال الطائلة ونكران ذواتهم يصبح بدون أي فائدة بل هو من العبث بمكان. وكل محاولة دعائية هي في نظري أسوأ أعمال السياسات التي يمكن للمبشرين ان يتخذوها في مملكة متعصبة).

كان من الضروري إلقاء نظرة جديدة على هذا الموضوع من جانب جديد، فاختلاف زوايا الرؤية يعطي أبعاداً مختلفة للموضوع تمكن الباحث من ادراك الحقيقة بشكل مميز. خاصة وإن غالبية الكتب المنشورة عن هذه السيدة تأخذ منحى متقارباً هو التهجم عليها.

اشتهرت عائلة الطاهرة بعراقة نسبها وتعمقها في الديانة الإسلامية، فوالدها عالم ومجتهد إسلامي له مكانة كبيرة بين أهل مدينته، وعمها إضافة الى انه كان كبير مجتهدي مدينة قزوين، فهو إمام الجمعة فيها[1]. وكان زوجها أيضاً يحمل درجة مجتهد،

1 كانت أسرة الحاج ملا صالح البارقاني من أشهر أسر قزوين ومن أكبرها، بسبب ما كان يشغله أفرادها من الوظائف والمراكز العالية في هيئة العلماء ولشهرتها في العلوم والمعارف، وكان لوالدها أخاً يدعى ملا محمد تقي بارقاني تسمى بعد موته بالشهيد الثالث (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 263-267).

خَلَفَ والده في إمامة الجمعة لنفس المدينة ودرس الإسلام والفقه في مدينة قم وقزوين ثم في كربلاء بالعراق حيث كانت زوجته بصحبته تشاركه دراسته. ثم حل مكان والده فيما بعد في قيادته الدينية لمدينة قزوين.

من خلال هذا يمكن القول ان هذه المرأة سليلة بيت أظله الفكر الإسلامي وسادت أوقاته ولياليه المناقشات الدينية والعلمية والفلسفية، مما أكسبها خلفية فكرية واسعة في الدين. ولأنها كانت شابة خارقة الذكاء، فقد نبغت وفاقت جميع أهل مدينتها حتى رجال الدين فيها، وخلال دراستها أمور الدين مع زوجها في كربلاء، فاقت جميع الطلاب المشاركين معها وتفوقت عليهم، إلا انهم منعوا عنها درجة الاجتهاد لاقتصار مثل هذه الدرجة على الرجال فقط.

كان والدها أول مدرّس لها في طفولتها، وعندما أدرك انها تحتاج الى وقت أكثر لتعليمها، عيّن مدرسا خاصا لها. وخلال أيام صباها، تلقت قرّة العين دروسها وتعليمها في الحوزة العلمية التي يدرّس فيها والدها وهي جالسة في غرفة منعزلة تفصلها ستارة كثيفة مسدلة على شباك الغرفة. ولم يكن يعلم أحد بوجودها هناك الا والدها، حيث اشترط عليها الصمت التام، فلم يكن يُسمح للمرأة بالظهور او الكلام أمام الغرباء من الرجال في ذلك الزمان، بل لم يكن يسمح لهن بالمشاركة في النقاشات التي كانت تدور في مجالس العلم والمحاضرات العامة ورفع أصواتهن بين مسامع الرجال، مما دفع بها الى مناقشة أفكارها في بيتها مع والدها وعمها وزوجها وأخوتها. إضافة الى ذلك، كانت الطاهرة مولعة بالقراءة والثقافة، فقرأت كل ما عثرت عليه في مكتبة والدها وعمها وأقاربها، مما خلق لديها أفكاراً جديدة مخالفة لبعض أفكار والدها وعمها، فكانت تلك بذرة الخلاف بينهم، ومع مرور الوقت كبرت هذه البذرة لتصبح شجرة أثمرت بمشاكل عقيمة أدت في

النهاية الى ظهور الاختلاف والفرقة والكراهية الشديدة بين الطاهرة من جهة وبين بقية أفراد عائلتها من جهة أخرى.

ان غالبية الذين كتبوا عن الطاهرة في العالم الإسلامي وخاصة في إيران والعراق كانوا ضد أفكارها ومبادئها ولم ينصفوها حقها، والسبب الرئيس في هذه المخالفة هو تحولها عن الديانة الإسلامية واعتناقها ديانة أخرى جديدة ظهرت في زمانها هي الديانة البابية وكانت من أوائل المؤمنين بها وبمؤسسها (الباب). فحاول كل من عرفها ثنيها عن هدفها، فسجنها والدها وضربها عمها وتوسل اليها زوجها وهجرها وناقشها وحاججها كثير من العلماء، الا انها ابتعدت عن الجميع مفضلة إيمانها بدينها الجديد على كل هذه الصلات، وبقيت متمسكة بمبادئها حتى حكم عليها علماء الدين المسلمين بالكفر، فقتلت خنقاً سنة 1852م ورمي جسدها في بئر مهجورة في حديقة ايلخاني قرب طهران. واعتقد من شارك في قتلها انهم سيطفئون نور اسمها الى الأبد، ولكن الذي حدث هو أن المثقفون صاروا يتسابقون لمعرفة حقيقة أحوالها وسماع كل جديد عنها، وأدرك العديدون ان أول من طالبت من النساء بحقوق المرأة وتحريرها لم تكن من نساء الغرب ولم تكن المتظاهرات اللاتي خرجن في بداية القرن العشرين وهن يرفعن أصواتهن للمطالبة بحقوقهن؛ ولا العشرة آلاف امرأة اللاتي عقدن مؤتمرهن في شيكاغو سنة 1914م للمطالبة بحقوقهن ومساواتهن مع الرجال، بل كانت قرّة العين (الطاهرة)، أول من طالبت بحقوق بنات جنسها ودفعت حياتها ثمناً لذلك. وما أغرب المكان الذي خرجت منه! فلقد خرجت من بلاد موغلة في ظلمات تخلف القرن التاسع عشر، ألا وهي قلب الشرق القديم (ايران).

عانت قرّة العين – حتى بعد مقتلها - من سوء فهم موقفها وأفكارها ومبادئها ومن المشاكل والمصائب والبلايا والاضطهاد وتخلي الأهل والمقربين وكثرة الأعداء وجور المجتمع ورجال

الدين والدولة، ما يرفع أمام عيون الباحثين علامة استفهام كبيرة، لماذا حدث كل هذا لها؟ ولماذا هي بالذات وليس غيرها؟ لماذا يقترن السباب والشتم واللعن والطعن بالشرف[1] بهذه المرأة كلما ذكر أسمها دون غيرها؟ ماذا فعلت لتلقى كل ذلك؟ كيف استطاعت أن تجمع حولها المريدين؟ فلو كانت أنثى – بالمعنى التقليدي – تهتم بانوثتها وما يترتب على جمالها لانصرفت الى الحياة الهادئة الهنيئة بعيدا عن كل ذلك؟ ولكن لماذا فضلت أن تطلق زوجها او يطلقها، وفضلت أن تسجن سنوات وان تقطع المسافات الطويلة لتلتقي بأهل العلم بل ولتحاضر في الرجال والنساء وتكسب الكثير منهم الى جانب آرائها. لماذا، وكيف؟

لماذا اهتم الكثير بالكتابة الرخيصة عنها؟ فلو اطلعت على كتاباتهم لوليت فرارا. ولولا أنها امرأة ذات شأن لما كتب عنها أحد، فالمرء عندما يكون من سقط المتاع لا يهتم به أحد، ولن يستأذن اذا حضر ولا يفتقد اذا غاب.

إن في الأمر لسر غامض، وإلا لما كان كل هذا التحامل على شخصيتها كامرأة. لا بد أنها امتلكت ما أخاف الكثير من أصحاب المصالح من المتمسكين بسكونية المجتمع ومن المحتقرين لعقلية البشر، فمصالحهم اقتضت ذلك.

---

1 جرت العادة في البلدان الشرقية والاسلامية على الخصوص، ان كل من يريد النيل من اسم عائلة او إسقاطها في نظر المجتمع، ما عليه الا مهاجمة شرفها والطعن به. فمثل هذه التهم تلقى صدى كبيرا بين مجتمعات هذه البلدان. وبسبب الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع ولعلم الله المسبق بطبيعة أهل الشرق ومنزلة موضوع الشرف بينهم أنزل في محكم كتابه الكريم حكماً شديداً بهذا الخصوص ليوقف ويحد انتشاره (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم)(سورة النور 4) و (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا)(سورة النور 23). (المترجم).

فمن هي قرّة العين أو (الطاهرة)، وكيف استطاعت أن تقتحم التاريخ؟ أليست مثل هذه الشخصية جديرة بالتحقيق والدراسة؟

المؤلف

سيفي سيفي

الفصل الأول

ما كتبه بعض المستشرقون عن إيران

في القرن التاسع عشر

في محاولة لإعطاء صورة واضحة عن حياة قرّة العين (الطاهرة) والظروف الاجتماعية التي أحاطت بها، نجد لزاماً علينا توضيح صورة أحوال حياة بلاد إيران في ذلك الوقت حتى يطّلع القارئ على مقدار قوة هذه الشخصية وصلابتها في مواجهة شدة تيار التعصب الديني والاجتماعي في ذلك الوقت. لذلك نقتبس بعضا مما كتبه مستشرقون أو دبلوماسيون مروا بإيران او سكنوا فيها آنذاك، فمنهم من كان شاهد عيان ومنهم من سمع مباشرة من أفواه من عاش الأحداث، هذا بالاضافة الى ما كتبه بعض المؤلفين الآخرين.

كانت دولة إيران خلال منتصف القرن التاسع عشر، غارقة في بحار الجهل والتخلف وتردي الحالة الاقتصادية وانتشار الفقر والجهل والأمراض بين غالبية سكانها. ومن يقرأ ما كتب عنها يأسف كثيرا لحالتها المزرية من كل النواحي آنذاك، فلا علم ولا تقدم ولا صناعة ولا زراعة ولا رجال سياسة ولا دستور يحكم البلاد ولا سلطة تشريعية او تنفيذية، بل كانت كل السلطات مرتكزة بيد الشاهنشاه (الملك) او في يد رئيس الوزراء الذي كان يحكم البلاد كيف يشاء.

كتب المستشرق نقولاس في كتابه "السيد علي محمد الباب" المطبوع في باريس سنة 1908م، في وصف أحوال مدينة مشهد إحدى كبريات مدن إيران في ذلك الوقت، قال:-

"مشهد هي أكبر مدينة تزار في إيران وفيها جدث الامام الرضا، ولا أذكر المئات من المعجزات التي تنسب الى ذلك القبر المقدس وتحصل في كل يوم، ويكفي الإشارة الى انه في كل سنة يحضر للزيارة آلاف من الزوار لذلك المرقد. ولا يرجعون الى بيوتهم حتى يصرفوا آخر قرش على ما فيها من البضائع

والصنائع، ويجري فيها من أجل ذلك نهر من ذهب بلا انقطاع ويتناول هذه النقود الموظفون السعداء ولا يفتأون يعملون ألف حيلة وحيلة ليبقوا زبائنهم في شباكهم. ولذلك وجدت في هذه المدينة أعظم إدارة خدمات منظمة في إيران. فلو فرضنا وكان هناك نصف المدينة من الزوار فان النصف الآخر يقومون على خدمتهم والانتفاع منهم فيكون منهم أصحاب حانات ونزل وفنادق وسماسرة حتى البنات اللائى لا يجدن أزواجا يلجأن اليها للزواج".[1]

وكتبت "المجلة الآسيوية الملوكية" عن مدينة ماكو سنة 1889م:-

"هي بلاد رئيس الوزراء على الحدود في آذربايجان وقد برزت تلك المدينة من احتجابها خلال فترة حكم الوزير. وكثير من أهالي ماكو تبوأوا أعلى الوظائف في الحكومة بفضل انتمائهم الى الصدر الأعظم الحاج ميرزا أقاسي (رئيس وزراء ناصر الدين شاه).[2]

وعن حالة إيران بشكل عام وفشل جهود إرساليات التبشير المسيحية فيها، ورد في تقرير للمجلة الآسيوية سنة 1892:-

"وقد عالج المؤلف في نفس الفصل آمال المرسلين المسيحيين في إيران بقوله: ان إيران كانت معدودة من أحسن البلاد استعدادا لأعمال المبشرين في الشرق ورغما عما هو حاصل فيها من العمل المجيد من ممثلي الإرساليات الإنجليزية والفرنساوية والأمريكية في تلك المملكة وعن انتشار التعليم فيها ومظاهر توزيع الصدقات والمساعدات الطبية التي لا تكل ولا تمل، فاني لا

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحفة 258-259.
2 من المجلة الآسيوية 1866 جزء 7 صحيفة 356 حاشية نمرة 1.

أعتقد في حصول اضطراب يحصل فيه سفك الدماء مثل هذا في المستقبل (مذابح البابيين) وليس الغرض من قولي هذا تثبيط همم القائمين على هذه المساعدات الخيرية.

وتقف الاختلافات المذهبية الحاصلة في شيع المسيحيين أنفسهم حجر عثرة في سبيل المبشرين. وليس أبعد للمسلمين من دعوتهم للدخول في أحزاب مسيحية مختلفة قائمة على بعضها بالمحاربة والتخاذل. فالبروتستانت يتشاجرون مع الكاثوليك الرومان، والبرسبيتريان مع الابسبكوباليان، والنسطوريون البروتستانت لا ينظرون بعين طيبة الى النسطوريين العاديين، وهؤلاء ليسوا على وفاق مع الكلدانيين او النسطوريين الكاثوليك. وينظر الأرمن شزراً الى الأرمن الكاثوليك وهم يقومون معا على مهاجمة أعمال الإرساليات الأمريكية. وأخيرا يأتي اضطهاد اليهود وعداؤهم. ففي البلاد الشرقية التي سافرت فيها من سوريا الى اليابان شاهدت جموع المبشرين من الفرق المختلفة تقوم على محاربة بعضها البعض تحت راية رئيس السلام وبيدهم الأسلحة الساحقة لبعضهم البعض.

فاذا كان مقياس التبليغ المسيحي في إيران ما نعلمه من عدد المتنصرين من المسلمين، فإني لا أتأخر أن أقول ان المبالغ التي تصرف على ذلك القصد النبيل والعمل الذي تقوم به جماعة المبشرين والذي يضحونه في تلك الممالك لا يوازي النتيجة الحاصلة منه. نعم أحيانا يعمدون بعض الشبان من بين المسلمين بواسطة المرسلين المسيحيين ولكن ذلك لا يصح اعتباره تنصراً حقيقياً، لأن المُعمَدين سرعان ما يعودون الى دين آبائهم، واني في شك من انه منذ اليوم الذي هبط فيه هنري مارتن أرض إيران، لم يزد عدد الذين اعتنقوا المسيحية اعتناقا صادقا على ستة أنفار، وكنت دائما أبحث عن مسلم تنصر ولكني لم أجده (اذا استثنينا بالطبع هؤلاء المنبوذين او اليتامى الذين تربوا من صغرهم على

الديانة المسيحية في المدارس المسيحية) ولكني لم أستغرب على هذا الخسران والخيبة والعجز عن إتمام هذا العمل. فاذا فرضنا وطرحنا جانبا التقاليد الدينية وهي التثليث وألوهية المسيح وهي التي لا يستسيغها العقل الإسلامي بحال من الأحوال ولا تنطبق على نظريات التوحيد فلا يترك المسلم اعتقاده ما دام انه يعاقب على هذا الترك بالموت والإعدام. فما دامت هذه الموازين موجودة فلا ينتظر للمسلم التنصر بسهولة. والرأي الشخصي ولو انه عامل مهم الا انه ليس العامل الأساسي في الموضوع".[1]

وعن أحوال وتصرفات الملك محمد شاه ورئيس وزراء إيران ميرزا أقاسي في زمن قرّة العين، كتب ميرزا أبو الفضل في مذكراته:-

"قال هدايت في "مجمع الفصحاء" ان اسم الحاج ميرزا أقاسي هو عباس علي وكان نجل الميرزا مسلم أحد مشاهير علماء ايروان، وكان عباس علي تلميذا لفخر الدين عبد الصمد الهمداني إذ كان في كربلاء. ومن كربلاء سافر الى همدان وزار آذربايجان ومنها حج الى مكة ولما عاد كان في فقر مدقع، الا انه تمكن وهو في آذربايجان بعد عودته من تحسين حالته واشتغل بصفة معلم لأنجال ميرزا موسى خان أخ المرحوم ميرزا أبو القاسم القائمقام وبشر محمد ميرزا باعتلائه عرش المملكة، فأخلص له وعينه رئيساً لوزرائه ولما توفي الشاه سافر الحاج الى كربلاء وتوفي هناك في رمضان سنة 1265 هجرية".[2]

وكتب عنه أيضا في كتاب الحاج معين السلطنة صفحة 120:

---

1 المجلة الآسيوية صحيفة 504 - 509.

2 من مذكرات ميرزا أبو الفضل.

"ان الحاج ميرزا أقاسي ولد في باكو حيث كان يقيم والداه بعد سفرهم من ايروان في القوقاس. وكان الحاج ميرزا أقاسي أحد أهالي ايروان. وكان له تأثير عظيم على سيده الضعيف العقل حيث كان قبلا معلمه وكان يتبع الطريقة الصوفية وكان رجلا عجوزاً ذا شكل مضحك وله أنف طويل ويظهر من ملامحه انه فريد في أخلاقه معجب بذاته".[1]

وجاء أيضا في كتاب "الفلسفة في أواسط آسيا" للكونت دي جوبينو المطبوع في لندن سنة 1928م:-

"وكان الحاج مثالا فريدا من نوع خاص. ولم يعلم بالضبط ان كان يعتقد في نفسه ما يراه فيه محمد شاه وعلى العموم كان في اعتقاده موافقا لاعتقاد محمد شاه نفسه الذي طبعه في عقله. ولم يمنعه ذلك من ان يتمسخر، وكانت مسخرته منظمة وجزءاً من أعمال حياته اليومية الاعتيادية. وهو لا ينظر الى أي شيء بعين اليقين او الجد مبتدئا بنفسه. فكان يصف نفسه قائلا (إنني لست رئيسا للوزراء، فأنا شخص ملا عجوز لا استحقاق له ولا شهرة في مولده. وإذا كنت في المركز الذي أنا فيه فذلك بسبب إرادة الملك فقط). وكان يذكر هذه العبارة ويكررها دائما خصوصاً لمن كان يعاكسه وكان يخاطب أولاده بأولاد الكلب وأولاد الغجر وبهذه التسمية يسألهم عن أحوالهم او يرسل إليهم أوامره بواسطة ضباطه عندما يكونوا غائبين. وكانت مسرته في استعراض الخيالة الذين يجمعهم بملابسهم الفخمة تحت قيادة الخانات الرحل في إيران. وعندما تجتمع هؤلاء القبائل الحربية في الميدان يأتي الحاج كالشخص الفقير لابساً طرطوراً بسيطا ومعوجا وحاملا سيفا في وسط ردائه وراكبا جحشا صغيراً ثم يجمع أعوانه حوله ويعاملهم كأنهم مغفلين ويضحك على ملابسهم ويفهمهم انهم لا ينفعون

1 نقلا عن كتاب س. ر. ماركهام نظرة عامة في تاريخ إيران صحيفة 473.

لشيء ثم يعيدهم الى أماكنهم بعد ان يعطيهم هدايا، ذلك لأن طبيعته الهزلية كانت مخلوطة بالكرم".[1]

وكتب عنه ايضا المستر سايكس في كتابه "تاريخ ايران" المطبوع في لندن سنة 1915م:-

"ولم تكن حالة إيران مرضية لأن الحاج ميرزا أقاسي الذي كان حاكمها الحقيقي مدة 13 سنة كان جاهلا بالسياسة وبالحرب ولم يرض من تكبره ان يتعلم او ان يتعاون مع مستشار آخر من شدة حسده وكان وحشيا في لغته وقبيحا في أخلاقه وقذرا في عوائده وجعل المالية تشرف على الخراب والإفلاس واقتربت البلاد جميعها من السقوط في هاوية الثورة وتأخرت رواتب الجيش ثلاث او أربع سنوات وانعدم وجود الخيالة في الجيش. وعلى هذه الصفة كانت حالة إيران في وسط القرن التاسع عشر كما ذكرها رولسن في كلماته القيمة".[2]

ومن كتاب "نظرة عامة في تاريخ إيران" لكلمنت ماركهام المطبوع في لندن سنة 1874م:-

""وكانت جميع السلطة في قبضة يد الحاجي ميرزا أقاسي ذلك الوزير الكسول وكانت له السلطة التامة على الشاه وازدادت الإدارة سوءا في الممالك حتى جاع الأهالي وأصبحوا يلعنون الدولة القاجارية وكانت حالة البلاد والأقاليم محزنة للغاية. وكان ينفي كل من عنده قليل من الوطنية او التعقل وكان يجمع لنفسه الثروة في طهران بكل جد على حساب المملكة التعيسة ويبيع

1 من كتاب الفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 132-133.
2 من كتاب تاريخ إيران للمستر ب. م. سايكس الجزء الثاني صحيفة 439-440.

مراكز مديري الأقاليم لأكبر عطاء والذين يعينون بهذه الطريقة كانوا يظلمون الأهالي بطرق مخيفة".[1]

وكتب جوبينو عن كيفية سقوط رئيس الوزراء الايراني، قال:

"ان الحاجي ميرزا أقاسي طرد من سلطة كان قد أمضى بعضا من الوقت في التمسخر (السخرية) بها وعاد الى كربلاء وفيها قضى بقية عمره في عمل الألاعيب مع الملاوات في أيام ذكرى سيد الشهداء (الإمام الحسين بن علي)".[2]

وورد في "المجلة الآسيوية" بخصوص رئيس الوزراء ايضا:-

"وكان هذا الرجل الماكر قد اغتصب كل سلطة الملك المتوفى حتى قيل انه كان هو السلطان الحقيقي ولما توفي محمد شاه اختفى واخذ طريقه الى كربلاء التي فيها يحتمي اكبر المجرمين بحمى أكبر الأئمة الا انه وقع في أرزاء الحزن المتلف فضلا عن توبيخ ضميره وعلى هذا النحو انتهت حياته".[3]

وعن الملك محمد شاه الذي ظهرت البابية خلال أواخر فترة حكمه لإيران، ورد في كتاب "الفلسفة والأديان في أواسط آسيا" للكونت جوبينو ما يلي:-

"ان محمد شاه كان حاكما ذا صفات خاصة لم تكن نادرة في آسيا ولكنها على الأقل مما لا يعرفها الأوربي، ولا يمكنه ان يفهمها. فمع كونه حاكما في الوقت الذي كانت فيه العوائد السياسية المحلية قاسية فانه كان لطيفا سهلا صبورا وكان ينظر بعين هادئة

---

1 من كتاب نظرة عامة في تاريخ إيران صحيفة 486-487 لمؤلفه س.ر. ماركهام.

2 كتاب الفلسفة والأديان في أواسط آسيا صحيفة 160.

3 المجلة الآسيوية 1866 صحيفة 367-3680 جزء 7.

الى الاضطرابات التي تحصل داخل الحريم والتي كانت تغضبه. ووصل تركه الحبل على الغارب واتباع النفس والهوى لدرجة لم يصل اليها أحد حتى ولا فتح علي شاه. وتنطبق عليه تلك العبارة اللائقة للقرن الثامن عشر وهي (يا سيدتي لا تختبئي لأني لا أريد ان أمنعك من الحظوظ والتمتع) الا ان ذلك لم يكن منه بسبب عدم الاهتمام بل من الإعياء والملل. لأن صحته كانت دائما في تأخير وتضعضع. فكان مصابا بالنقرس بدرجة كبيرة ويتألم من الأوجاع المستمرة فلم يكن لديه راحة من حيث صحته. وكانت أخلاقه ضعيفة في طبيعتها وذلك مما يجعله دائما حزينا. ولأنه كان يحتاج الى المحبة التي لم يجدها في أسرته ولا في نسائه ولا عند أنجاله لذلك كان يحصر محبته كلها في معلمه العجوز. فكان هو الحبيب الوحيد ورئيس وزارته الأمين. وأخيرا أصبح معبوده بغير مبالغة بل إلهه الأعلى. ومن هذا الصنم استمد أفكارا مضادة ومضرة بالإسلام فكان لا يكتفي بإهمال أحكام النبي بل كان يعتقد انه هو النبي بذاته فلم يكن عنده اهتمام بالأئمة واحترامه لعلي لم يكن الا بسبب تلك العقيدة الفارغة التي جعلت الأمة الإيرانية تدمج وطنيتها في ذلك الشخص المحترم، وبالاختصار لم يكن محمد شاه مسلما ولا مسيحيا بل كان يعتقد اعتقادا جازما بأن الحقيقة الإلهية تتجسد في الحكماء بكل قوتها. وبما انه يعد الحاج ميرزا أقاسي الحكيم الأول فما كان يشك انه هو الله ذاته وكثيرا ما كان يطلب منه المعجزات ويقول لضباطه بيقين تام (قد وعدني الحاج بإظهار معجزة في هذا المساء فسوف ترونها) وما كان محمد شاه يهتم بنجاح او تنفيذ أمر ديني ان لم يكن خاصا بالحاجي المذكور بل كان على العكس يسر من تطاحن الآراء التي تكشف له عن جهل وعمى الناس.[1]

1 من كتاب الفلسفة والأديان في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 131-132.

وكتب اللورد كرزون عن أحوال السجون في إيران خلال القرن التاسع عشر، فقال في كتابه "إيران والمسألة الإيرانية" المطبوع في لندن سنة 1892م:-

"وبخصوص السجون الفارسية ونظامها فإنها تختلف عن سجوننا في أحوال العقوبات. فلا يوجد فيها سجن الأشغال الشاقة المؤبدة او لجملة سنوات فذلك النوع من العقاب غير معلوم عندهم وكذلك الحبس لمدة مستطيلة. ففي ابتداء كل سنة يفرج عن المسجونين وكذلك عند تعيين حاكم جديد يفرج عن المساجين الذين أمر بحبسهم سلفه وفقط يعدم شخص أو شخصان من أرباب الحالات الخطرة كعلامة لقوة الحاكم وتحية له. ولا يوجد سجن للنساء فان النسوة يحبسن في منزل أحد المجتهدين وكذلك المجرمون الذين هم من طبقة راقية. وفي طهران يوجد ثلاث أنواع من السجون الأول غرف تحت الأرض والمخابئ، وفيها يسجن الذين يتآمرون على الملك او الحكومة، وسجن البلدية وفيه يسجن المجرمون العاديون وتلف الأغلال على رقابهم وأحيانا تكبل أرجلهم في الحديد. ثم الحراسة الخاصة وهي من متعلقات مساكن العظماء. ومن ذلك يفهم ان نظام العدالة في إيران سواء في إصدار الأحكام او في توقيع العقاب او في نظام السجون هو نظام حالي وسريع والغرض منه العقاب بطريقة موازية بقدر الإمكان للجريمة الأصلية وليس فيها أي إصلاح للمجرم.[1]

الفصل الثاني

ما كتبه بعض المستشرقون عن البابية

1 من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية جزء أول صحيفة 458-459.

من خلال ما كتبه المستشرقون وشهود العيان عن البابية في إيران في القرن التاسع عشر وكيفية انتشارها وما جوبهت به من قبل أهالي ذلك الإقليم ورؤسائهم، يمكن للمتتبع اقتباس نور ضئيل عن حقيقة ما جرى في ذلك الوقت القريب. ومن الجدير بالذكر أن كل هذه الأحداث الجسام وقعت قبل أكثر من قرن ونصف فقط في لبد اسلامي مجاور، ولم ينشر أو يسمع عنها من قبل إلا ما ندر!؟ بينما سمع وكتب عنها أهل الغرب بشكل أوسع!

جاء في كتاب "الفلسفة والأديان في أواسط آسيا" لجوبينو المطبوع سنة 1865م ما يأتي:-

"ان الفكرة العامة هي ان البابية منتشرة في جميع طبقات السكان ومن بينهم جميع أصحاب الأديان عدا النصيرية والمسيحية. ولكن الطبقة المتنورة في المملكة والذين يمارسون العلوم في البلاد مشتبه فيهم جدا. وقد يظن الناس والحق معهم ان الكثيرين من الملاوات والمجتهدين والقضاة من الطبقات الراقية ومن الرجال الذين يشغلون وظائف مهمة في الحكومة وخاصة في حاشية الملك هم بابيون. وطبقا للإحصاء الذي عمل حديثا يوجد في طهران خمسة آلاف من هؤلاء المتمذهبين في كل ثمانين ألف من السكان. ولكن يظهر ان هذا الحساب لم يعمل على أساس وطيد وأظن انه لو كان البابيون يقلون عن ذلك في أنحاء إيران فانهم يزيدون عن ذلك في عاصمة المملكة. لأنه يجب علينا ان نضيف الى المتحمسين عدد الذين يميلون الى هذه الأحكام الجديدة وأهلها مضطهدون والذين يحبذونها وتكون عندهم الشجاعة لإعلانها اذا رأوا نصرتها"[1].

1 كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 251.

وجاء في كتاب "إيران نظرة أدبية وتاريخية" لجيمس دار مستتر، حول انتشار دعوة الباب، ما يلي:-

"ولم يمض نصف قرن منذ أعلن الرائي الصغير ميرزا علي محمد دعوته في شيراز حتى عد الآن شهداؤه بالمئات وأتباعه بمئات الألوف وكانت في وقت ما تهدد سلطة القاجار والإسلام في إيران وللآن ربما تكون عاملا مهما في تاريخ آسيا الغربية".[1]

وكتب البروفيسور جيمس دارمستتر عن انتشار البابية في إيران، قال: -

"ان البابية التي انتشرت في مدة خمس سنوات من أحد أطراف إيران الى الطرف الآخر والتي غرقت في بحر من الدماء في سنة 1852م أي في دماء شهدائها هي الآن تسير مترقية وتزداد يوما فيوم في الانتشار. واذا فرض وكان لإيران حياة جديدة ونهضة فستكون بواسطة هذا الدين الجديد".[2]

وكتب اللورد كرزون سنة 1892، حول نفس الموضوع:-

"وإذا استمرت البابية تسير في رقيها بالنسبة التي تنتشر بها الآن فسيأتي الوقت الذي تنتشر فيه في جميع إيران. وهذا ما لم يكن تمكن إجراؤه لو كانت ظهرت في مملكة أخرى معادية لإيران. ولكن بما ان المتطوعين للدين الجديد هم من نخبة عسكر الحامية التي تهاجمها فانه يغلب على الظن انها ستتغلب في النهاية. وكل من هو مطلع على أخلاق الإيرانيين الذين هم غالبا يخضعون للمشاعر الدينية يعلم كم من الناس من الطبقات المختلفة تنجح فيهم الدعوة. فالصوفية او الباطنية يعتقدون انه لابد من وجود شيخ او نبي ظاهراً في الجسد وأغلبهم يندمج بسهولة في

1 مقدمة كتاب التاريخ الجديد لبراون صحيفة 7.
2 ملخص من كتاب إيران نظرة أدبية وتاريخية ترجمة ج.ك. ناريمان.

الدين البابي الجديد. حتى ان المسلمين المتمسكين بالدين دائماً ينتظرون ظهور الإمام الموعود وهم مسوقون باقتناع تام بان يعتقدوا بأن المهدي أما ان يكون الباب او البهاء تبعا لتنبؤات القرآن والأحاديث. وطهارة حياة الباب وآلامه وموته المهين وشجاعته واستشهاد أتباعه سيكون لها أثرها في تبليغ الذين لا يوجد لهم مثل حوادثها في مدونات الإسلام المعاصرة".[1]

وذكر نقولاس في كتابه "السيد علي محمد الباب" عن ردود أفعال رجال الدين المسلمين تجاه انتشار البابية، سنة1908م:-

"وبينما كانت هذه الحوادث تجري في شمال إيران كانت الأقاليم الوسطى والأقاليم الجنوبية مضطربة من آثار تبليغ المبلغين للدين الجديد وكان الناس على ما هم عليه من البساطة والجهل والسذاجة والطيش والوهم يقفون حائرين من سماع المعجزات المستمرة التي كانت تتلى عليهم. وزاد الملاوات المتحيرون في السب والشتم إذ رأوا أتباعهم قد ابتدأوا يميلون عنهم ويتركونهم. وأخذوا زيادة عن الشتم يروجون الأكاذيب الفظيعة عنهم فانتشرت الأخبار السيئة في جميع أنحاء البلاد وبين الأهالي المتحيرين وزادت الأراجيف عن توحشهم الدموي وذاعت هذه الأنباء بين عاملي الارتياع والإعجاب".[2]

ويصف الكونت جوبينو مدى انتشار البابية وقوتها في كتابه "الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى":-

"وهكذا على التحقيق نتجت حركة دينية مخصوصة في آسيا الوسطى أي إيران وبعض أطراف الهند وأجزاء من تركيا آسيا

---

1 من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية الجزء الأول صحيفة 503.

2 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 387.

وضواحي بغداد وهي اليوم على جانب عظيم من الأهمية وتستحق كل عناية ودراسة. وهي تساعد على ترقي الأمور في الظاهر وحصل فيها من المفاجع ما لا يمكن تصور وقوع مثله سابقا الا في الدهور القديمة التي فيها نتجت الأديان العظيمة. واني أعترف انه لو أتيح وجود مثل هذه الحركة في أوروبا بطريقة مماثلة لطريقة ظهور البابية وفيها كل الامتيازات الخاصة بها كالاعتقاد الأعمى والحماس المتناهي والشجاعة والإخلاص الممتحن والاحترام العميق الذي صدر من المحايدين والخوف والذعر الذي استولى على الأعداء فضلا عن الدعوة المستمرة التي تزداد يوما فيوم والتي تصادف نجاحا تاماً بين جميع الطبقات في المجتمع، فإني أقرر بأني لو رأيت ذلك حاصلا في أوروبا فلا أتردد أن أقرر انه لا يمضي زمن كبير حتى تصير القوة والملك والصولجان في يد هؤلاء الذين يملكون هذه الامتيازات.[1]

ويشهد البروفيسور ادوارد براون على قوة روح البابية وأثرها بين الناس، فيقول في كتابه "مقالة سائح":-

"والآن يظهر لي ان تاريخ الحركة البابية مهم جدا لاعتبارات شتى للذين هم متعمقون في دراسة الفارسية فضلا عن غيرهم. فالباحث في الحركات الدينية يستفيد من التفكير فيها لأنه يرى هنا شخصيات سيكونون بعد مدة من الزمن أبطالا وأنصاف آلهة وتكتنفهم أسرار وحكايات ويمكنه ارتكانا على شهادة الذين لم يكونوا منحازين لأحد الطرفين ان يهتدي الى العثور على إحدى تلك الظواهر الغريبة التي فيها يتفجر الحماس والإيمان والإخلاص اللامتناهي والشجاعة التي لا تقهر - واذا شئت فقل التعصب - وهذه الحوادث هي التي اعتدنا ان ننسبها الى تاريخ الإنسانية القديم. وعلى العموم يمكنه ان يشاهد تولد دين لا يبعد ان

1 كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 116-293-394.

يأخذ محلا ثابتا بين أديان العالم العظيمة وكذلك الباحث عن الأجناس البشرية يستفيد كثيرا من طبائع هؤلاء الناس الذين كان معروفا عنهم انهم طماعون أُجَراء شرهون نفسانيون بخلاء جبناء، والآن تجدهم غيروا طباعهم تحت تأثير دافع ديني قوي وأظهروا إخلاصا وكرما ونكرانا للذات وشرفا ونبلا وشجاعة وان شوهد مثلها في تواريخ العصور الغابرة الا انها لا يمكن ان تزيد عليها. وكذلك بالنسبة للرجل السياسي لم تكن المسألة بقليلة الأهمية لأنه لا يمكن وضع حد للتغييرات التي تحصل في مملكة هي الآن معدودة بين الدول في ميزان القوى الدولية كالصفر من تأثير دين أشعل في الناس مثل هذه الروح القوية. فالذين علموا ماذا فعل محمد بالعرب عليهم ان يتفكروا فيما يعمله الباب بالفرس.[1]

وبخصوص مستوى انتشار البابية في إيران في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أي بعد ظهورها بنصف قرن تقريبا، كتب اللورد كرزون في كتابه "ايران والمسألة الايرانية":-

"ويمكن القول بان البابية في مظهرها الخارجي قد حدث فيها تغييرات مهمة منذ نشأتها وابتداء دعوتها منذ نصف قرن. وهذه التغييرات لم تنقص شيئا من أمرها بل انها زادتها انتشارا بسرعة لا يمكن ان يتصورها الذين لا يرون فيها سوى نظام غير ناضج من الأنظمة السياسية او الفلسفية. فان أقل تقدير لعدد البابيين في إيران هو نصف مليون ويمكن الحكم من كلام الذين خاطبتهم في هذا الشأن انهم نحو مليون. فهم موجودون في كل طبقة من طبقات الحياة من الوزراء والنبلاء الى الكنّاس والسائس ونصف أعمالهم تقريبا مع علماء المسلمين. فان الحركة ابتدأت بنفس المجتهدين والملاوات والحجاج والأسياد وهم الذين إما من نسل شريف او من الأتقياء الذين يمتون بصلة عظيمة الى الديانة الإسلامية وكانت

1 من ا.ج. براون مقدمة لكتاب مقالة سائح صحيفة 8-9.

الدعوة البابية قد تأسست في وسط هؤلاء المتدينين وفيهم تستمر الدعوة ومنهم ظهر بابيون عديدون وفيهم من يتمسك بالحكمة ويكون بهذه الوسيلة آمنا لا يصيبه اضطهاد. أما في الأوساط العامة فيخفون إيمانهم خوفا من غضب رؤسائهم. وحديثا انتشرت البابية بين جمع من الأعداء وهم اليهود في المدن الإيرانية وسمعت انه في السنة الماضية اعتنق الأمر من اليهود 150 في طهران و 100 في همدان و 50 في كاشان و85 في المائة من يهود كلبايكان".[1]

ويتنبأ الدكتور ج. استلين كاربنتر في كتابه "الدين المقارن" عن احتمال انتشار البابية في العالم، فيقول:-

"انه قد ظهر من الجنس الماهر أشهر وأهم حركة صدرت للآن من الديانة الإسلامية حديثا... وقد اجتمع حوله (الباب) التلاميذ ولم تقف الحركة بالقبض عليه وسجنه مدة ستة سنوات تقريبا وإعدامه أخيرا في سنة 1850م. وهي أيضا تدعو الى تعاليم عامة وكان لها جيش من الشهداء ولها كتب مقدسة وتولّد في إيران في وقت اضطرابها وهبوطها دين سوف يدور حول العالم".[2]

ويؤكد فيلبس في كتابه "تاريخ وتعاليم عباس أفندي" المطبوع في لندن سنة 1912م، على بقاء الشرق مصدر الروحانيات للغرب:-

---

1 من كتاب لورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية الجزء الأول صحيفة 499-500.

2 الدين المقارن صحيفة 70-71.

"انه في تاريخ العالم قد أثبت الشرق مقدرته على تعليم الدين للغرب وعلى ان يحل في العالم الروحي المحل الأسمى وانه ليس للغرب سوى نصيب في الشؤون المادية".[1]

ويشير بالتو في كتابه "البابية" سنة 1892، حول مستقبل البابية في ايران، فيقول:-

"ويظهر انه من المحقق ان البابية من وجهة النظر الدينية ومن الوجهة الأدبية لها ترقيات عالية ويمكننا القول مع م. فامبري (في الأكاديمية 12 مارس سنة 1892م) ان رئيسها قد أبدع قوانيناً وأحكاماً تستحق احترام كبار المفكرين.. وفي جميع الأحوال كان انتشار البابية أمر مهم وحادث جلل في تاريخ الأديان والمدنيات الحديثة ثم ان الذين يفخرون بها يحق لهم ان يفخروا، فسيأتي يوم تحيي فيه سكان إيران بحياة جديدة حتى جميع أهل الإسلام سوف يحتاجون اليها ولكنها مع الأسف لا تحيي الذين لا يكثر بينهم سفك الدماء".[2]

وكتب اللورد كرزون في تقييمه للبابية في كتابه "ايران والمسألة الايرانية":-

"اذا اردنا التوصل الى نتيجة حتمية في أفكارنا عن الماضي الذي تكلمت عنه فانها ليست سوى ذلك الإخلاص العالي الهادئ الذي نفخه هذا الدين الجديد مهما يكن شكله. واعتقد انه لم يوجد سوى بابي واحد ارتد تحت ضغط التعذيب ثم قتل بعد مضي سنتين. وقد تزينت صحائف سفك دماء الشهداء بأعمال الشهامة الصادرة من هؤلاء البابيين. ومع ان كثيرين من الأتباع كانوا أميين فانهم مع ذلك كانوا دائما مستعدين للتضحية لأجل دينهم

1 مقدمة كتاب م.هـ. فيلبس تاريخ وحياة وتعاليم عباس أفندي صحيفة 15.
2 م.ج. بالتو البابية صحيفة 28.

وكانت نيران (سميث فيلد) غير قادرة على إشعال شجاعة في القلوب أعظم وأكبر مما شاهدها الجلادون من أهل إيران. فالعقيدة التي تنفث في قلوب أتباعها مثل هذه التضحية النادرة الجميلة ليست من العقائد التي يستهان بها او التي لا يقام لها وزن... فمثل هذه الحوادث الصغيرة التي تظهر من وقت لآخر بهيئتها المنكرة تبرهن على ان إيران لم تسترجع للآن كامل مجدها وتطعن المتشامخين الذين كثيرا ما يتحدثون عن المدنية الإيرانية".[1]

وجاء في كتاب "التاريخ الجديد" لميرزا حسين من همدان ترجمة البروفيسور ا. ج. براون المطبوع سنة 1893م، في وصف معركة الشيخ طبرسي التي وقعت بين البابيين وقوات الحكومة الايرانية نقلا عن لسان احد البرنسات الذين شاركوا في تلك المعارك الطاحنة ضد البابيين، وفيها يروي حكاية غريبة لم يسمع عن مثيل لها إلا في العهود الغابرة، لكن الراوي هنا برنس (أمير) من قادة قوات الحكومة من الذين شاركوا في المعارك ضد البابيين المحاصرين بين جدران قلعة الشيخ طبرسي، وهذا ما يدعو للتأمل بوقائعها، قال:-

"وأعجب من كل ذلك الوصف الذي قرره عباس قلي خان للبرنس احمد ميرزا ذلك الوصف المقرون بعلامات الإعجاب. فقد كتب الحاج ميرزا جاني قال:- (بعد مرور سنتين على حادثة الشيخ طبرسي سمعت شخصا يروي الرواية الآتية وكان صادقا بالرغم من انه لم يكن بابياً:-

"كنا جلوسا إذ جاءت ذكرى الحرب التي أثارها بعض الحاقدين على القدوس (محمد علي البارفروشي) وباب الباب (الملا حسين البشروئي). وكان ضمن الحاضرين البرنس احمد ميرزا وعباس قلي خان، فسأل البرنس عن الموضوع من عباس

1 كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية جزء أول صحيفة 510.

قلي فأجابه بقوله: ان حقيقة الموضوع هو ان الذي لم يشاهد ما حدث في كربلاء ويريد رؤية ما كان فيها فلا يمكنه ذلك الا اذا شاهد ما وقع في طبرسي. وإذ ذاك لا يعجب من وقوع أمثال وقائع كربلاء. فاذا رأى الملا حسين البشروئي اقتنع تماما انه انما شاهد سيد الشهداء (الامام الحسين) وان هذا الأخير قد جاء وظهر في الأرض. أما من يرى أعمالي فيقول حقا ان الشمر (قاتل الامام الحسين) قد رجع الى العالم ومعه سيفه وحربته واني أحلف بشرف جلالة سيد الكائنات المقدس ان ملا حسين لبس على رأسه عمامة خضراء والتحف بشال على كتفه وخرج من القلعة الى العراء مرتكزا على رمحه في يده وقال: (أيها الناس لماذا تعاملوننا بهذه القسوة بدون بحث او تحر بل لمجرد الهوى النفساني والتعصب الأعمى ولماذا تجتهدون في سفك الدم الطاهر البريء. ألا تخجلون أمام خالق الكائنات وتعطونا على الأقل طريقا لنخرج به من أرضكم). ولما رأيت العسكر قد تأثروا من كلامه أمرت بإطلاق النار وبان يصيحوا حتى يحتجب صوته فلا يسمع بعد. ولكني رأيته مرة أخرى يرتكز على رمحه ويصيح ثلاث مرات قائلا: (أليس فيكم من ناصر ينصرني) حتى سمعه كل العسكر فصمتوا جميعا وابتدأ البعض ينتحب وكثيراً من الخيالة تأثروا. وخوفا من خروج الجيش عن الطاعة أمرت مرة أخرى باطلاق النار وبالصياح. وبعد ذلك رأيت الملا حسين جرد سيفه ورفع رأسه الى السماء وهو يصيح قائلا: (يا الهي قد أتممت الحجة على هؤلاء الخلق ونصحتهم فلم ينفعهم نصحي) وابتدأ يضرب فينا باليمين والشمال وأقسم بالله انه استعمل سيفه بطريقة تفوق قوة البشر ولم يبق في الميدان من لم يفر من أمامه سوى خيالة مازندران الذين لم يقبلوا على أنفسهم الهرب ولما حمي الوطيس رأيت الملا حسين لحق عسكريا هاربا احتمى خلف شجرة واضعا بندقيته أمامه فضربه الملا حسين ضربة قاضية قطعته هو والشجرة والبندقية الى ست قطع ولم ينبو سيفه في جميع مدة الحرب فكل ضربة به كانت صائبة ومن شكل الجرحى

علمت كل من طعنهم الملا حسين بسيفه لأني أعلم انه لن يقدر أحد ان يستعمل سيفه بهذه الكيفية سوى أمير المؤمنين ومن المحال على أي سيف آخر ان يقطع بهذه الكيفية وعلى هذا النحو ولذلك منعت كل من يعلم هذا الأمر ان لا يفشي هذا السر في المعسكر حتى لا يحصل فتور بينهم. وحقا اني لم أدرك ما الذي كان يظهر لهؤلاء القوم وماذا كانوا يشاهدونه فانهم كانوا يقتحمون الميدان بفرح لا مزيد عليه ونشاط متواصل ولم يظهر على وجوههم أي أثر للخوف او الفكر. ومن يشاهدهم يعتقد انهم ينظرون الى السيف والخنجر كواسطة للحياة الأبدية. فكانت أعناقهم وبطونهم تشتاق الرماح وكانوا يكتظون حول الطلق الناري لتحيته. ومن الغريب ان أغلبهم كان من التلاميذ او العلماء ومن المحتجبين خلف جدران المدارس وضعفاء في أجسادهم وغير معتادون على تحمل المشاق ولأصوات المدمرات وميادين القتال. وفي الثلاثة أشهر الأخيرة من أشهر الحصار كانوا بلا خبز ولا ماء ونحلت أجسامهم من انعدام القوت الضروري للحياة. ومع ذلك كانوا في ميادين القتال كأن روحا جديدة نفخت فيهم لدرجة لا يقدر معها الفكر البشري ان يفهم شدة بأسهم وشجاعتهم فكانوا يعرضون أجسامهم الى المدفع والنيران المتدفقة منه ليس فقط بشجاعة وبسالة بل أيضا بشوق وفرح وهم يعدون ميدان القتال كوليمة طالبين نثر أرواحهم فيها".[1]

وجاء في كتاب "مقالة سائح" للبروفيسور ادوارد براون سنة 1891 شرحا عن كيفية القاء القبض على سبعة من البابيين وقتلهم بقطع رؤوسهم:-

"وبعد ذكر الحوادث السابقة أراد المؤرخ البابي ان يذكر أهمية شهادة الشهداء السبعة الفريدة في بابها فانهم كانوا أشخاصا يمثلون طبقات مهمة في إيران أي من العلماء والدراويش والتجار

1 كتاب التاريخ الجديد صحيفة 106-109 لمؤلفه أ.ج. براون.

والبدالين وموظفي الحكومة فكانوا رجالا محترمين ذوي مكانة عند العموم وماتوا بلا خوف ولا وجل بل بشوق زايد رافضين ان يشتروا هذه الحياة بمجرد الإنكار الشفوي تحت اسم الكتمان او التقية التي يعترف بها الشيعة انها جائزة في أحوال الخطر. فلم يكونوا يائسين من أمل الرحمة كما كان الذين توفوا في الشيخ طبرسي وزنجان وقد ختموا حياتهم بدمائهم في الميدان العام في عاصمة إيران التي هي مقر سفراء الدول الأجنبية المرسلين الى بلاط الشاه. وهنا صدق المؤرخ البابي حتى الذين يعيبون البابية بأنها اشتراكية تهدم كل نظام وآداب يظهرون الرحمة والشفقة لهؤلاء الشهداء الذين لا ذنب لهم. ويمكننا ان نطبق قول جوبينو الفصيح وفكره الصائب على مأساة مماثلة حصلت بعد عامين قال: (وكانت هذه الحادثة قد جعلت للباب أنصارا لبثوا غير مكشوفين وكانت الدعوة ذاتها تتمكن من ارشادهم وقد كان ذلك من التأثير الشديد الذي أحدثه على الجمهور بسالة الشهداء وثباتهم. وكثيرا ما سمعت البعض يحكي حوادث ذلك اليوم وكانوا شهود رؤيا ورجال من الحكومة والبعض في مراكز عالية وبسماعها كان الاعتقاد السائد بين الجميع انهم كلهم بابيون حيث انهم كانوا يظهرون إعجابهم الشديد بتذكارهم الذي لم يظهر مثله من قبل. وكانوا يتكلمون بالثناء الكبير على معارف وموارد وآمال وسبل نجاح هذه الطائفة)".[1]

وعن تصرفات الغوغاء والعوام تجاه القتلى السبعة من البابيين بعد اعدامهم والتمثيل بجثثهم، ورد في "مقالة سائح" المطبوع سنة 1891م:-

"ولما أتم السيافون عملهم الدموي ارتاع المتفرجون من شجاعة وصبر هؤلاء الشهداء ثم بعد برهة سمحوا لأنفسهم بتعصبهم الوحشي أن ينزلوا على بقايا الضحايا اللعن والشتم رغما

1 من مقالة سائح حاشية صفحة 175-176.

عن ان أرواح هؤلاء قد صعدت وعلت عن ان يلحقوها بأذى. فكانوا يرمون الأحجار والأقذار على الجثث الهامدة وهم يصيحون (هذا جزاء أهل العشق والذين يسيرون في طريق الحكمة والحق) ولم يقبلوا أن يدفنوا هذه الجثث بل قذفوا بها في حفرة خارج بوابة شاه عبد العظيم ثم ردموها".[1]

وكتب الكونت جوبينو في كتابه "الفلسفة والأديان في آسيا الوسطى" المطبوع في باريس سنة 1928م عن كيفية انتهاء مذابح البابيين وقتل الباقين منهم في مدينة زنجان، قال:-

"وكان محمد خان بيگلر بيگي (بك البكوات) أمير ارسلان خان الحاكم والآخرون من الضباط قد ضمنوا الحياة للبابيين ولكنهم جمعوهم أمام العسكر وضربوا الطبول والأبواق وأعطوا الأوامر ان مائة من العسكر المنتخبين من كل فرقة يحضرون الأسرى ويضعونهم صفا أمامهم ويقتلونهم بحد الحراب وقد فعلوا ما أمروا به ثم أخذوا الرئيس سليمان الجزمجي وحاجي كاظم الجلتوغي ونسفوهما أمام فوهة المدفع. وهذه العادة الآسيوية التي استعملها الإنجليز أيضا في الهند بهذه السياسة التي جلبتها النباهة والعلوم الأوربية تنحصر في ربط المحكوم عليه في فم المدفع واطلاقه فتندفع أعضاء القتيل وتتبعثر شذر مذر. ولما تتم العملية يطلق أيضا على باقي الأسرى، واستاقوا ميرزا رضا قائد الملا محمد علي وغيره من بعض المشاهير ووضعوا في رقابهم وأيديهم الأغلال وقادوهم الى العاصمة طهران علامة على الانتصار رغما عن منع البلاط لذلك. وأما بالنسبة للباقين الذين لا يهم موتهم او حياتهم فتركوهم ورجع الجيش المنصور الى العاصمة مع هؤلاء الأسرى الذين كانوا يسيرون أمام الخيل الخاصة بالقادة المنصورين. وعند وصولهم الى طهران أراد الأمير نظام ان يزيد في العقاب فأمر بقطع عروق ميرزا رضا

1 من مقالة سائح حاشية ب صحيفة 174-175.

وحاجي محمد علي وحاجي محسن. فاستقبل الثلاثة هذا الخبر برباطة جأش. وفقط قرروا ان الخيانة التي استعملت ضدهم وضد أصحابهم ليست من الجرائم التي يرضى الله العلي ان يعاقب صاحبها بها بالطريق العادي ولابد وانه أفرد عذابا أشد لقتله هؤلاء الأولياء. وتنبئوا على الوزير الكبير (رئيس الوزراء) قائلين انه سوف يهلك بنفس الطريقة التي عاقبهم بها. وقد سمعت هذه النبوة ممن لم يتأخروا لحظة عن اعتقادها. الا انه منذ حكيت لي الرواية الى الوقت الذي أمر الشاه بقطع شرايين الأمير نظام كان قد مر نحو أربع سنوات ولا يمكنني ان أقرر شيئا آخر الا ما أكدوا لي بأن الحادثة قد سبق وان تنبأ بها شهداء زنجان".[1]

أما نقولاس فكتب في كتابه "السيد علي محمد الباب" المطبوع في باريس سنة 1908، عن نتيجة المذابح، قال:-

"وما كاد التنفيذ يتم حتى اقتحم الجمهور ميدان الاستشهاد، بعضهم ليبحث عن جثة صاحب، والبعض الآخر أملاه الحقد للتمثيل بالجثث. ومما يروى ان رجلاً اسمه ولي محمد جاء الى جثة جار له يدعى أقا رضا ورأى انه لم يمت فقال له اذا أردت أي شيء قل لي لأني أنا جارك ولي محمد، فأشار له بأنه عطشان، فذهب الرجل وأحضر حجرا كبيرا ثم جاءه وقال له افتح فمك قد أحضرت لك الماء. ولما أطاعه المسكين رماه بالحجر وسحق به رأسه. ثم في النهاية قاد بيگلر بيگي في طريقه الى طهران 44 مسجونا كان من بينهم ميرزا رضا وحاجي محمد علي وحاجي محسن الجراح وهؤلاء استشهدوا بمجرد وصولهم وعفنت أجساد الباقين في السجن".[2]

1 الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 207-209.
2 كتاب علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 363.

"ولم يكفهم انهم انتصروا بل أرادوا التمثيل في الجثث وكانوا يفكرون في استجواب البابيين ولكن ما الحيلة اذا التزموا السكوت. فكان الأقا محمد دين يرش الزيت الساخن على الرؤوس ثم يعدمهم".[1]

وعن طريقة قتل السيد يحيى الدارابي، أكبر علماء ايران المسلمين وممثل الشاه الشخصي في تفحص أمر الباب وحقيقة دعوته، وكيفية مقتل أتباعه بعد توقيع اتفاقية السلام بينهم وبين قوات الحكومة، ورد في "مقالة سائح" للمستشرق البروفيسور ا. ج. براون المطبوع سنة 1891 في لندن:-

"وقد خنقوا السيد يحيى بشاله وكان الذي خنقه أخ لرجلين توفيا في الحصار واما باقي البابيين فقتلوا بيد الجلاد. وقد ملئت رؤوس الضحايا بالتبن ونقلوا هذه العلامات معهم للدلالة على شجاعتهم وغلظتهم ومعهم نحوا من أربعين او خمسين امرأة بابية وشاب كأسرى وبهذه الكيفية رجع الجيش المنصور الى شيراز. وكان يوم دخولهم الى تلك المدينة يوم فرح عام واصطف الأسرى في الشوارع والأسواق ثم أحضروا أمام البرنس فيروز ميرزا الذي كان يتناول الطعام في منزل صيفي يسمى "كلاه فرنجي" وكان معه مهر علي خان وميرزا نعيم، وتلا الضباط تفاصيل نصرتهم وهنأهم الحاضرون وامتدحوهم لأجل ذلك وأما النسوة الأسارى فوضعوهن في خان خارج باب اصفهان وحبسوهن فيه. وأما كيفية معاملتهن بمعرفة من قبض عليهن فتترك للتخمين".[2]

وننقل صوراً من المذبحة التي حصلت للبابيين بعد استسلامهم للجيش الشاهنشاهي، من كتاب "السيد علي محمد الباب" لنقولاس المطبوع في باريس سنة 1908م:-

---

1 نفس المصدر السابق صحيفة 361.

2 من كتاب مقالة سائح حاشية هـ صحيفة 190 طبعة إنجليزية.

"وحكى شاهد عيان قال ان ذلك اليوم كان يوم فرح عام وسرور وكان الأهالي قد انتشروا في المزارع المجاورة ومعهم غذاؤهم وكثير من السكارى شربوا زجاجات عديدة من الخمر سراً. وكان الجو يدوي بأصوات الموسيقى والأغاني من الموسيقيين وعلت أصوات الضحك من بنات الهوى وكان السوق مزينا بالأعلام والفرح في كل جهة وحدث فجأة سكوت عام. ورأى الناس 32 جملا محملة كل واحد بامرأة (مسجونة) او طفل مربوطين ومطروحين على أكياس الملح كالربطة وحولهم عساكر يحملون حرابا طويلة على كل منها رأس من رؤوس البابية المقتولين في نيريز. وكانت بشاعة المنظر قد هالت أهالي شيراز بشدة وعاد كل منهم حزينا الى منزله. ومر الموكب البشع مخترقا الأسواق لغاية سراي الحاكم. وكان المذكور جالسا في حديقته وقد اجتمع في كشكه المسمى كلاه فرنجي كل من كان في شيراز من الرجال الأغنياء والمشاهير. وقد سكتت الموسيقى وتوقفت الراقصات عن رقصهن ثم ابتدأ محمد علي خان وميرزا نعيم من أصاغر رؤساء قبيلة اشتركت في الميدان يشرحان تفاصيل أعمالهم العلية وهم يسمون المساجين واحدا بعد الآخر".[1]

"ويظهر ويا للأسف ان هذا السفك للدماء لم يكن كافيا لإشباع ضغينة المنتصرين وشرهم. ولأن ميرزا زين العابدين خان كان يظن انه مهدد بانتقام الذين قهروا فلم يترك البقية الباقية من الطائفة على راحة وتأصل حقده الذي لا ينتهي الا بموته. ولم يرسل الى شيراز سوى الفقراء من الطائفة أما الأغنياء فقد حبسهم عنده وأعطاهم زين العابدين لشخص مكلف بتسييرهم في شوارع المدينة وهو يضربهم وكانوا يتسلون في نيريز بذلك ويصلبون البابيين بأربع مسامير وكل شخص يأتي بدوره ويشاهد أنواع تعذيب المحكوم عليهم. ويضعون الغال المحروق تحت الأظافر

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 407.

ويحمون الحديد حتى يكون أحمر كالنار ويكوونهم او يمنعونهم من الأكل والشرب ويخزمونهم في أنوفهم ويجرونهم بالحبال كما تجر الدببة".[1]

وعن طريقة انتشار الدعوة البابية، ذكر المسيو نقولاس في مقدمته على الجزء الأول في الصفحات 3-5 من البيان الفارسي المترجم سنة 1911-1914 ما يلي:-

"وقد اتفق الجميع على انه من المستحيل نشر الدعوة بين الناس علناً بل يجب معاملتهم كما يعامل الطبيب الأطفال فانه يخفي دواءً مرّاً في غلاف سكري حتى يمكن مداواة هؤلاء المرضى الصغار. وكان القوم الذين ظهر فيهم (الباب) ويا للأسف متعصبين بدرجة تفوق تعصب اليهود في وقت ظهور المسيح ولم تكن عندهم عظمة المملكة الرومانية لتمنع اصطلام الجهالة الدينية من قوم ذوي حمية عظيمة فاذا كان المسيح رغما عن الهدوء الذي كان حوله لا يتكلم إلا بالأمثال فلا بدع اذا كان السيد علي محمد (الباب) يخفي أفكاره تحت طي الإشارات ولا يبدي من الحقائق الإلهية الا قطرة قطرة، فربى طفل الإنسانية وهداه، مجداً في عدم تخويفه وسدد خطاه الأولى في طريق يوصله ببطأ وكيفية حتمية ومؤكدة الى النهاية التي أعدها له الى الأبد وكان وحده قادرا عليها".[2]

وعن أحوال الشعب الإيراني في أيام بداية الدعوة البابية، كتب المستشرق نقولاس سنة 1908م:-

"وبينما كانت هذه الحوادث تقع في شمال إيران كانت الأقطار الجنوبية والوسطى ملتهبة من انذارات وتكريز الدين الجديد وكان الشعب على ما هو عليه من السذاجة والجهل والطيش والوهم قد

1 صحيفة 408 من نفس الكتاب.
2 من مقدمة لنقولاس على الجزء الأول من البيان الفارسي صحيفة (3-5).

اندهش من سماعه المعجزات التي تروى له في كل وقت، وكان الملاوات الملهوفين قد شعروا بتخوف وارتعدوا من ايمان أتباعهم واستعدادهم لتركهم، فزادوا في شتم وسب الأمر الجديد والافتراء عليه ونشروا عنه روايات مختلفة تستلزم الانتقام من شعب متردد بين الإعجاب والتشنيع وبين الاستحسان والاستهجان".[1]

وكتبت الليدي شيل في كتابها "المحات في حياة وعوائد الفرس" المطبوع سنة 1856م في لندن:-

"ومن أعجب الأمور ان يكون من بين الذين صدقوا دعوة الباب الكثيرون من كبار العلماء والمجتهدين الذين لهم مركز عظيم في الأحكام الدينية في الإسلام وكثير من هؤلاء ختم ايمانه بدمه".[2]

وكتب عبد البهاء عباس وهو ابن بهاءالله (مؤسس البهائية) عن السيد يحيى الدارابي من كتاب خطي خاص بشهداء ايران، ما يلي:-

"وكان هذا الرجل الشهير وهذه الروح الغالية يحفظ على ظهر قلبه أكثر من ثلاثين ألف حديث وكان محبوبا من جميع طبقات الشعب وأصبحت له شهرة عامة في جميع أنحاء إيران ويعترف له الكل بالقوة والسلطة والمهارة".[3]

وكتب المسيو نقولاس عن السيد الدارابي ووالده:-

"وكان هذا الشخص كما يدل عليه اسمه مولودا في داراب قريبا من شيراز ووالده سيد محمد الملقب بالكشفي وهو من أكبر

1 من كتاب لمحات في حياة وعوائد الفرس صحيفة 178-179 لليدي شيل.
2 من كتاب خطي خاص بشهداء إيران.
3 من كتاب السيد علي محمد الباب للمسيو نقولاس صحيفة 233.

وأشهر العلماء في زمانه وكان لعلو كعبه في الآداب والأخلاق الفاضلة قد استحق مدحا واحتراما عاما ولقب بالكشفي بسبب اتساع علومه ومعارفه ولأنه اكتشف المعارف الإلهية والباطنية. ولم يتأخر نجله عن ان يساويه في الرتبة من جميع الوجوه وكان له نفس الاحترام الذي كان لوالده في طهران وزادت شهرته وكبر صيته وأصبح مؤاكلا للبرنس طهماسب ميرزا مؤيد الدولة حفيد فتح علي شاه من أبيه محمد علي ميرزا. وكانت الحكومة تعتبره وتحترمه لعلمه وكان يستشار في الأمور الخطيرة. ولما أرادوا البحث عن رسول يرسلونه في هذه المهمة لم يجد حاجي ميرزا أقاسي أحدا سواه لأن صدقه لاشك فيه مطلقا".[1]

وذكر براون في "مقالة سائح" صفحة 8، عن السيد يحيى:-

"ان السيد يحيى كتب تفصيلات الحادثة من غير تخوف ولا تردد الى ميرزا لطف علي التشريفاتي ليعرضها على الخاقان المغفور له، اما هو فساح بنفسه الى أطراف إيران ودعا الناس في كل مدينة وقرية الى الأمر الجديد من رؤوس المنابر بدرجة أوجبت ان حكم عليه العلماء بالجنون وظنوا انه مسحور".[2]

وعن اعتناق عالم آخر للبابية لا يقل عظمة عن السيد يحيى الدارابي وهو الحجة الزنجاني، جاء في كتاب "مطالع الأنوار" لنبيل زرندي مؤرخ البابية، قال:-

"وممن فحص الأمر بدقة من العلماء الأعلام واعتنقه أخيرا الملا محمد علي من أهالي زنجان وهو الذي سماه الباب بالحجة الزنجاني. وكان ذا فكر مستقل ومشهورا بالذكاء التام والتخلص من كل القيود التقليدية. وعاب كل درجة من درجات نظام الرياسة

1 كتاب مقالة سائح صحيفة 8.
2 مؤسسا المذهب الشيخي الاسلامي.

الدينية الموجودة في المملكة من أول الأبواب الأربعة الى أصغر ملا واحتقر أخلاقهم وتأسف على انحطاطهم وأطنب في ذكر مساويهم. واشتهر قبل ايمانه بعدم اعتباره للشيخ أحمد الاحسائي ولا السيد كاظم الرشتي[1] وكان حانقا على حصول الحوادث التي لطخت تاريخ الشيعة في الإسلام حتى أن كل من ينتمي الى هذه الطائفة كان في نظره غير جدير بالاحترام مهما كان عالي القدر. وتكررت منه حوادث الجدل العنيف مع علماء زنجان ولولا تداخل الشاه بنفسه لأدى الأمر الى اضطراب الأمن وسفك الدماء. وأخيرا استدعاه الشاه الى العاصمة وطلب منه أن يثبت ادعاءه أمام جمع غفير من رؤساء الدين سواء في طهران أو في الأطراف. وفاز على مناظريه مع أنه كان وحيدا وأفحمهم حتى اضطروا للاعتراف ظاهرا بسلطته وتأييد رأيه ولو أنهم باطنا كانوا يخالفونه ويعيبون مسلكه، وبمجرد أن وصل نداء الأمر الجديد (البابية) الى سمعه من شيراز أرسل الملا اسكندر وكان يثق به ثقته التامة ليبحث الموضوع بحذافيره ويرسل له تقريرا بنتيجة التحريات. ولما كان لا يعبأ بمدح أو قدح مواطنيه من العلماء الذين يحتقر آرائهم ويشك في صدقهم أرسل مندوبه الى شيراز وأفهمه بعمل تحقيق مستقل دقيق. وتوصل الملا اسكندر الى مقابلة الباب وفي الحال شعر بقوة تأثيره المحيية. ومكث أربعين يوما في شيراز وفي أثنائها تذوق مبادئ الايمان على حسب قوته وعرف عظمة الأمر. وباذن من الباب رجع الى زنجان ووصل في وقت كان العلماء مجتمعين أمام الحجة. ولم يكد يحظى بالمثول حتى سأله الحجة اذا كان قد آمن بالأمر الجديد أم لم يؤمن؟ فقدم الملا اسكندر الأوراق المشتملة على كتابات الباب التي أحضرها معه، وقال أنه يطيع كل ما يأمره به، فصاح الحجة عليه غاضبا وقال (كيف يكون ذلك. فلولا حضور هؤلاء الجماعة الاعلام لكنت أوقعت بك تعزيراً. بل كيف تجرأ أن تجعل مسائل المعتقد متعلقة

1 مطالع الأنوار صفحة 140.

على قبول أو رفض أي شخص آخر). وإذ استلم من يد المندوب نسخة من كتاب قيوم الأسماء وبمجرد ان قرأ صحيفة من ذلك الكتاب خرّ ساجداً وصاح قائلا: (أشهد ان هذا الكلام الذي قرأته صدر من نفس المنبع الذي أظهر القرآن ومن عرف الحق فيه يشهد بصدق هذا الكلام وانه من منبع ربّاني وعليه ان يخضع الى الأحكام التي يفرضها صاحبه وإني أشهدكم ايها الحاضرون في هذا المجلس بأني أجعل طاعته واجبة حتى لو حكم على الليل حكم النهار او على الشمس حكم الظل لأطعت حكمه بدون أي تردد لأن حكمه صوت الحق وكل من أنكره فاني أعتبره انه أنكر الله نفسه) وبهذه الكلمات انتهى المجلس".[1]

وكتب المؤرخ البابي الحاج ميرزا جاني الذي اعدم خلال المذبحة الكبرى التي وقعت للبابيين سنة 1952م، عن الملا محمد علي الزنجاني (الحجة)، قال:-

"إني قابلته أي ملا محمد علي في طهران في منزل محمد خان كلانتر وكان محبوسا فيه لإعتقاده في أمر الباب وكان يقول: "إني كنت أحد الملاوات فخوراً بنفسي ومدعيا الرياسة حتى إني كنت لا أخضع لأي أحد حتى ولا للمرحوم حاجي سيد باقر الرشتي الذي يعتبر بأنه حجة الإسلام وأعلم العلماء الأعلام. وكانت آرائي كفرقة الاخبارية وكنت أخالف جمهور العلماء في بعض المسائل وكان الناس يشكوني لمحمد شاه الذي دعاني الى طهران ولما وصلت وقرأ كتبي وفهمها سألته ان يطلب السيد باقر الرشتي حتى نتجادل معا، فعزم في أول الأمر على تنفيذ ذلك ثم عدل عنه خوفا من تفاقم الأمر واتساع الخرق. وبالاختصار رغما عن كل هذا الاعتماد على النفس بمجرد ان وصلتني كتابات مولاي وقرأت صحيفة واحدة من آيات "نقطة الفرقان" (الباب) أحسست كأني واقف بجانبه وبدون تردد وبكل جوارحي اعتنقت دعوته وصرت

1 تاريخ ميرزا جاني تعليق 2 على التاريخ الجديد صحيفة 349 - 350.

عبده المخلص كأني شاهدت فيه أعظم معجزات الرسول ولو كنت رفضتها لكنت في الوقت نفسه قد رفضت دين الإسلام").[1]

الفصل الثالث

ما كتبه بعض المستشرقون

عن شخصية الباب

لم تدم فترة دعوة علي محمد الباب أكثر من ست سنوات (1260-1266هـ)، لكنها كانت ذات تأثير كبير في حياة الشعب الايراني والشعوب المجاورة رغم صغر سنه الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين عاما حين إعلانه دعوته، حيث شملت دعوته البلاد من أقصاها الى أقصاهاوانضم اليها وتبعه عشرات الألوف

1 من كتاب السيد علي محمد الباب صحيفة 387-388 للمسيو نقولاس.

من الناس نت بينهم رجال لهم مكانة اجتماعية ودينية مرموقة، وبسببها اصطبغت أرض ايران بالدماء، فحدثت حروب ومنازعات كبيرة بين أتباعه من جهة وبين الجيوش الايرانية وأفراد الشعب من جهة أخرى، انتهت باعدامه رميا بالرصاص والقضاء على غالبية أتباعه البابيين تقريبا. لذا كان من الضروري ايراد نبذة مختصرة عن شخصية هذا الشاب الذي أوجد كل هذه الأحداث الكبيرة وهذا التأثير العجيب على قرّة العين والمئات من الرجال، ودفع بهم الى نبذ أرواحهم وأموالهم وأولادهم رخيصة في سبيل إعلاء دعوته. وفما يلي مقتطفات مختصرة لما كتب عنه:-

ورد في المجلة الآسيوية، نقلا عن المسيو موشين في مذكراته خلال إحدى زياراته الى مدينة جهريق، ما يلي:-

"وهناك كما في كل مكان التف حوله عديدون، وكتب مسيو موشين في مذكراته عن الباب: (انه في شهر يونيه سنة 1850 او سنة 1849 على الأصح ذهبت الى جهريق لأعمال تخص وظيفتي ورأيت البالاخانة التي كان الباب يتلو آياته على سطحها وأشتد تجمع الناس حولها حتى ملئوا المكان والفناء الذي أمامه وكان أغلب المستمعين الذين لم يجدوا مكانا يقفون في الشوارع ينصتون الى آيات القرآن الجديد. ثم بعد قليل من الزمن نقل الباب الى تبريز لإعدامه)"[1]

وعن تأثير شخصية الباب على رجال الدين والأمة الفارسية، كتب الكونت جوبينو سنة 1865م:-

"كان للبابية تأثير عظيم على عقول الأمة الفارسية وانتشرت أيضا فيما وراء حدود إيران وفاضت على إقليم العراق والهند.

1 من المجلة الآسيوية سنة 1866 جزء 7 صحيفة 371.

ومن بين الأمور التي يشتد الإعجاب بها انه في حياة الباب نفسه كان الكثير من العلماء وأتباعهم من الذين ثبت أيمانهم واقتناعهم بل كان العديدون من أشدهم إخلاصا للدين الجديد لم يتقابلوا مع نبيهم ولم يعرفوه ولم يهتموا ان يتلقوا الأوامر بأنفسهم من فم رئيسهم. ومع ذلك فقد أسدوا له احترامهم الشديد وكانوا يرون انهم محقين في ذلك".[1]

وعن طريقة محاكمة الباب، كتب الدكتور جين في كتابه "اتحاد الأديان والأقوام"، ما الآتي:-

"وأما عن الروايات الإيرانية التي أمامنا فليس عليها مسحة الصدق بل يظهر انها مزورة وكان العلماء والموظفين الذين حضروا الاجتماع عالمين بما يريدون أن يعملوه مع الباب ورغما عن انه أظهر لهم أحسن الحجج فانهم كانوا غير راغبين في تدوين انهزامهم وخذلانهم".[2]

وكذلك ورد في "مقالة سائح" للبروفيسور براون تعليقا على مصداقية الرواية الايرانية، قال:-

"ومن الصعب الحكم على صحة الرواية الإيرانية عن المحاكمة في تبريز وقد تكون بعض الأسئلة المدونة قد وقعت فعلا على ما فيها من القحة واللف. وقد لا يصدر من الباب جواب عليها فمن المعقول جدا كما كتب في التاريخ الجديد ان الباب فضل الصمت الوقور كما ينسبه بعض الكتاب عن الإجابة عن الخزعبلات. وهذا يناقض ويخالف قضيتهم لأنهم اجتهدوا ان يظهروا الباب بمظهر الرجل الذي لم يكن عنده مواهب خارقة للعادة فأظهروه بمظهر الرجل الجاهل فيصعب تصديق ذلك

1 الكونت جوبينو كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 255.
2 من كتاب الدكتور جين اتحاد الأديان والأقوام صحيفة 62.

بالكلية ومما لاشك فيه ان المحاكمة كانت مهزلة والحكم عليه كان متفقا عليه قبل المحاكمة ولم يكن لدى المجتمعين إذ ذاك أي غرض في تعرف طبيعة دعوة الباب او السؤال عنها. وكان جميع المجلس من أوله الى آخره منحصرا في التهكم والسخرية والاستهزاء والمهاترة وهذا ما يظهر لي جليا من التواريخ الإسلامية والبابية".[1]

وفيما يلي رسالة كتبها الدكتور كورمك الإنكليزي الذي أقام في مدينة تبريز وقت إعدام الباب، كتبها الى البروفيسور براون، قال:-

"وهذه رواية الدكتور كورمك عن نظريته في ميرزا علي محمد الباب مستخرجة من خطابات كتبت الى القس بنيامين لابارى وكان الدكتور كورميك طبيبا إنجليزيا أقام في تبريز مدة طويلة كان فيها موضع الاحترام. وعرضت هذه الكتابات على البرفسور إدوارد براون من كامبردج بواسطة المستر و.أ. شيد الذي حرر خطابا خاصا بها مؤرخا أول مارس سنة 1911م قال فيه:-

عزيزي الأستاذ براون - أثناء البحث في أوراق والدي (القس ج. هـ. شيد) من الارسالية الأمريكية في أروميّه وهي التي كان ملحقا فيها الدكتور بنيامين لابارى وجدت بعض أشياء ربما كان لها قيمتها من الوجهة التاريخية وليس عندي هنا كتب ولا يمكن الحصول على أي منها حتى يمكن معرفة ان كانت هذه الشهادة قد حصل الانتفاع منها من عدمه وربما ظننت العكس واني متأكد ان أحسن شيء أعمله هو أن أرسلها اليك بأمل الانتفاع بها كما تشاء. أما عن صحة المعلومات التي حوتها الأوراق فليس هناك أي شك فيها. انتهى.

1 مقالة سائح حاشية م صحيفة 290 طبعة إنجليزية.

وهذا نص الخطاب كما يأتي:-

"وإنك تسألني عن تفاصيل مقابلتي لمؤسس هذه الفرقة المعروفة بالبابية فأقول انه لم يحصل في هذه المقابلة أمر مهم لأن الباب كان يعلم أني أرسلت مع اثنين من أطباء الفرس لفحص قواه العقلية حتى يمكن الفصل في إمكان إعدامه من عدمه ولذلك كان يكره الإجابة على أسئلتنا له. وردا على كل استعلام منه كان ينظر الينا نظرة هادئة كريمة وهو يتلو مناجاة بصوت منخفض موسيقي. وكان يوجد معه اثنان من الأشراف من أعز مخلصيه وقد أعدما أيضا فيما بعد وكذلك كان يوجد عنده الكثيرون من موظفي الحكومة ولم يجبني سوى مرة واحدة عندما قلت له إنني لست مسلما وأريد ان أعلم شيئا عن ديانته لأني ربما اعتنقتها. فدقق النظر فيّ إذ ذاك وأجاب: انه لا شك عنده أن جميع الأوروبيين سوف يؤمنون به. فقدمنا تقريرنا الى الشاه وقتئذ قائلين ان طبيعته تقتضي عدم إعدامه ولكنه أعدم بأمر الأمير نظام ميرزا تقي خان بعد وقت قصير. وأما بعد تقديم تقريرنا أوقعوا عليه عقوبة الجلد وفي أثناء الجلد وقعت العصى على وجهه سواء قصدا او بدون قصد فأحدثت كدما كبيرا ولما سئل هل يرغب في حضور طبيب فارسي فقال انه يرغب حضوري أنا لمعالجته. فعالجته بضعة أيام ولكنه في هذه المقابلات لم يمكن التكلم معه سراً لأن بعض موظفي الحكومة كانوا دائما حاضرين للمراقبة بما أنه كان مسجونا وكان شاكرا جدا لعنايتي به وكان وسيم الطلعة محبوبا ذا جسم نحيف ولا يعتقد من يراه انه إيراني لأنه ألطف وجها منه وله صوت ناعم موسيقي أثّر فيّ كثيرا. ولما كان سيّداً كان يرتدي ملابس الأشراف كعادة هذه الفئة، وعلى وجه العموم كانت هيئته تجذب الإنسان نحوه ولم أسمع منه شيئا خاصا بديانته ولو انه كان معروفا أن في دينه شبها كبيرا بالمسيحية وقد رآه كثير من النجارين الأرمن الذين أرسلوا لأجل عمل بعض الإصلاحات في السجن وهو يقرأ في التوراة ولم يجتهد في إخفائها

بل بالعكس كان يتكلم معهم بخصوصها. وبكل تأكيد لا يوجد في دينه ذلك التعصب الإسلامي بالنسبة للديانة المسيحية ولا فيه ذلك الحبس النسائي". انتهى.

وكتب المستر براون بخصوص هذا الخطاب:-

"ان أول هذين الخطابين مهم جدا إذ فيه وصف للباب وقت حبسه وآلامه وتأثيره على عقل أوروبي مهذب محايد. وقليل جدا من الأوروبيين تمكن من مقابلة الباب او أتيحت له فرصة التحدث معهم ولا أعلم أحدا خلافه كتب شيئا عن ملحوظاته بالنسبة اليه".[1]

وكتبت "المجلة الآسيوية" في وصف شخص الباب ما يلي:-

"وكان الباب ملازما للسكوت وكان وجهه الجميل يعلوه لحية سوداء وشاربا صغيرا وهيئته وأحواله الممتازة ويداه البيضاويتان الرقيقتان وملابسه البسيطة البالغة في النظافة الغاية القصوى جميع ذلك أوجب في قلوب الناظرين الرحمة والشفقة".[2]

وكتب أيضا الدكتور جين في كتابه "اتحاد الاديان والأقوام" المطبوع سنة 1914م وصفا لشخصية الباب:-

"وكان النبي المذكور هو الباب ونحن نسميه نبياً لأننا لا نجد كلمة أصلح. لعمر الحق أقول لكم انه نبي وأكبر من نبي. فجمعه بين الحلم والقوة والقدرة أمر نادر بين البشر فلذلك كان علينا ان نضعه في صف الذين هم فوق البشر العادي فقد عرفنا أنه في كثير من أوقات حياته وبينما هو في شدة الغضب والتأثر كان يلمع من وجهه شعاع القوة والجلالة حتى انه لا يقدر أحد ان ينظر الى وجهه والى لمحات الجلال والضياء الساطع منه. وحتى انه لم يكن

1 دروس في الديانة البابية للمستر ا.ج. براون صحيفة 260-262-264.
2 من المجلة الآسيوية سنة 1866 جزء 7 صحيفة 378.

من الحوادث النادرة ان كثيرا من الذين لم يكونوا مصدقين كانوا ينحنون أمامه عندما يرونه بينما الساكنون في القلعة كانوا يركعون أمامه كلما رأوا وجه قداسته. ومثل هذا التغيير في الصورة معروف عند الأولياء فكان ذلك بمثابة وضع الختم الإلهي على حقيقة وطهارة وانقطاع الباب".[1]

وكتب البروفيسور براون في مقالة له بعنوان "البابيون في ايران" نشرت في المجلة الآسيوية، وصفا للباب قال:-

"فمن ذا الذي لم يكن لينجذب من لطف وظرف روح الميرزا علي محمد. فكانت حياته المملوءة بالأحزان وطهارة خلقه وشبابه الغض وشجاعته وصبره اللامتناهي في المصائب والآلام وإنكاره للذات إنكاراً باتاً واعتقاده بإمكان تحقق نظام جديد تبعا للأقوال والأحكام التي تنبأ بها في البيان، كل ذلك يجعلنا نسجل عطفنا على نبي شيراز خصوصا مأساة وفاته أكثر من كل شيء واستمر تأثير سحر بيانه على العقول بعد وفاته".[2]

ويستطرد البروفيسور براون ايضا:-

"وهكذا لما بلغ الثلاثين من العمر أي سنة 1850م أتم رجل الله دوره الباسل. وأما صدق اعتقاده بأنه معيّن من الله فان طريقة موته أعظم برهان على ذلك فانه ضحى بحياته في سبيل الاعتقاد بانه بذلك يخلص الكثيرين من خطأ اعتقادهم الحالي. وأما قوة انجذاب الناس لدعوته واخلاص المئات بل الآلاف من الرجال الذين فدوا حياتهم لأجل أمره فأكبر برهان مقنع عليه".[3]

---

1 اتحاد الأديان والأقوام للدكتور جين صحيفة 908.
2 من مقالة للبرفسور براون عنوانها البابيون في إيران. منشورة في المجلة الآسيوية الملوكية سنة 1889 صحيفة 933).
3 كتاب اللمحة صحيفة 210.

وعن تأثير شخصية الباب على من حوله، كتب الكونت جوبينو في كتابه "الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى" ص 120-122، قال:-

"ومهما يكن من الأمر فان الهياج ازداد في شيراز وهرع جميع المتعلمين الى ملاقاة علي محمد الباب وما كاد يظهر في المسجد حتى التفوا حوله وما كاد يجلس على كرسي المنبر حتى أنصتوا ليستمعوا له ولم تكن خطابته بقادحة في أصول الإسلام بل انه احترم كثيرا من التقاليد ولذلك ساد التكتم ومع ذلك كانت الخطابة جريئة ولم يكن فيها مداراة من العلماء بل كان يقرعهم بزواجر وعظه وبيان سوء أعمالهم وأشار بوجه عام الى حالة العالم السيئة المحزنة. وفي الخطابة إشارات وتلميحات هيجت أهواء البعض بينما أعجب بها الآخرون وامتدحوها وزادوا في وصف حسنها وملاحتها كما هو دأب العامة الذين يريدون الأقاويل والإشاعات حتى ابتدأ الناس في جميع أنحاء إيران يتكلمون عن علي محمد، ولم يكن ملاوات شيراز بملتفتين لهذه الإشاعات حتى يجتمعوا لدحض ما شنع عليهم به. ومنذ ظهوره للناس يخطبهم أرسلوا اليه أمهرهم للمجادلة معه وللقيام ضده ليأخذوه وكانت هذه المجادلات العلنية سواء في المساجد او المدارس تعقد بحضور الحاكم العام ورؤساء الحربية والعلماء وعامة الناس فبدلا من أن تفيد العلماء زادت في شهرة المتحمس على حسابهم. وكان يدحض مزاعم أخصامه ويحكم عليهم وذلك أمر ميسور له حيث كان القرآن في يده. ولم يكن بأسهل عليه من الظهور أمام الجمهور الذين كانوا يعلمون حق العلم بأن سلوكهم مناقض لاحترام الكتاب ومناف له منافاة صريحة في حين انهم لا يقدرون أن يرفضوا الكتاب. ولذلك أمكنه ان يفضح أعدائه ومقاوميه بكل جرأة وحماس وأظهر ما هم عليه من المفاسد بدون أدنى مداراة وبغير اهتمام. فبعد أن أظهر لهم أنهم لم يكونوا أوفياء لدينهم أبان عن مثالب وعيوب حياتهم ودهاهم بداهية عظيمة حتى

دهش له السامعون. وكانت عظاته مثيرة للعواطف لأقصى درجة حتى ان الذين حضروها لم ينسوا ما دار فيها بل كانت خطبته تذكارا لهم فلم يقدروا على التكلم الا بخوف واتفق الجميع على ان فصاحة علي محمد لا يدانيها فصاحة ولا يقدر ان يتصورها العقل. وكان لا يظهر في مكان الا محاطا بجمهور غفير من الأتباع والمؤمنين وامتلأ منزله من الزوار فلم يكن تعليمه قاصرا على المساجد والمدارس بل كان أيضا يجتمع عنده كل ليلة كثيرون من الخواص المعجبين به ليبين لهم الأحكام، وكان في بدء الأمر جدليا أكثر منه تشريعيا وفي اجتماعاته السرية يكشف عن معضلات المسائل وهي في كل يوم تزداد حتى خشى أن تؤول الى قلب الإسلام قلبا تاما وتكون بمثابة مقدمة للايمان الجديد. واشتغلت الهيئة الدينية الجديدة واستعدت بجرأة لمكافحة كل شيء وضحّت بالأنفس والنفائس بغيرة وحمية في سبيل الأمر الجديد".[1]

ومن كتاب "اللمحة" للسير الدكتور فرانسيس يونج هازبند المطبوع في لندن سنة 1923، ورد عن شخصية الباب، قال:-

"وابتدأ الباب يجمع حوله جماعة من المتحمسين. واشتهر بالبساطة الكلية في أخلاقه ولطافته وحسن منظره وصباحة محياه. وكان الناس يتأثرون من سعة علمه وفصاحة منطقه ومن كتاباته التي ولو كانت في نظر جوبينو غير جلية الا ان الإيرانيين كانوا أشد الناس إعجابا بها لبداعة أسلوبها وجمالها، وكان لها تأثير عظيم في شيراز وبمجرد دخوله الجامع يمتلئ وبمجرد تكلمه ينصتون".[2]

أما الجريدة الآسيوية، فذكرت عن الباب ايضا:-

---

1 من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 120-122.

2 من كتاب السير فرانسس يونج هازبند ص 194 The Gleam .

"وكانت الآداب التي يحث عليها شاب في السن الذي تغلي فيه الأهواء والشهوات قد أثرت على السامعين من المتدينين المتتبعين لمطابقة أقواله لأفعاله فلم يشك أحد في ورعه، فكان دائم التذكر وكثيرا ما يهرب من الجموع الذين كانوا يطلبونه من كل جهة".[1]

"وكان السيد بسلوكه مثالا أعلى للملتفين حوله يستمعون له في وعظه عن المفاسد الشائعة في جميع الطبقات، فيحفظون أقواله ويلقونها على غيرهم ويصفونه بأنه معلم صادق يسلمون اليه مقاليدهم بدون أي احتراز".[2]

وورد عن أمر السيد علي محمد الباب أيضا على لسان الليدي شيل في كتابها "لمحات في حياة وعوائد الفرس" المطبوع في لندن سنة 1865، قالت:-

"وكان القليل يعتقد ان الأحكام البابية تتعطل من أثر هذه الإجراءات الدموية فهناك في إيران حركة تجديد تحفظ طريقته فضلا عن ان أحكامه جاذبة للطبائع الإيرانية وموافقة لها. وانهم (البابيون) ولو كانوا قد غلبوا ومكثوا في البلاد مختفين فانه من الموثوق به ان أحكام دين الباب فضلا عن عدم إمكان محوها فانها أخذت في الزيادة يوما فيوم".[3]

وكتب السير فرنسيس يونج هازبند في كتابه "اللمحة" عن قوة تأثير دعوة الباب على أتباعه:-

"ان حكاية (الباب) كما يسمي نفسه الميرزا علي محمد هي حكاية الشجاعة الروحية التي لا يصل اليها (سوابهوا) وروحه المفعمة بالحوادث قد اشتعلت بها، فان شابا ليس من هيئة اجتماعية

1 الجريدة الآسيوية جزء 7 صحيفة 341 سنة 1866.
2 من نفس الجريدة.
3 كتاب لمحات عن الحياة والأخلاق في إيران للادي شيل صحيفة 181.

كبـرى ولا هـو مـتعلم وتنـوره البـاطني يختـرق حقـائق الأمـور ويتعرف الحق ويتمسك به بثبات ويقين ثم يظهره للناس بإقناع تـام وبواسطته يقنع الناس انه هو المسيح ويجعلهم يتبعونه حتـى سـاعة المـوت ان ذلـك مـن أعجـب الوقـائع فـي تـاريخ البشـرية حتـى ان سوابهوا كان يجب ان يتأمل فيها. فكان صدق الباب لا يتطرق اليه الشك لأنه سلم بروحه لأجـل معتقده. ولابـد وان يكـون فـي دعـوة أمره قد أقنع أرواح أتباعه حتى ضحى آلاف مـن النـاس أرواحهـم لأجله وتبعه الآن في دينه الملايين منهم. واذا كان شاب تمكـن فـي أثناء ستة سنوات بنبالة مقصده وجاذبيـة شخصـيته ان يـوحي الـى الناس من مختلـف الأوسـاط مـن فقـراء وأغنيـاء ومتعلمـين وغيـر متعلمين على السواء بالاعتقاد فـي نفسـه وفـي أحكامـه حتـى انهـم يكونوا ثابتين في دينهم رغما عن انهـم مضـطهدون ويحكـم علـيهم بالإعدام دون أي تحقيق او إجراءات ويخنقـون وينشـرون ويطلـق عليهم الرصاص ويضربون بالمـدافع. واذا كـان يتبعـه عـدد غفيـر من أرباب المناصب العالية في إيران والعراق وتركيا ومصر وهم ثـابتون علـى عقيـدتهم فـان حياتـه تعـد مـن الوقـائع العجيبـة التـي حصلت في المائة سنة الفارطة والتي تستحق النظر والدراسة".[1]

وعن الاقتراح الذي قدمه الباب الى الملـك للمثـول هـو وعلمـاء الدين المسلمين في محضره للمباهلة واثبات حجته وحقيقة دعوتـه، جاء في "مقالة سائح" للبروفيسور براون صفحة 14:-

"أرسل الباب خطابا يطلب فيه مـن الحضـرة الملكيـة الاجتمـاع واعداد مجلس ليظهر فيه أحقية أمره وقال انه سـيكون لـذلك نتـائج مفيدة".

وذكر جوبينـو فـي كتابـه "الفلسـفة والأديـان فـي أواسـط آسـيا" بخصوص المباهلة التي طلب الباب عقدها، واستعداده لتقديم رأسه

1 كتاب اللمحة للسير فرانسيس ينجهاسباند صحيفة 183-184.

ورؤوس أتباعه إذا فشل في اثبات دعوته في محضره ومحضر العلماء، قال:-

"ان علي محمد (الباب) كتب بنفسه الى البلاط ووصل خطابه في نفس الوقت الذي وصلت فيه خطابات أعدائه وبدون ان يتعرض للملك، وبالعكس طلب منه العدل والإنصاف وأظهر ان أخلاق العلماء تغيرت في إيران من زمن بعيد وفسدت كما هو معلوم للجميع. فلم يقتصر الأمر على فساد الأخلاق بل انه بسبب خطأ الكثيرين من المفسدين أصبح الدين في حالة حرجة وقريبا من التلاشي بالكلية بحيث يترك الناس في ظلمات حالكة... وذكر له ان الله أمره برسالة خاصة لاصلاح هذه المفاسد وانه ابتدأ يوضح لأهالي فارس (ايران) بأن الدين الحق هو الترقي الظاهر السريع وانه أخمد جميع مقاوميه حتى أصبحوا في عجز تام أمام الجمهور وهذا لم يكن سوى مقدمة وطلب من عظمة السلطان الاذن له بالحضور للعاصمة مع تلاميذه المشهورين وان يهيئ له مجلسا للمناظرة مع العلماء ومع جميع الملاوات في المملكة وان يكون ذلك بحضرة السلطان والكبراء والعامة وذكر انه متأكد انه سيغلبهم ويخجلهم ويبرهن له على عدم صدقهم وأمانتهم. وانه سوف يسكتهم كما أسكت الملاوات من الكبير والصغير من الذين قاموا ضده وانه اذا لا سمح الله لم يغلبهم في هذه المعمعة فليحكم السلطان عليه بما يشير به لأنه مستعد ان يقدم رأسه ورأس أتباعه له".[1]

وعن سرعة كتابة الباب بخط يده، جاء في كتاب "كشف الغطاء" لأبي الفضل، وهو من كبار علماء البهائية، قال:-

"وذكر في "كشف الغطاء": ان الباب نطق بما لا يقل عن ألفين آية في تلك المرة وكانت سرعة نزول الوحي مدهشة في نظر

1 كتاب الفلسفة والأديان في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 124.

السيد يحيى كما كان جمال الآيات وما أفعمت به من المعاني الدقيقة مدهشة أيضاً".

وجاء في كتاب "التاريخ الجديد" عن غزارة كتابات علي محمد الباب، ما يلي:-

"وكانت الجموع تهرع لزيارة الباب من كل مكان وكان عدد الكتابات والألواح التي صدرت من قلمه في تلك المدة عديدة بدرجة انها بلغت مائة ألف آية".[1]

ويقول الباب عن نفسه في الجزء الثاني من كتاب البيان الفارسي (الجزء الأول العربي يحتوي على غالبية أحكام شريعته) في الصفحة 132، ما يلي:-

"ولقد أعطاه الله من القدرة وقوة البيان والبلاغة ما اذا كتب الكاتب البديع بكل سرعته يحصل على ما يوازي القرآن في ظرف يومين وليلتين مما ينزل من معدن هذه الكلمات)(مترجم).

وورد في كتاب "قيوم الأسماء" أو تفسير سورة يوسف، وهو أول الكتب التي كتبها الباب بعد اعلانه دعوته، ما يلي:-

"ولا تقولوا كيف يكلم عن الله من كان في السن على الحق بالحق خمسة وعشرونا، اسمعوا فورب السماء والارض إني عبد الله آتاني البينات من عند بقية الله المنتظر إمامكم هذا كتابي قد كان عند الله في أم الكتاب بالحق على الحق مسطورا وقد جعلني الله مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلوة والصبر ما دمت فيكم على الارض حيا...".

1 كتاب التاريخ الجديد صفحة 238.

وفي "مقالة سائح" ذكر المستشرق براون ان الباب قال في الواحد الثاني من الباب الأول من كتاب البيان:

"واذا تفكر أحد في ظهور سدرة الباب ليعتقد بدون تردد في علو وسمو دين الله لأنه من شخص مر من حياته أربع وعشرون عاما وهو خال من العلوم التي تفقه فيها الكثيرون وتنزل عليه الآيات بدون أي فكر او تردد وفي ظرف خمس ساعات يكتب ألف آية من المناجاة بدون توقف القلم ويصدر من التفاسير والرسائل العلمية ومن الحكمة العالية والتفهم للتوحيد الإلهي مما يعجز عن فهم مضامينه العلماء والفلاسفة. فلا شك انها صادرة جميعها من الله (مترجم).[1]

وورد عن حياة الباب في السجن للكاتب نقولاس في كتابه "السيد علي محمد الباب" قوله:-

"وقد أخبرنا الباب بنفسه عن كيفية حياته في السجن الذي حبس فيه وكان يتألم منه كثيراً وكان ذلك كما هو مذكور في البيان ناتجاً من تشديد النظام اتباعا للأوامر الآتية من وقت لآخر من طهران.

وجميع المؤرخين سواء من المسلمين او البابيين متفقون انه رغما عن الأوامر المشددة بعدم السماح للباب بالاتصال بأحد كانت جموع التلاميذ والأتباع تهرع لمقابلته في سجنه وكذلك كان يفعل غير المؤمنين، وقال مؤلف كتاب المتنبئين. (وكان البابيون من كل الجهات يأتون الى أذربيجان للحج عند رئيسهم).[2]

وعن طريقة محاجة الباب ومحاكمته القصيرة في تبريز من قبل مجموعة من علماء الدين في تلك المدينة وما دار من نقاش خلالها، كتب نقولاس:-

---

1 مقالة سائح ترجمة إنجليزية حاشية من صحيفة 219.

2 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 365 - 367.

"وإذ كان الميرزا محمد حسن متشيعا بعقيدة الملا صدرا الفلسفية سأل الباب: حسنا اذا كنت أنت محمد ففسر لنا ثلاث عجائب تكفي للإقناع: (الأولى) طي الأرض، أي نقل شخص من مكان معين الى آخر يكون غاية في البعد، والشيعة يعتقدون ان الإمام الجواد(ع) كان يفضل هذه الطريقة السهلة في الأسفار، ففي غمضة عين يسافر من المدينة في بلاد العرب الى طوس في خراسان. (الثانية) حضور شخص معين في وقت واحد في جملة أماكن مختلفة، كما كان الامام علي(ع) يحضر ضيفاً على ستين شخص مختلفين. (الثالثة) ما ورد في الحديث بان السماء تدور بسرعة أثناء حكم الظالم وأما أثناء حكم الإمام تدور ببطء، فكيف يكون للسماء حركتان أحدهما سريعة والأخرى بطيئة وكيف كانت حركتها أيام بني أمية والعباسيين؟

هذه هي الأسئلة التي وضعت أمام الباب، ولا أعلق كثيراً ولكنها تدل على مقدار سخافة اعتقادات علماء إيران وان العلم عندهم كان يرتكز مدة ألف سنة على مثل هذه الأوهام، ومهما يكن من الأمر فان الاجتماع فض بإعلان ميعاد الغذاء واستعداد كل شخص بالرجوع الى منزله".[1]

ووصف جوبينو في كتابه "الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى" يوم إعدام الباب وما جوبه به من جموع الناس، قال:-

"وفي الصباح وفي وضح النهار فتح رجال حمزة ميرزا أبواب السجن وأخرجوا الباب ومعه تلميذاه وتأكدوا من سلامة السلاسل التي كانت على رقبته وأيديه وزادوا عليها طوقا حديديا لكل واحد وربطوا فيه حبلا طويلا يمسك طرفه أحد الفراشين (الحرس) لكي يتسنى لكل شخص رؤيتهم وساروا بهم في المدينة وهم يؤذونهم. فامتلأت الشوارع بالناس وأخذوا يزحمون أكتاف بعضهم البعض

1 من كتاب نقولاس المسمى السيد علي محمد الباب صحيفة 239 - 240.

لرؤية الرجل الذي كثر حوله الكلام وانتشرت البابية وأنصاف البابية من كل الجهات وأفرغوا الجهد في إظهار شعور الإخلاص لسيدهم. وتسلل المحايدون والفلاسفة والشيخية والصوفية من الموكب مشمئزين ورجعوا الى منازلهم أو وقفوا على أركان الشوارع يتأملون بتعجب وسكون وأما الغوغاء من العامة فكانوا يصيحون ويضجون ويعاملون الشهداء الثلاثة بغاية الغلظة ولكنهم كانوا مستعدين لتغيير رأيهم عند سنوح الفرصة اذا سمعوا إحساسا مخالفا من بعض الناس. وأخيرا كان المسلمون رؤساء ذلك اليوم اجترءوا على تعذيب المسجونين وكانوا يخوضون غمار نطاق الحراس ليضربوهم على وجوههم وعلى رؤوسهم واذا رمى طفل قطعة زجاج فأصابت الباب او أحد أصحابه في وجوههم كان الحراس والغوغاء يضحكون ويقهقهون".[1]

وكتب فالنتين شيرول في كتابه "المسألة الشرقية الوسطى" عن إعدام علي محمد الباب، أيضا:-

"وقد توفي الباب لا البابية. فلم يكن هو الأول ولا الآخر في سلسلة شهداء أثبتوا انه في مملكة كإيران التي استولت عليها غرغرينة الفساد وانهزلت بداء عدم المبالاة والاكتراث ان دم الحياة لا يزال نباضا بالحياة فيها ولو انها لا يساعدها شيء من الأشياء".[2]

وذكر بعض المؤرخين وشهود العيان من الطرفين الاسلامي والبابي، حادثة غريبة وقعت أثناء تنفيذ حكم الاعدام على الباب ورفيقه أنيس، فذكر ان عملية الاعدام تمت مرتين، حيث اصطف في المرة الأولى سبعمائة وخمسون جنديا في ثلاثة صفوف، كل صف مائتان وخمسون جنديا، انبطح الصف الأول على بطونهم،

1 كتاب الأديان والفلسفة آسيا الوسطى الكونت جوبينو صحيفة 220.
2 المسألة الشرقية الوسطى لوالنتين شيرول صحيفة 120.

بينما جلس الصف الثاني، أما الصف الثالث فقد وقف خلف الجميع، وحالما أعطى الضابط المسؤول الأمر باطلاق النار، أطلق الصف الأخير النار أولا، تبعه الصف الجالس أمامه، ثم الصف الأمامي، وذلك تفادياً لدخان البنادق من حجب الهدف. فكانت زوبعة كبيرة من دخان البارود ملأت المكان وحجبت الرؤية، وعند اجلاء الدخان، وجد الجند ان رفيق الباب يقف أمامهم سليما معافى لم يصب بشيء، بينما اختفى الباب من مسرح الاعدام، أما الحبال التي أوثقوهما بها فقد تقطعت وتفتّت، وبعد البحث عن الباب، وجوده جالسا في نفس زنزانته يكمل حديثا لم يتمه مع أحد أتباعه السجناء قبل عملية الاعدام. فكانت هذه الحادثة الغريبة سببا في انسحاب الفرقة الأولى ورفضها إعادة التنفيذ، وإيمان عدد من الحضور بدعوة الباب، مما دفع القائد الى احضار فرقة اعدام ثانية بنفس العدد السابق بدلا عنها، وفي هذه المرة كانت الاصابات مباشرة بحيث اختلط جسدا الهدفين معا.

وعن وصف حادثة الاختفاء التي حدثت ساعة الاعدام والتي تكاد تكون أقرب الى المعجزة، ورد في كتاب "ديانة الباب" للمسيو هوارت المطبوع في باريس سنة 1889م، قال:-

"فارتفعت ضوضاء كبيرة من الجموع المحتشدة في تلك اللحظة. ذلك لأنهم رأوا الباب بعد ان خلص من الوثاق تقدم نحوهم وهو طليق فأخذ القوم دهشة عميقة لأنهم علموا انه لم يصب ولا برصاصة واحدة مع ان الحبال الذي ربط بها قد تقطعت فكانت هذه الحادثة معجزة حقيقية والله يعلم ماذا حصل في نفس العسكر من الفرقة المسيحية من التأثر والصداقة. وكان العسكر لأجل إخماد ثورة الجمهور وضوضائهم قد استعدوا للاعتقاد في صحة الدين الذي يظهر منه مثل هذه الآيات فأظهروا لهم الحبال المتقطعة للدلالة على عدم صحة المعجزة. وفي الوقت نفسه قبضوا على الباب وربطوه مرة أخرى في الوثاق وفي هذه المرة

حصـل الإعـدام واسـتعادوا للعدالـة الإسـلامية والقـانون الـديني حقوقهما. ولكن العوام الذين شـاهدوا هـذا المنظـر بـأعينهم رجعـوا الى بيوتهم يبكون وهـم معتقـدون ان البـاب غيـر مـذنب. ولـم يكـن خطأه في نظر العموم الا بالنسبة لرجال الـدين وان العـالم مـنغمس في جرائم لا يفهمها".[1]

وعن المعجزة أيضـا، كتـب المسـيو نقـولاس فـي كتابـه (السـيد علي محمد الباب)، قال:-

"ووقعـت حادثـة مـن الغرابـة بمكـان وهـي فريـدة فـي تـاريخ الحوادث. وهي ان الرصاص قطع الحبال الموثق بها ووقـع البـاب على قدميه بدون أن يصاب بأي خدش".[2]

وجاء في نفس المصدر السابق صفحة 379، أيضاً:-

"وباعجوبـة خارقـة للعـادة لـم تمـس الرصـاص سـوى الحبـال والتي كان الباب موثقـا بهـا فتفتتـت وأصـبح طليقـا وكانـت ضـجة كبيرة وصياح من جميع الجهات، وما كان يعلم أولاً سببها".[3]

وكتب نقولاس عن المعجـزة أيضـا فـي الصـفحات 203،204، 376، من كتابه (السيد علي محمد الباب)، قال:-

"وكان المسيحيون يعتقدون انه لو أراد ان ينـزل السـيد المسـيح حيـاً مـن الصـليب لفعـل وان موتـه كـان برضـائه وليـتم النبـوات. وكذلك كان الحال للباب كما يقول البابيون. فقد توفي برضـائه لأن بموته نجاة الإنسانية. فمن ذا الـذي يحكـي لنـا الكلمـات التـي قالهـا الباب وسط الضوضاء ومن يعرف ذلك التذكار الذي حرك روحـه

1 من كتاب المستر هوارت المسمى ديانة الباب صحيفة 3-4.
2 من كتاب نقولاس السيد علي محمد الباب صحيفة 375.
3 نفس الكتاب صحيفة 379.

الطيبة ومن الذي يعرف أسرار وفاته... وكانت الشناعة والقباحة والشرور والأكاذيب الصادرة من علماء الدين قد أثارت روحه الطاهرة النقية فشعر بضرورة إصلاح عميق في الأخلاق العامة. وكم من مرة أستوقفه الأمل في تلك الثورة التي حركته لإنقاذ الأحباء من نير التوحش والمشاق التي أثقلت كاهل جميع أهالي إيران لمنفعة طائفة من المترفين... والمتمتعين مع ما وصموا به دين الرسول من العار والخزي فزاد تحيره واشتد كربه. وكان يلزمه الثلاث معادن التي تكلم عنها هوريس لأجل ان يغمس رأسه في بحر من الأوهام والضغائن التي كان عليه ان يتحملها حتى الموت. وهذا مثال من أمثلة الشجاعة المجيدة الذي أعطاها للإنسانية ليتأملوها وهذا برهان عظيم على المحبة التي جلبها هؤلاء الأبطال الى مواطنيهم. فانهم ضحوا بأنفسهم لأجل الإنسانية ولها أسلموا أجسامهم وأرواحهم وتحملوا الآلام والتعذيب والحرمان والاستشهاد وختموا على معاهدة الاخوة العامة بدمائهم كعيسى وفدوا حياتهم لإعلان حكم الصلح والسلام والعدالة ومحبة الجميع وكانوا يعرفون أكثر من غيرهم تلك الأخطار التي هددتهم والتي تتابعت على رؤوسهم ويعلمون يقينا بذلك الغيظ والحنق الذي يستوجبه التعصب كما هو منتظر. ولكن جميع هذه الأمور المنتظرة لم تثنهم عن السير في الطريق الذي اعتزموا السير فيه رغما عن ذلك ولم يكن للخوف أي تأثير على قلوبهم ودخلوا في ذلك الآتون المتقد وهم على غاية من السكون وبدون ان يلتفتوا الى الوراء وهم متمالكون لأنفسهم".[1]

ومن رسالة كتبها الشاب محمد علي (أنيس) الذي أعدم مع الباب، الى أخيه الأكبر، تتضح درجة اعتقاده بسيده واستعداده للتضحية بحياته في سبيله، جاء في "التاريخ الجديد"، لميرزا

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 203 و 204 و 376.

حسين همدان المترجم عن الفارسية بواسطة البروفيسور براون، والمطبوع في مطبعة جامعة كامبردج سنة 1893م، جاء:-

"والبرهان على صدق وثبات هذا الرجل الشريف ظاهر من خطاب أرسله من السجن بخط يده الى أخيه قبل مقتله بثلاث أيام او يومين والخطاب في حوزة أخ المذكور المدعو ملا عبد الله من أهالي تبريز وكان ذلك ردا على خطاب الأخ المذكور الذي طلب منه فيه الرجوع عن الإخلاص لهذا الأمر الذي سبب له السجن الذي هو فيه. وفي هذا الخطاب يبسط السجين (أنيس) أوجه عذره. ولما كان هو الأخ الأصغر لذلك حرر الخطاب بالاحترام اللازم وكان مضمون الخطاب كآلاتي: (هو الرحيم) يا من هو قبلتي أحمد الله اني لم أجد خطأ في أموري ولكل مجتهد نصيب. أما ما كتبت لي بأن هذا الأمر ليس له آخر فأي أمر اذا يكون له آخر وانا لم نأسف لوقوعه بل حقا انا عاجزون عن شكر هذه النعمة. وأقصى ما في الأمر هو ان أذبح في سبيل الله. فوا فرحي لذلك وان إرادة الله نافذة في عبيده ولن تقدر التدابير ان تمنع المقدور. فما أراده الله يكون ولا حول ولا قوة الا بالله. فيا عزيزي ان نهاية هذه الحياة الموت كل نفس ذائقة الموت. فاذا شاء الله ونفذ المقدور الذي أراده جل وعلا لأجلي فالله خليفتي على أسرتي وانك تكون وصيا عليهم وتعمل معهم بما يرضي الله. فسامحني اذا قصرت في واجب الاحترام او الحقوق نحو أخ أكبر واطلب لي الغفران من جميع أهل المنزل واتركني لحراسة الله فهو نصيبي وهو خير الحافظين.[1]

وكتب جوبينو في كتابه "الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى" عن خطأ الاعتقاد بفشل البابية من خلال قتل الباب، قال:-

1 من التاريخ الجديد صحيفة 301 - 303.

"وإذ توفي رئيس الديانة الجديدة. وتبعا لحساب الميرزا تقي خان الرئيس الوزير استتب الأمن في الأرواح المنزعجة على الأقل ولكن الحكمة السياسية كانت في هذه الدفعة مخطئة فبدلا من إطفاء النيران زاد اشتعالها بشدة. فاذا رجعنا الى الأحكام التي أتى بها الباب نرى ان دوام الطائفة واستمرار وجودها لا يتوقف على وجوده بل بالعكس ما زالت مستمرة في طريقها وآخذة في الزيادة ولو كان الوزير الرئيس يعلم هذه النقطة الأساسية في دين عدوه، لكان من الجائز انه لا يتعجل في إهلاك الرجل الذي لا يهم وجوده من عدمه".[1]

وعن خوف رئيس وزراء ايران من حضور الباب الى العاصمة والخشية من تأثيره على الشاه، جاء في "المجلة الآسيوية":-

"مع ذلك فقد جاء حساب رئيس الوزراء مخطئا في خوفه ان حضور الباب الى طهران يحدث اضطرابات جديدة وهذا ما كان يتوقع حصوله بسبب سوء ادارته وإتباع هواه فأصدر أمره للحرس وهم على بعد 30 كيلو من طهران ان لا يحضروا اليها مع أسيرهم الباب وان يسيروا به الى ماكو وهي التي ظن ان الباب لا يقدر فيها على أي عمل لأن أهلها يقاومون أي اضطراب نظراً لما أولاهم من الحماية".[2]

وكتب الكونت جوبينو عن أحوال أهل مدينة شيراز في تلك الأيام ما يلي:-

---

1 كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى للكونت جوبينو صحيفة 224-225.

2 المجلة الآسيوية 1866 جزء 7 صحيفة 356.

"وكان الملاوات في فارس قد ضجروا وملوا ورأوا انهم عاجزون عن إيقاف تيار الحركة التي هددتهم ولكنهم لم يكونوا هم وحدهم المخيرون بل ان السلطات المحلية في المدينة والأقاليم أيضا علموا ان الأهالي الذين كانوا دائما يشقون عصا الطاعة قد اصبحوا خارجين عن قبضة يدهم لان أهالي شيراز هوائيون مستهزئون مهرجون محبون للثورة والهياج ووقحون للغاية ولم يكونوا في وقت ما سلسي الانقياد للدولة القاجارية وكانوا دائما مصدر تعب للحكام فماذا يكون الحال بالنسبة لهؤلاء الحكام اذا كان الرئيس الحقيقي للمدينة والبلاد والحكم النافذ على الجميع ومعبود الكل شاب صغير (الباب). البتة لا يخضع لأحد منهم فلا تبادل للمنفعة بينه وبينهم بل انه يعمل لاستقلاله ولا يخشى ان يتهجم في كل يوم على ما هو معروف وثابت من الاصول والأوضاع المحترمة والقوية في المدينة ومع انه في الحقيقة والواقع لم يكن الحكام ولا أرباب السلطة مقصودين بالذات وبالتشديد عليهم من المصلح الجديد (الباب) ولكن لما كان قاسيا على العلماء وأرباب الدين ولا يلين فيما يختص بتشديد النكير عليهم وزجرهم عن النهب والسلب لذلك كان من المشكوك فيه انه في ذات يوم ربما يوجه نظره فيما بعد للحكام والموظفين. ولا يحجم إذ ذاك ان يوبخهم أيضا كما وبخ العلماء على ما لم يقدروا على ستره".[1]

وورد في "البيان الفارسي" الجزء الأول ص 43، وهو أحد كتب الباب نفسه:-

(انه في مسافة خمس ساعات ظهر منه ألفا آية بسرعة لا تكفي إلا للإملاء وبقدر ما يكتب الكاتب ومن ذلك يمكن الحكم (إذا أمكن العد) كم من الكتب أنزلت وانتشرت بين الناس منذ ابتداء الدعوة للآن). (ترجمة).

1 كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 122-123.

وفي الجزء الثاني من "البيان" صحيفة 132، يقول:

(ولقد أعطاه الله من القدرة وقوة البيان والبلاغة ما اذا كتب الكاتب البديع بكل سرعته يحصل على ما يوازي القرآن في ظرف يومين وليلتين مما ينزل من معدن هذه الكلمات). (ترجمة).

وجاء عن سرعة كتابة الباب ما يلي:-

"وكانت الجموع تهرع لزيارة الباب من كل مكان وكان عدد الكتابات والألواح التي صدرت من قلمه في تلك المدة عديدة بدرجة انها بلغت نحو مائة ألف آية".[1]

1 كتاب التاريخ الجديد صحيفة 238.

الفصل الرابع

نبذة مختصرة عن البابية[1]

المؤسس: ميرزا[2] سيد علي محمد بن سيد محمد رضا بن ميرزا أبو الفتح بن ميرزا ابراهيم بن ميرزا نصر الله الحسيني الشيرازي الملقب (الباب).[3]

ولادته: في الأول من محرم سنة 1235هجرية، 20 اكتوبر (1819م) في مدينة شيراز (ايران)، توفي والده وهو طفل صغير.

عمره وقت إعلان الدعوة: 25 عاما و 4 أشهر و 4 أيام.

مكان إعلان الدعوة: مدينة شيراز - إيران.

نسبه: من نسل الرسول محمد بن عبد الله(ص) أباً وأماً.

---

1 اقتبست غالبية معلومات هذا الفصل من كتاب تاريخ النبيل (مطالع الأنوار) لمحمد نبيل زرندي بتصرف الكاتب.

2 كلمة ميرزا تعني باللغة الفارسية (سيّد) دلالة على الاحترام اذا جاءت قبل الاسم، أما اذا جاءت بعد الاسم فتعني انه من الأمراء.

3 الباب (1819-1850): لقب مؤسس البابية على محمد الشيرازي له كتاب البيان. مات قتيلا. (كتاب المنجد في اللغة والأعلام) دار المشرق بيروت الطبعة الحادية والعشرين – بيروت في 1 كانون الثاني 1973.

الحالة الاجتماعية: تزوج سنة 1258هـ، وله ولد اسمه احمد، توفي وعمره سنة واحدة.

إعلان الدعوة: 23 مايو سنة 1844م الموافق 5 جمادى الأولى (1260هـ).

مدة الدعوة: من سنة 1260هـ حتى 1266هـ (1844-1850). قضى غالبيتها في السجن.

تحصيله العلمي: درس في (الكتّاب) لمدة سنتين تقريبا لتعلم القرآن الكريم حين كان عمره خمس سنوات.

مهنته: تاجر في مدينة بوشهر.

كتبه: له أكثر من عشرين كتابا، أهمها كتاب (البيان) جزئين (عربي وفارسي) احتوى على أهم أحكام شريعته البابية، تفسير سورة الكوثر، تفسير سورة البقرة، تفسير سورة يوسف أحسن القصص (كتاب قيوم الأسماء)، كتاب الدلائل السبعة، الصحيفة العدلية، تفسير سورة الفاتحة، تفسير سورة والعصر، كتاب الشؤون الخمسة، الصحيفة الرضوية، كتاب الأسماء، كتاب جزا، كتاب زيارة نامه، كتاب الرجعة، كتاب صحيفة بين الحرمين، كتاب في المسائل الثلاثة، تفسير سورة التوحيد، كتاب تفسير سورة القدر، الرسالة الذهبية، وله مجموعة كبيرة من الأدعية والمناجاة.

استشهاده: 9 تموز (يوليو) سنة 1850م الموافق 28 شعبان 1266هـ، أعدم رمياً بالرصاص في مدينة تبريز وله من العمر 31 سنة وبضعة شهور.

في سنة 1844م (1260هـ) أعلن في إيران في مدينة شيراز شاب ينتسب الى بيت آل الرسول محمد(ص) يدعى السيد علي

محمد (الباب) انه المهدي المنتظر وانه رسول من الله، وكان عمره آنذاك خمس وعشرون سنة. ولد هذا الشاب في أول محرم سنة 1235هـ (1819م) في نفس المدينة، وتوفي والده السيد محمد رضا وهو صغير السن فكفله خاله الحاج السيد علي ورعاه وحاول تعليمه فأدخله الكتّاب وكان عمره خمس سنوات ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم، لكن الشيخ عابد صاحب الكتّاب أرجعه الى خاله وأوصاه به وقال له انه يختلف عن بقية الأطفال ومن المحتمل ان يكون له شأن كبير في المستقبل، فاحتفظ به في البيت وأرعاه حتى يكبر. لكن الخال لم يصدّق قول الملا واعتقد ان الصبي قد أخل بنظام الدرس، فأمره بالعودة الى الكتّاب. ولم تمض فترة بسيطة حتى أعاد الأستاذ الطفل الى الخال مرة أخرى لنفس السبب ومع نفس التوصية، فقرر الخال إشراكه في التجارة معه. فسافر الى ميناء بوشهر وعمره سبعة عشر عاما يتاجر مع خاله في الخردوات واشتهر في تلك المدينة بالتقوى والاستقامة وحسن السلوك الذي لا يظهر الا على قلة من الناس، مما اكسبه ثقة من حوله في المدينة. بعد انقضاء عدة سنوات عاد الشاب الى مدينة شيراز وتزوج سنة 1843م ورزق بصبي اسمه احمد توفي وعمره سنة واحدة.

كان أول المؤيدين للباب رجل دين يدعى الملا حسين بشروئي من أتباع الشيخ أحمد الاحسائي[1] (مؤسس المذهب الشيخي)

1 ولد في رجب سنة 1166هـ (24 ابريل – 24 مايو سنة 1753م) في بلدة الاحساء من اقليم الاحساء في الشمال الشرقي من جزيرة العرب (انظر مقالة عن الشيخية للمؤلف ا.ل.م. نقولاس جزء أول صفحة 1). وتبعا للمستر أ.ج. براون، ولد الشيخ احمد سنة 1157 هجرية وتوفي سنة 1242هـ (انظر مقالة سائح حاشية إي صفحة 235). وكان عمره 81 سنة، ووضع جسده في مقبرة البقيع في المدينة المنورة، وراء حائط مرقد الرسول. ونقل جسده الى المدينة ودفن في مقبرة البقيع خلف حائط القبة النبوية الى جهة الجنوب تحت ميزاب المحراب. ويقال ان هناك ايضا قبر فاطمة، امام بيت الحزن "صفحة 60-61 من مقالة في الشيخية". توفي

في مكان يدعى الحدّة بجوار المدينة "انظر مقالة في الشيخية صفحة 60 جزء أول". ولد شيعيا ولو ان أجداده كانو من أهل السنة (صفحة 2). وتبعا للمستر إي.ج. براون، ولد الشيخ احمد سنة 1157هـ وتوفي سنة 1242هـ (انظر مقالة سائح حاشية إي صفحة 235). وكانت نسبته كما رواها نجله الشيخ عبد الله ما يلي: الشيخ احمد بن زين العابدين بن ابراهيم بن صقر بن ابراهيم بن ظاهر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ بن صولح (كتاب مقالة على الشيخية صفحة 1 جزء أول تأليف نقولاس). ان أخص عقائد الشيخ احمد هي كما يأتي: (ان جميع العلوم والمعارف موجودة في القرآن ولأجل فهم معاني بواطنه الكلية يقتضي معرفة العلوم ابتداء والاطلاع عليها ولأجل ايضاح هذه العقيدة كان يستعمل طرقا حرفية في تفسير الكتاب، واجتهد ان يطبق عليه جميع أنواع العلوم المعروفة في العالم الاسلامي، وكان يبدي احتراما زائدا للأئمة وخاصة للامام جعفر الصادق وهو السادس في ترتيب الأئمة وكان دائم الاقتباس من أقواله. وفيما يتعلق بأحوال الآخرة وقيام الأجساد، كان اعتقاده معدودا من الهرطقة، فقد قرر ان جسم الانسان مكون من أجزاء متباينة مستمدة من الطبائع الأربعة والأجسام التسعة السماوية، وأما الجسم الذي يقوم في يوم القيامة لا يتكون الا من الأجزاء السماوية. وأما الطبائع الأربعة فانها تعود الى أصلها بمجرد الوفاة. أما هذا الجسم الهرقولي فهو الذي يعود، وبسبب هذه الآراء اعتبره باقي العلماء مبتدعا واتهموه بأنه يوافق آراء الملا صدرا أكبر فيلسوف ايراني في الزمن الحديث (انظر جريدة الجمعية الآسيوية الملكية سنة 1889م، مقالة عدد 12 صفحة 890-891). عدد نقولاس في كتاب مقالة عن الشيخية في الفصل الخامس نحوا من 96 كتابا مما كتبه الشيخ احمد ومن بينها ذكر أشهرها كما يأتي: 1 شرح الزيارة على الجامعة الكبير للشيخ هادي 2 شرح آية قل هو الله أحد 3 الرسالة الخاقانية جواب فتح علي شاه على سؤاله بخصوص امتياز القائم على أسلافه 4 رسالة في الأحلام 5 جواب الشيخ موسى البحرين بخصوص دعوى صاحب الزمان 6 جواب الصوفية 7 جواب الملا نهدي الاسترابادي في معرفة النفس 8 في نعيم وجحيم الحياة الاخرى 9 جواب الملا علي أكبر في أحسن الوسائل للوصول لله 10 في القيامة 11 ذكر نقولاس في مقدمته على كتاب رسالة في الشيخية: اقتبس الآتي من الأقوال التي تنسب للشيخ احمد مما قاله للسيد الرشتي "لا يوجد سوى السيد كاظم الرشتي الذي يعرف مقصدي ولا يقدر ان يفهمه أحد خلافه، فاطلبوا علومي من السيد كاظم الرشتي،

وضمن من كانوا يبحثون عن الامام المنتظر لاقتراب وقت ظهوره في تلك الفترة حسب اعتقادهم، فأنزل الباب في تلك الليلة تفسير سورة يوسف بطريقة أذهلت الملا وأفقدته وعيه عدة مرات، وكانت سرعة الكتابة كبيرة جداً لدرجة أن حبر بداية الصفحات لم يجف بعد حتى تكون الصفحة قد ملئت تماماً. فآمن به بعد مشاهدة تطابق كل العلامات على شخصه، ثم تبعه في ذلك رفاقه تلاميذ الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي[1]. بعد ايمان هذه المجموعة وكان عددها ثمانية عشر شابا من طلاب الفقه وعلماء الدين الإسلامي، أطلق عليهم سيدهم اسم (حروف الحي)[2] وكان من بينهم العالمة الشاعرة (قرّة العين) التي لم تلتق بالباب حتى وقت اعدامها، أما أسماء تلك المجموعة فهي:-

---

فلقد تلقاها مني مباشرة وهي التي تلقيتها من الأئمة الذين تلقوها من رسول الله(ص). فهو وحده الذي يعرف مغزى كلامي".

1 توفي السيد كاظم في يوم عرفه سنة 1259هـ في سن الستين من عمره. خصص نقولاس الفصل الثاني من الجزء الثاني من مقالة عن الشيخية في تعداد المائة وواحد وثلاثين رسالة من رسائل السيد كاظم، وأهمها 1 شرح الخطبة التطنجية 2 شرح القصيدة 3 تفسير آية الكرسي 4 أسرار شهادة الإمام الحسين 5 في الهيئة 6 دليل المتحيرين. ويقال أن رسائله زادت على 300 رسالة (انظر مقالة سائح حاشية ي صفحة 238). ودفن خلف شباك البهو الموجود بقبر أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب)، وقد حفر عميقا ومائلا في عمقه نحو مدخل فناء الحرم. وانتشرت عقائد السيد كاظم حال حياته في جميع أنحاء ايران، وكان له في العراق وحده مائة ألف مريد. (من الجريدة الآسيوية سنة 1866 جزء 7 صفحة 463).

2 يشير الباب الى حروف الحيّ في البيان الفارسي (الواحد الأول الباب الثاني) بقوله:- وجميعهم يكونون اسم (الحيّ) لأنها أقرب الأسماء الى الله. وأما غيرهم فيهتدون بهداهم وأعمالهم المدلة، لأن الله قد ابتدأ بهم في خلق البيان واليهم يعود هذا الخلق للبيان، فهم الأنوار الذين كانوا منذ القدم ساجدين وسيكونون الى الأبد ساجدين أما عرش السماء (البيان الفارسي جزء أول صفحة 24-25).

1 - ملا حسين بشروئي.[1] 2 - محمد حسن (أخوه). 3 - محمد باقر (ابن خاله). 4 - ملا علي البسطامي. 5 - ملا خدا بخش قوچاني (وسمي فيما بعد ملا علي) 6 - ملا حسن بجستاني 7 - سيد حسين يزدي 8 - ميرزا محمد روضه خوان يزدي 9 - سعيد هندي 10 - ملا محمود خوئي 11 - ملا جليل أرومي 12 - ملا

---

1 وعن تأثير رحلة الملا حسين بشروئي أول مؤمن بالديانة البابية في نشر دعوة الباب كتب نقولاس:-

وكانت رحلة بشروئي في أصفهان نصراً للباب وآمن العديدون من المشاهير ولكن في الوقت نفسه جلب ضغينة العلماء الرسميين حتى انه اضطر الى مغادرة المدينة وكان إيمان الملا محمد تقي الهراتي وهو عالم من الطبقة الأولى قد أشعل غضبهم للنهاية خصوصاً وان هذا الأخير كان ممتلئاً من الحماس وكان في كل يوم يصعد المنبر ويخاطب الناس بدون ستر عن عظمة الباب الذي كان أعطاه رتبة النائب الخاص عن الإمام الثاني عشر. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 255).

وكتب الكونت جوبينو عن الملا حسين أيضا:- وكان الزائر (الملا حسين) يزيد في مدة اقامته كلما أراد واحتاج لعمل المحادثات والمقابلات في المدن والبلاد والقرى والجدال مع الملاوات واظهار كتب الباب وتبليغ الدعوة. وكان الناس في كل مكان يستمعون له بفروغ صبر. ويبحثون عنه متعجبين ويستمعون له بلهف ويقبلون الدعوة بسهولة وخاصة في نيسابور حيث قبل الدعوة اثنان من مشاهير العلماء وهما الملاّ عبد الخالق من يزد والملاّ علي الصغير، وكان أولهما من تلاميذ الشيخ احمد الاحسائي وكان عالما متضلعا في العلوم وله تأثير على الناس وذا فصاحة في المنطق، وكان الثاني شيخياً أيضا وذا أخلاق صلبة وله اعتبار عظيم ويشغل وظيفة المجتهد الاول في المدينة وأصبح الاثنان بابيان. وكانا من منابر المساجد يصيحان بتنبؤات قاسية على الإسلام وفي مدة الأسابيع الأولى ظن العموم ان الدين القديم قد زحزح نهائياً. أما العلماء الذين تذمروا من تخلية رئيسهم خشوا من الخطابة العامة التي ما كانوا يقومون بها الا نادراً فلم يشاؤوا ان يظهروا وولوا الأدبار. ولما وصل الملا حسين بشروئي الى مشهد وجد الأهالي منقسمين قسمين في أمره ووجد العلماء متهيجين وقد عيل صبرهم وعزموا على اجراء مقاومة قوية للحملة التي وجهت اليهم. (من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 139- 140).

أحمد أبدال مراغه اى 13 - ملا باقر تبريزي 14 - ملا يوسف أردبيلي 15 - ميرزا هادي بن ملا عبد الوهاب قزويني 16 - ميرزا محمد علي قزويني 17 - قرة العين (الطاهرة) 18 - محمد علي (القدوس).

إدعى هذا الشاب انه (المهدي المنتظر) الذي يترقب ظهوره غالبية المسلمين في آخر الزمان، وجاء بعدة كتب أهمها كتاب البيان المكوّن من جزئين الأول باللغة العربية ويعتبر الأساس في مجموعة كتبه ويحتوي على غالبية أحكام البابية والثاني باللغة الفارسية وتضمن آيات إلهية مختلفة في التوحيد والعقيدة واللاهيات. ومن كتبه العديدة[1]:- 1 البيان الفارسي 2 البيان العربي 3 قيوم الأسماء 4 صحيفة بين الحرمين 5 الدلائل السبعة 6 تفسير سورة الكوثر 7 تفسير سورة والعصر 8 كتاب الأسماء 9 الصحيفة المخدومية 10 الصحيفة الجعفرية 11 زيارة شاه عبد العظيم 12 كتاب بنج شأن 13 الصحيفة الرضوية 14 الرسالة العدلية 15 الرسالة الفقهية 16 الرسالة الذهبية 17 كتاب الروح 18 سورة التوحيد 19 لوح الحروفات 20 تفسير النبوة الخاصة 21 رسالة الفروع العدلية 22 الخصائل السبع 23 لوح لمحمد شاه ولوح لحاجي ميرزا أقاسي.

نادى الباب بأحكام جديدة متطورة تختلف بعضها عما في المجتمع والفكر الإسلامي، فآمن به الكثير من المسلمين في إيران والعراق من مختلف المذاهب بل وآمن به بعض اليهود وعلى الخصوص رجال الدين والأحبار. وعندما لاحظت القوتان المتسلطتان في ذلك الوقت (المدنية والدينية) سرعة انتشار دعوة هذا الشاب بين الناس، خشي أفراد العائلة القاجارية الحاكمة ورجال الدين من تغيير حال الدولة الى وضع جديد يجهلون

1 يقول الباب نفسه في إحدى فصول البيان الفارسي ان كتاباته لا تقل عن 500ر000 ألف آية.

عواقبه، دفعهم في ذلك خشيتهم على مصالحهم، فاتفقت هذه القوتان اللتان تعتبران أكبر قوتان في ذلك الوقت (رجال الدين ورجال السياسة) على إفناء هذه الفئة الجديدة وإطفاء فكرها. فقاموا عليها قوم رجل واحد وبطشوا بها، يساندهم في حملتهم ما نشروه من أفكار مشوهة ضد الفئة الجديدة لوثوا بها أفكار البسطاء وشوّشوا آراء المترددين. وكانت النتيجة قتل أكثر من عشرين ألف نفس بأبشع الطرق التي استنبطتها أفكار تلك الفترة المظلمة، بل زاد العدد فيما بعد نتيجة استمرار الاضطهاد الى ثلاثين ألف، منهم من وضعوا هدفاً لإطلاق الرصاص بين جموع المهدفين ومنهم من علق بحبل من قدميه متأرجحاً واستقبل بجسده الرصاص ومنهم من ربطت قدميه بشجرتين شدّتا لبعضهما ثم تركتا لتعودا الى مكانهما حتى تشطرا جسد الضحية الى نصفين ومنهم من قطّع بالفؤوس والحراب ومن سلخ جلده وحشّي تبناً ومن قطعت رؤوسهم ورفعت على سنان الرماح وتبودلت كهدايا بين المسؤولين في أنحاء إيران ومن ذبحوا فوق أحضان أمهاتهم وآبائهم ومن أحرقوا قبل او بعد استشهادهم ومن قطّعوا إرباً إرباً، ومنهم من أخرجوا من قبورهم ومُثل بأجسادهم، ومن ثقبت وحفرت أجسادهم وثبتت فيها الشموع الموقدة وسيقوا في الشوارع كالسفن في ظلمات الليل، ومن بترت أمشاط أقدامهم وأدخلت في الزيت المغلي لوقف نزيفها ثم سمّرت في أسفلها حدوات الخيول وأجبرتهم سياط الجلادين وعصيّهم على السير والركض وسط صرخات المتفرجين وضحكاتهم. أما ما حصل للنساء البابيات، فمنهن من أجبرن على الطلاق من أزواجهن ليزوجن لغيرهم ومنهن من أحرقن ومن شوّهن ومن تركن في أحواض المياه عرايا وسط برد الشتاء القارس ومن علقن على أعمدة المشانق ومن دفنَّ أحياء ومن سيقنَّ عرايا بين دقات الطبول وأصوات المزامير والأبواق بين صيحات السكارى ورنين الكؤوس وغير ذلك من الطرق التي لا يمكن للقلم أن يطرح عن وجهه نقاب الحياء ليذكره ولا يمكن لصفحات الكتاب ان تتجرد عن قيم الأدب

والأخلاق لتحمله، والتي أثارتها الأحقاد الدفينة التي لم تفرق بين أخ وحبيب وصديق وقريب وجار وعزيز، وكبرت شرارة الشرور لتقسم أفراد العوائل على نفسها والبيوت على أهلها فتقاتلوا. ولمّا لم يجد أصحاب الفكر الجديد فرصة للحياة بين مواطنيهم، حاولوا الدفاع عن أنفسهم في الأماكن التي كان عددهم يسمح بذلك، لكن كثرة جموع المهاجمين وأعداد الجيوش وعدتها والوعود الكاذبة والحنث بغلاظ الايمان على الكتب المقدسة كل هذه ساعدت على استسلامهم وذهبوا جميعا طعمة لسيوف خصومهم أما من كانوا قليلي العدد ويسكنون أماكن نائية، فهؤلاء كان حظهم أسوأ من رفاقهم، إذ سهلت على مهاجميهم مهمة التخلص منهم بسرعة وقتلوا ولم يبق من ذكرهم أثر الا ما سجله المؤرخون عنهم. وفي النهاية كانت نتيجة المذبحة إخلاء أرض إيران من أتباع الدين الجديد تقريبا.

بعد إعلان الباب لأمره الجديد وإيمان حروف الحي الثمانية عشر به، قرر السفر الى مكة لأداء فريضة الحج وإعلان دعوته فيها خلال موسم الحج، واصطحب معه آخر مؤمن به من حروف الحي (الملا محمد علي). وخلال موسم الحج أعلن الباب لشريف مكة ولعامة الحجاج انه القائم الموعود والمهدي المنتظر الذي ينتظره كل المسلمين. وبعد إتمام مراسم الحج، عاد الى مدينة شيراز ووجد ان دعوته قد انتشرت بين الناس وازدادت أعدادهم لتصل الى المئات والألوف.

عندما كبرت دعوته وزاد شأنها بين الناس، وصل خبرها الى الملك، فحاول التقصي عنها ومعرفة حقيقتها، فقرر إرسال أكبر عالم إسلامي يعتمد عليه في دولته لفحص الأمر وكان اسمه وحيد للتحقق من الموضوع، فسافر هذا الشيخ الجليل من طهران الى شيراز ليمتحن الشاب ودعوته، وكان خلال سفره يرتب طريقة المناقشة ويسلسل الأسئلة العويصة التي سيطرحها عليه. وعند

وصوله التقى الشاب في أول لقاء لهما ودام حوالي الساعتين كان فيها الشيخ وحيد هو المتكلم والشاب هو المنصت، فخاض في مختلف المواضيع الفقهية والعلمية والدينية وصال وجال في محضر الشاب بطريقة أشعرته بالخجل والارتباك رغم كبر سنه وشهرته، وشعر في داخله (كما كتب عن ذلك بنفسه) انه تمادى في الكلام، فقام ليترك المكان مسرعا. وفي اليوم التالي قرر ان يدخل في صلب الموضوع مباشرة ويطرح أسئلته وينهي النقاش فما أمامه الا فتى صغير السن، وعندما دخل محضر الشاب أدرك لفرط دهشته انه نسي كل ما عزم على طرحه من أسئلة وطبق عليه الصمت ولم يستطع ان ينبس ببنت شفة في محضر مضيفه، فقام مضيفه بعدما أدرك حالة الشيخ وهدأه وقدم له الشاي. ولشدة استغراب وحيد وجد ان مضيفه راح يجيب على جميع أسئلته التي نسيها بطريقة سهلة يسيرة لم يسمع بها من قبل، فقرر وهو في أشد حالات الارتباك ان يلملم عباءته ويترك المكان ويهرب بسرعة الى مسكنه وهو يتساءل في نفسه ان كانت أجوبة الشاب هي من قبيل الصدفة أم ان هذا شيء من الله؟ أما في اليوم الثالث وعند أول دخوله غرفة مضيفه، أدرك من أول نظرة، قوة شخصية الشاب غير العادية وعظمته، وفهم ان من أمامه ليس كما كان يعتقد، وانتابه شعور بالضعف والوهن خاصة عند حصول ما سبق وقرره مع ذاته، فقد قال لو أنزل هذا الشاب تفسير سورة قرآنية معينة بدون ان يسأله او يخبره عنها فسيكون ذلك تأكيدا لقدراته الغيبية. لذلك وقع على الأرض بين يدي (الباب) وأعلن إيمانه حال نزول التفسير. ثم أرسل الى الملك رسالة بيد أحد أتباعه تقول إني وجدت الملك الحقيقي ولا يمكنني العودة الى سابق عهدي. وكان إيمان هذا الشيخ سببا في استشهاده في النهاية بعد ان جذب آلاف الناس الى الدين الجديد.[1]

1 وكان السيد جعفر بعيدا عن معتقدات الشيخية والملا صدرا ومع ذلك فان حماسه المتوقد وأفكاره المستنيرة قد أخرجته من مأزق الشيعة الضيق،

بعد عدة سنوات من بداية الدعوة ونتيجة لقيام ثلاثة من الشبان البابيين بمحاولة غبية فاشلة للاعتداء على حياة ناصر الدين شاه انتقاما لمقتل مولاهم. قامت قيامة أهل إيران ضدهم بمؤازرة رجال الدين والدولة فأبادوهم جميعا في كل أنحاء البلاد تقريبا. ولخضوع أرض العراق آنذاك للحكم العثماني ولقربه من أرض إيران ولوجود العتبات المقدسة لدى الشيعة فيه وجالية كبيرة من الإيرانيين المقيمين هناك، التجأ بعض من استطاع الهرب من البابيين من الذين تخفوا في سواقي المياه وأقبية البيوت وفي الخرائب والصحارى والعراء الى بغداد في العراق والضواحي القريبة منها هرباً من المذابح الجماعية، وهناك استطاعوا بعد فترة من التشرد والتردد والخوف والتستر من ترتيب صفوفهم تحت قيادة أحد أبرز رجال البابية الذي عانى الكثير من العذاب والاضطهاد ومصادرة الأموال والنفي والسجن، وهو حسين علي (بهاءالله)، الذي نفث فيهم روح العقيدة من جديد وربّاهم تربية روحانية في ظروف قاسية صعبة، وخلال أثني عشر سنة، استطاع ان يعيد هيكلة أتباع الباب ويعلن لهم انه الرسول الثاني الذي يأتي بعد مبشره الباب والذي بشرت بهما معاً (حسب قوله)

فكان يفسر الأحاديث بطريقة تخالف طريقة أقرانه ويدعي انه أخترق السبعين يعني من المعاني الباطنية للقرآن... وكان نجله الذي على أثره اجتاز هذه الصعوبات قد بلغ من العمر 25 سنة تقريبا وأتم دروسه وجاء ليستقر في طهران وفيها اتصل قلبه بكل من اعتقد فيه العظمة والامتياز وهو الذي اختير من الشاه وأمر ان يذهب الى شيراز وان يتصل بالباب ويستعلم بقدر ما يستطيع ليعلم السلطة المحلية بالنتائج السياسية التي يمكن استنتاجها من الإصلاح الذي يظهر عليه انه سيقلب وجه المملكة (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 387-388).

وكتب نقولاس:- والحق يقال ان كتابة تفسير جديد على سورة عويصة بدون توقف قلم أدهش السيد يحيى ولكن الذي زاد في دهشته انه وجد في نفس التفسير ما كان يعتقده بنفسه واكتشفه بتأملاته في الثلاث آيات وبذلك اتفق مع المصلح في تفسير كان يظن انه وحده المكتشف له وان غيره لم يطلع عليه (من كتاب السيد علي حمد الباب لنقولاس صحيفة 234).

جميع الكتب السماوية سابقا، فانضم اليه غالبية البابيين وآمنوا بدعوته، وعرفوا فيما بعد باسم البهائيين.

بانتشار الدعوة البابية، خاف رجال الدين من اهتزاز مكانتهم وقرروا محاربتها والقضاء عليها، حتى وصلت أيديهم الى نفس الباب، فأمروا بفتوى من كبار العلماء بإعدامه وكان ذلك في مدينة تبريز 9 يوليو 1850م.

الفصل الخامس

قرّة العين (الطاهرة) في سطور

كانت هذه المقدمات والفصول ضرورية لتمهيد الدخول في موضوع الكتاب ولأخذ فكرة واضحة عن قدرة وشجاعة هذه الشابة الشاعرة التي ظهرت في ذلك الزمان وفي تلك الظروف القاسية. كانت ذات بيان بليغ وقدرة واسعة وفصاحة لا تجارى، جميلة الوجه ذات فطرة سليمة وضمير منور واشتهرت بين أقرانها انها معجزة زمانها وفريدة عصرها حتى ان بعض المنصفين من أعدائها اعترفوا لها بالفضل والعلم والكمال.

ولأخذ فكرة واضحة عن قدرة وشجاعة هذه الشابة الشاعرة التي ظهرت في ذلك الزمان المبكر وفي تلك الظروف القاسية، يطرح السؤال التالي:-

لو ان امرأة في هذا اليوم ونحن نجتاز نهاية القرن العشرين ومع كل هذا التقدم والتطور العالمي، نهضت في مدينة النجف الأشرف أو في كربلاء المقدسة أو في جامعة الأزهر أو حتى بين مباني الفاتيكان أو بين أحبار اليهود، ونادت بدين جديد وأفكار جديدة، وخالفت العرف ونزعت عن وجهها الحجاب وطالبت بتحرر المرأة وضرورة مساواة حقوقها مع الرجل!

فماذا سيكون شكل الرد عليها؟

نترك الجواب للقارئ الكريم.

***

اسم هذه المرأة التاريخية هو (فاطمة) بنت محمد صالح البارقاني القزويني.[1] نسبة لجدتها والدة أبيها ولكن عائلتها كانت تناديها (أم سلمه) الا أن هذا الاسم لم يستعمل فيما بعد. ولدت في سنة 1817م (1233هـ) في مدينة قزوين في ايران.[2] لقّبها أستاذها السيد كاظم الرشتي (قرة العين)،[3] ولقّبها بهاءالله في مؤتمر بدشت (الطاهرة)، وكانت تعرف بين أهلها بـ الزكية و(زرين تاج) أي ذات التاج الذهبي، ولقّبت أيضاً (النقطة)، و(النقطة الجذبية) وكذلك (قبسة نار محبة الله) و (الورقة المنجذبة).

والدها الملا محمد صالح البارقاني (ولد وعمّيها في مدينة بارقان) وهو مجتهد دين في مدينة قزوين، درس وتعلم في قزوين

---

1 جاء في كتاب مطالع الأنوار:- وكان والدها حاجي ملاّ صالح القزويني وأخوه الملاّ تقي من كبار المجتهدين في ايران ومن المتبحرين في الأحاديث الإسلامية والمحترمين من العموم ومن جميع أهالي طهران وقزوين وغيرها من كبار مدن ايران. وكانت متزوجة بالملاّ محمد بن الملاّ تقي عمها ويسمونه الشيعة بالشهيد الثالث، ومع ان أسرتها كانت من بالاسري فانها بمفردها كانت تميل الى تعاليم السيد كاظم الرشتي وتظهر محبتها واخلاصها له. وورد عنها في كتاب المنجد: قرّة العين (توفيت 1852م) امرأة قزوينية. اتقنت العربية والحديث والقرآن. قبلها علي محمد (الباب) في مصاف أركان الديانة البابية. حوكمت وأعدمت.

2 وذكرت مارثا روت في كتابها (الطاهرة أعظم امرأة ايرانية) انها ولدت حوالي سنة 1819م او 1820 كما سمعت، فلقد أحرق الكتاب الذي سجّل تاريخ ميلادها مع بقية كتبها وملابسها في اليوم التالي لمقتلها. الا أن المؤرخين والأحفاد الذين يعرفونها قد اتفقوا على انها ولدت بين (1817 و 1820).

3 وللدلالة على إعجابها بشخصيته كتبت له رسالة للدفاع عن تعاليم الشيخ احمد وقدمتها اليه، فأجابها السيد برسالة مكتوبة بأرق العبارات وافتتحها بقوله (يا قرة عيني وفرح فؤادي)، ومنذ ذلك الوقت أطلق عليها اسم "قرة العين". (مطالع الأنوار).

وقم واصفهان وكربلاء له ثلاثة أبناء، ولد وبنتان عبد الوهاب وفاطمة ومرضية. عمها الكبير الملا محمد تقي كبير مجتهدي مدينة قزوين وإمام الجمعة فيها، وهو عدو لدود للباب، مات قتلاً سنة 1263هـ ولقّب بالشهيد الثالث. عمها الأصغر يدعى الحاج ملا علي وأصبح فيما بعد شيخياً ثم من أتباع الباب المخلصين. تزوجت من ابن عمها الملا محمد بن الملا تقي وأصبح فيما بعد امام الجمعة في قزوين. أخوها الأكبر عبد الوهاب القزويني مجتهد وعالم دين، أختها الأصغر مرضية عالمة وفاضلة معروفة تزوجت من أقا ميرزا محمد علي بن الحاج ملا عبد الوهاب مجتهد قزوين وكان لهما بنتاً واحدة.

تزوجت قرّة العين من ابن عمها وعمرها ثلاث عشرة سنة ثم انفصلت عنه بعد إيمانها بدعوة الباب وعودتها من بغداد الى قزوين في ايران. لها ولدان وبنت، وهما الشيخ إسماعيل والشيخ اسحق وبنت اسمها ساره، هرب أولادها من بيتهم بعد مقتل والدتهم بسبب معاملة والدهم القاسية، فذهب أحدهم الى النجف والثاني سكن قريبا من طهران، أما البنت فقد توفيت بعد فترة قصيرة من وفات والدتها.

اشتهرت بذكائها الخارق وفصاحتها وشجاعتها المطلقة وجمالها الأخاذ وسعة علمها وإطلاعها الواسع بالدين الإسلامي والقرآن والحديث والتفسير والفقه واللغة العربية واللغة الفارسية والشعر باللغتين.

قتلت خنقاً سنة 1852م (1268هـ) بأمر ناصر الدين شاه[1] ورجال الدين في طهران. وكانت في عنفوان الشباب وعمرها حوالي ستة وثلاثون عاما.

***

جاء على لسان عبد البهاء نقلا من كتاب "مقالة سائح في البابية والبهائية" المطبوع في مصر سنة 1923 صفحة 21، عن قرّة العين (الطاهرة) ما يلي:

(ومن أولئك نذكر السيدة الملقبة بـ (قرّة العين) ابنة الحاج ملا صالح الفاضل القزويني العالم النحرير، ولقد كانت على ما هو المشهور ماهرة بارعة في فنون شتى وأدهشت وحيرت في المنطق والبيان عقول الفحول وكانت سفراً جامعاً في الحديث والتفسير وآية باهرة في علوم ومطالب الشيخ الجليل الاحسائى (احمد زين الدين الاحسائى) واقتبست المسائل الإلهية من السيد كاظم الرشتى في العتبات العالية ثم فدت بروحها نصرة الباب عن طيب خاطر ورضاء وكانت الجذوة الموقدة في المباحثة والمناظرة مع العلماء والفضلاء ذربة اللسان صاحبة فصاحة وبلاغة وتبيان في اثبات مطالبها، وشاع ذكرها وذاع خبرها وطار صيتها حتى امتلأت قلوب العلماء والعرفاء شوقاً الى استماع مقالها وتوقاناً الى الوقوف على قوة نظرها واستدلالها، وهي ذات الذهن الوقاد وصاحبة العرفان والوله والانجذاب وفاقت وبرزت في غير مرة على رؤساء الجدل وكشفت الاشكال عن دقائق المسائل وعويصات المطالب، ومن غريب نبئها انه لما سجنت بطهران في بيت المحافظ، اتفق إذ ذاك قيام إحدى العائلات

1 يقال ان ناصر الدين شاه لم يأمر بقتلها، بل التزم الصمت فاستغل أعوانه هذا السكوت وأمروا بقتلها. وكان قبل ذلك قد دعاها لتكون زوجته الأولى في القصر، ولها في ذلك رد جميل سنأتي عليه. (المترجم).

بعرس في البيت المذكور دعي اليه نساء أعيان المدينة فحضرن، ففي لجة الفرح والمرح شرعت في البيان والتقرير فلما أن خاضت غمرة الافصاح والتبيان وسمعن منها ما قالت اندهشن بحيث ذهلن عن ذلك الفرح والمرح واستدرن حولها ولهين عن النغمات باستماع كلماتها واستغنين عن لطائف ذلك العرس بمشاهدة غرائبها والإعجاب بعجائبها ولا غرو فانها كانت داهية الدهر في التقرير وفتنة الكون في الاحتجاج والتعبير، وما وجد الخوف واليأس الى قلبها سبيلاً، ولا كان لنصائح المشفقين الناصحين لها تأثير عليها، وهي وان كانت من ربات الحجال لكنها فاقت فحول الرجال وفازت بقصب السبق في ميدان الكمال. وعضت بالنواجذ على الاستقامة الى أن أسلمت الروح في طهران بافتاء العلماء العظام. وفي هذا النموذج كفاية فان التفاصيل تفضي الى التطويل والاطناب). (انتهى).

وكتب عنها الكاتب والمؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني في كتابه (البابيون والبهائيون) المطبوع في صيدا سنة 1957. جاء في صفحة 72:

(روّج دعواه هذا (الباب) بنت الملا صالح البراقاني القزويني التي لقّبها السيد كاظم الرشتي بـ " قرّة العين " وهي التي حملت عائلة السيد الرشتي الى ترويج خلافة السيد علي محمد الباب وحملت هذا على تحمله لنفقات العائلة المذكورة وخدمات قرة العين له تواريخه غنية عن البيان).

وكتب في تعليقه على مؤتمر بدشت:

(على أثر اعتقال السيد علي محمد (الباب) في قلعة ماكو وضرورة تحديد المبادىء الشرعية التي جاء بها من الديانة الاسلامية عقد أقطاب البابية مؤتمراً في (بيداء بدشت) وقد تناول المجتمعون البحث في هذين الأمرين الرئيسين: أولا، انقاذ الباب

من اعتقاله ونقله الى مكان آمن. ثانيا، وضع حد فاصل بين البابية والاسلام. فلذا أصرت (الطاهرة) على وجوب افهام جميع الأحباء واشعارهم بأن للقائم مقام المشرّع وحق التشريع وعلى وجوب الشروع فعلا في اجراء بعض التغييرات كافطار رمضان ونحوه، وأما القدوس فانه وان كان على هذا الرأي الا انه كان متمسكاً بالعادات الاسلامية وبقي القدوس في مكانه قابضاً على سيفه المسلول وعلى وجهه علائم الغضب الشديد وكأنه ينتظر فرصة ليضرب الطاهرة الضربة القاضية، فلم يحركها منظره المهدد بل كان يعلو وجهها الكرامة والثقة التي ظهرت بها عند ابتداء دخولها أمام الجمع المحتشد... ووقفت مكانها وخاطبت الباقين من هذا الجمع غير وجلة ولا مهتمة بما حصل في قلوب أصحابها... (انتهى)

من هذا يمكن اكتساب صورة مبسطة عن قوة وقدرة شخصية الطاهرة! والحقيقة ان هذه السيدة قامت بالكثير من الأعمال التي عجز عنها الرجال بل انها تفوقت عليهم واستنكروا عليها جرأتها في كثير من المواقف، فمنهم من عارضها ومنهم من اشتكاها الى سيدها الباب ومنهم من انتقدها أو وقف ضدها ومنهم من بقي حائراً لا يعرف ماذا يفعل أيكون معها أم ضدها أم ينتظر للنهاية حتى يرى ويحكم، ومنهم من وقف بجانبها وساندها وفداها بحياته.

ومن أعمالها البطولية التي انفردت بها:-

1 - محاججة والدها وعمها واثبات خطأ بعض أفكارهما أمام طلابهما وهي صغيرة السن ما زالت تتعلم في مدرستهما.

2 - سفرها مع أختها مرضية وكانت متفقهة في أمور الدين أيضا، من قزوين في ايران الى كربلاء في العراق وهما ما زالتا شابتان في العشرينات للبحث عن الموعود.

3 - قال لها علماء الدين المسؤولين عن تصحيح أوراق أجوبة الامتحانات التي خاضتها للحصول على درجة دينية في مدينة كربلاء:- ان اتخذنا سبيل الحق والانصاف فإنك أفقه وأفضل كثيراً من جميع الطلبة في مقام العلم والمعرفة، لكنه لا يوجد قانون ديني يقضي باعطاء درجة الاجتهاد للأناث.

4 - درّست طلاب السيد كاظم الرشتي من خلف ستار في كربلاء بعد وفاته وقبل اعلان الباب دعوته.

5 - من أوائل المؤمنين بدعوة الباب وكان تسلسلها السابع عشرة وضمّها الى حروف الحي.

6 - بدأت تعلن إيمانها بدون خوف ولا تقيّة من خلال علاقاتها وأشعارها ودروسها في كربلاء وبغداد وقزوين وطهران.

7 - أمرت بوقف اقامة مراسم العزاء السنوية بمناسبة استشهاد الامام الحسين(ع) في شهر عاشوراء في بيت السيد كاظم الرشتي في كربلاء حيث كانت تقيم في نفس البيت بعد وفاة صاحبه، وأمرت بدلا عنها باظهار الفرح والسرور وبدلت الملابس السوداء بالملونة مما أثار زوابع الاعتراض من قبل رجال الدين في كربلاء ضدها.

8 - درّست البابية في بغداد في بيت محمد شبل وبيت مفتي بغداد محمود الآلوسي وكان لها معهما مناقشات طويلة، آمن بعدها الأول بينما تردد الثاني حسب ما صرّح به شخصياً.

9 - طلبت محاججة علماء الدين في بغداد حول صحة الدعوة الجديدة.

10 - رفضت العودة الى بيت الزوجية وفضلت الانفصال عن زوجها لسوء سلوكه وتباين عقيدتيهما مما أثار حقده الشديد، فحاول قتلها بالسم عدة مرات وهي سجينة.

11 - كانت تظهر يديها وتكشف القناع عن صفحة وجهها أمام المؤمنين بدينها وتسترهما بحضور الغرباء.

12 - أخذت على عاتقها مهمة إعلان انفصال تعاليم الدين الجديد عن الديانة الإسلامية في مؤتمر بدشت.

13 - أعلنت لأول مرة مساواة حقوق المرأة مع الرجل في ذلك الزمان الموغل في التعصب وضرورة خروج النساء من كفنهن الأسود.

14 - كانت أول قائدة لمجموعة من الرجال.

15 - قضت مجمل فترة إيمانها بالدين البابي محبوسة او سجينة او منفية.

16 - ذهبت الى الموت وقابلت جلادها بشجاعة نادرة خلّدها التاريخ.

الفصل السادس

اعتناق قرّة العين للبابية

يبدو من تاريخ حياة الطاهرة انها كانت من اوائل المؤمنين بالدعوة البابية، فقد كان ترتيبها السابع عشر، وتشير جميع المصادر البابية ان حروف الحي الثمانية عشر آمنوا خلال فترة قليلة حال اعلان الباب دعوته الى الملا حسين بشروئي. من هذا يتضح ان الطاهرة آمنت في بداية دعوة الباب وقتلت مع غالبية البابيين في المذبحة الكبرى في ايران سنة 1952م. ومن خلال تاريخ ايمانها يتضح انها حبست في البداية في كربلاء في بيتها لمدة ثلاثة شهور وكتب الحاكم رسالة الى الحكومة العثمانية يستفسر فيها عن كيفية التصرف معها بعد ان قام ضدها علماء الدين في كربلاء والنجف ثم سفرت الى بغداد بعد ان تاخر وصول الرد ثم حبست أول الامر في بغداد في بيت الشيخ محمد شبل ثم في بيت مفتي بغداد محمود الآلوسي[1] ثم جاء الرد من استنبول يقضي بتسفيرها الى ايران باعتبارها تحمل الجنسية الايرانية فسافرت على عجل خلال يوم واحد مع جمع من مريديها من الشيوخ ورجال الدين والملالي وعدد من النسوة وخلال الطريق

1 خلال القرون الماضية لم يكن هناك سجن مخصص للنساء، لذلك كن يحبسن في بيوت رجال الدين او كبار رجالات الدولة. (من كتاب اللورد كرزون ايران والمسالة الايرانية جزء 1 صفحة 458).

كانت تبلغ الامر الجديد في كل مدينة وقرية تمر بها وعند وصولها الى مسقط رأسها قزوين حبست في بيت والدها ولم يكن يسمح لها بالخروج من غرفتها الى للوضوء وحيكت المؤامرات من قبل زوجها ووالده لتسميمها وقتلها وعندما ضاقت بها الامور والظروف القاسية انقذها بهاءالله ونقلها الى العاصمة طهران،[1] فكانت رحلة تهريبها عملية جريئة ملئت بالحذر والترقب. بعد فترة وجيزة قررت الانضمام الى أقطاب الدعوة البابية في مؤتمر بدشت فسافرت الى هناك ومكثت لمدة ثلاثة اسابيع نفذت خلالها دورا مهما بين كبار رجالات البابية. بعد انتهاء المؤتمر سافرت لتعاني من هجوم الغوغاء والعامة في القرى المحيطة بمكان المؤتمر وخلال عودتها الى طهران تم اعتقالها ونقلها لتحبس في بيت رئيس الشرطة لمدة قاربت على الثلاث سنوات، تعرضت في بدايتها لعمليات التحقيق والسؤال والجواب حتى من قبل صاحب البيت نفسه وكانت في كل مرة تتغلب على المحققين بكل سهولة ويسر بفضل علمها وفصاحتها وبراهينها القاطعة.

يقول عنها أخوها عبد الوهاب القزويني وهو رجل دين معروف في مدينته ورث العلم والمعرفة عن والده: (نحن جميعا من اخوة وأولاد عم لم نكن نملك جرأة التكلم في محضرها ومناقشتها ابداً، فمعلوماتها كانت ترعبنا جميعا، وأي مسألة او رأي نبحث فيه او يصعب علينا كانت تفسره وتوضحه بالادلة والبراهين فوراً وبارقام الصفحات وأسماء الكتب وبدون تأمل وكأن جميع كتب القبل والبعد مفتوحة أمام عينها مما يشعرنا جميعا بالخجل وتلزمنا السكوت. وكانت تحضر مجالس درس والدها وعمها وتجلس خلف حجاب بينما كان عدد الحضور يتراوح بين مائتين الى ثلاثمائة طالب وعندما كانت تتكلم يستمع لها الجميع بمنتهى العجب وتوضح مسائل الدرس بصورة جلية

1 سيرد تفصيل طريقة الانقاذ في الفصل العاشر.

واحيانا تثبت خطأ رأي والدها او عمها امام الحاضرين مما حدى بالعلماء المتعصبين والمغرورين الى الاعتراف بغزارة علمها وقبول بعض نظرياتها، وأدى ذلك الى انتشار صيتها بين بقية المدن الايرانية الاخرى على انها اعجوبة ومعجزة زمانها).

يمكن القول ان هذه الشابة تحملت من الاضطهاد والمعاناة والعذاب والاهانة والضرب والاعتداء والتسفير والحجز والحبس، اضافة الى ان مدة حبسها واعتقالها دامت طوال عمر الديانة البابية، منذ اعلان الباب لدعوته في سنة 1844م وحتى بعد استشهاده سنة 1850م بسنتين، من هذا يتضح انها كانت عمودا مهما من اعمدة الدعوة ونجما ساطعا بين نجومه وقوة وحماسة لا تدانى، خاصة وانها عاشت في بلاد لا تعطي للمرأة أي حق او دور في المشاركة الاجتماعية. لقد بزغت هذه الفريدة كالنيزك المشع في سماء تخلف ورجعية ايران في منتصف القرن التاسع عشر.

تقول المصادر البابية والبهائية ان ايمان الطاهرة بالرسالة البابية كان كالتالي:-

في نهاية العقد السادس من القرن الثالث عشر الهجري، كانت الطاهرة من اتباع المذهب الشيخي، وكان هذا المذهب يدعو اتباعه الى الاستعداد لاستقبال ظهور القائم خلال فترة قصيرة جدا اعتمادا على معاني الآيات القرانية والاحاديث الشريفة واحاديث الائمة الاطهار، وقد تحقق (حسب اعتقادهم) هذا الوعد في سنة الستين (1260هـ) عندما اعلن الباب في مدينة شيراز انه القائم الموعود. وبما ان الطاهرة كانت تتوقع هذا الظهور مثل غيرها من علماء الديانات السابقة فقد آمنت بدعوته على الفور، وحصل ذلك من خلال طريقين، الاول هو مشاهدتها لهيكل شاب في رؤيا لها اثناء نومها وهو يقرأ بعض الآيات والادعية اللطيفة، فاسرعت

لتسجيل احداها حال استيقاظها قبل ان تنساها. وحدث ان قرأت بعد فترة نفس الآية في كتاب تفسير سورة يوسف الذي انزله الباب اثناء اعلانه دعوته والذي احضره لها الملا علي البسطامي احد حروف الحي، وعلى الفور آمنت بالرسالة الجديدة. والطريق الثاني هو انها ومن خلال حاستها الروحانية المرهفة شعرت بقرب وقت الظهور الجديد فكتبت رسالة اعتراف بالرسالة الجديدة قبل ظهورها وارسلتها مع شقيق زوج اختها ممن استعدوا للسفر للبحث عن القائم الموعود بعد ان حان موعد ظهوره، وطلبت منه ان يسلم رسالتها اليه بمجرد ان يكتشف مكانه ويتعرف عليه. وبالفعل فقد استطاع الرسول بفضل الصلاة والدعاء وممارسة الخلوة الاربعينية والاستعداد الروحاني، العثور على القائم الموعود والايمان به وكان المؤمن السادس عشر، ثم قدّم للباب رسالة اعتراف الطاهرة. فقبلها الباب ضمن اوائل المؤمنين به الثمانية عشر وكان تسلسلها السابع عشر. ومما هو جدير بالذكر، ان اليهود والمسيحيين كانوا ينتظرون في نفس الوقت وحسب التقويم الميلادي ذات الظهور، الا انهم اخطاوا في تقدير المكان فذهبوا الى فلسطين واقاموا فيها ينتظرون عودة المسيح، ولا زالت ابنيتهم قائمة هناك حتى الان.

ويبدو ان البروفيسور براون قد اخطا في اسم حامل رسالة الطاهرة الى الباب، حيث ذكر اسم الملا حسين بشروئي بدلا عن الملا محمد علي القزويني في كتابه "التاريخ الجديد"، فقد ذكرت مارثا روت نقلا عنه:-

انه بعد فترة التعبد التي قام بها الاتباع، بدا العديد منهم في البحث عن القائم الموعود. وعندما همَّ الملا حسين بشروئي بالسفر الى شيراز، قالت له الطاهرة بانه سيلتقي بالموعود، وطلبت من أخيها الروحاني هذا ان يبلغ المعلم الجديد ولاءها الشديد له ويسلمه الرسالة التي كتبتها. وعندما قابل الملا حسين بشروئي ميرزا علي

محمد في شيراز الذي اعلن انه هو الباب، امن به على الفور وقدّم له رسالة الطاهرة، ومن ساعتها قبلها الباب كواحدة من اتباعه الثمانية عشر "حروف الحي".[1]

يبدو أن هناك فرق واضح بين زمن ارسال رسالتها الى الباب، وبين ساعة اعتناقها اليابية، فالرسالة ارسلت مع زوج أختها الملا محمد علي قبل سفره للبحث عن الباب في ايران، بينما كان اعتناقها للبابية بعد عودة الملا علي البسطامي من ايران وتسليمها كتاب تفسير سورة يوسف.

يذكر صاحب كتاب كشف الغطاء، التالي:- (ان الطاهرة قد ابلغت برسالة الباب بواسطة الملا علي البسطامي الذي زار كربلاء في سنة 1844م (1260هـ) بعد عودته من شيراز).

ويعتبر مؤرخ الديانة البابية نبيل زرندي أوثق مصدر بابي يطلعنا على بداية تاريخ ايمان الطاهرة في كتابه "مطالع الانوار" الفصل الثالث، حيث يقول في صفحة 64:-

(لما علمت الطاهرة بسفر زوج اختها المدعو محمد علي من قزوين، سلمته خطابا مختوما وطلبت منه ان يسلمه الى ذلك الشخص الموعود الذي لابد وان يقابله اثناء بحثه، وافهمته ان يقول له:

لمعات وجهك اشرقت وضياء طلعتك اجتلى

قـال ألسـت بربكـم قلنـا بلى قلنـا بلـى

وقد قابل ملا محمد علي زوج اختها، الباب واقبل الى دعوته وسلّمه الخطاب واوصل اليه الرسالة، فأقرها الباب ضمن حروف

1 من كتاب "الطاهرة اعظم امرأة ايرانية" لمارثا روت.

الحيّ. وكانت الوحيدة من بين حروف الحيّ الثمانية عشر التي لم تقابل الباب، الا انها قد شاهدته ببصيرتها الخفية الثاقبة.

ويقال... آمن ملا علي البسطامي ايضا بالباب، ثم ارسل بعدها ليعود الى كربلاء حاملا البشارة، واخذ معه واحدا من كتب الباب ويدعى "احسن القصص"، وعندما قرأته الطاهرة وجدت بين صفحاته الدعاء الذي سمعته في رؤياها. فغمرتها فرحة كبيرة لانها تأكدت ساعتها تماما، ان ميرزا علي محمد الموجود في شيراز، انه هو الباب الجديد (المظهر الالهي). ولقد قرأت الطاهرة الكتاب بتمعن ولهفة، وارسلت وراء ملا علي البسطامي وسالته كثيرا عن الباب. فآمنت وبدات على الفور بترجمة الكتاب الى الفارسية، وكذلك كتبت تعليقاتها الخاصة عن هذا الكتاب الاول. كما انها كتبت بعض الكتب بالفارسية وألّفت قصائد عن الباب ولقد نهضت بمحبة خالصة لتنفيذ واجباتها المقدسة).

وكتب عبدالبهاء في كتابه "تذكرة الوفاء" باللغة الفارسية فصلا قصيرا خاصا عن قرّة العين (الطاهرة). ومن بين العديد من نقاطه:-

(ان بعض تلامذة السيد كاظم الرشتي بعد وفاة معلمهم ذهبوا الى مسجد الكوفة ليصوموا ويبتهلوا ويتضرعوا لمدة اربعين يوما. وكان من بينهم الملا حسين بشروئي والملا علي البسطامي. وبقي الاخرون ينتظرون في كربلاء ومن بينهم الطاهرة، فكانت تصوم وتتعبد خلال النهار، وفي المساء كانت تصلي وتدرس الكتب الدينية. ذات ليلة، شاهدت في رؤيا لها، شابا من السلالة النبوية واقفا في الهواء، ثم سجد وصلى، وسمعت احدى أدعيته وحفظتها عن ظهر قلب، ثم اسرعت بتسجيلها عند استيقاظها.

كان للطاهرة ولدان وبنت ولم يعترف منهم احد بالامر، وكانت درجة اطلاعها وعلمها على شان ان والدها كان كثيرا ما يأسف

ويقول: "لو كانت ولدا، لكانت أضاءت بيتي وخلفتني". وقد اطلعت على كتابات الشيخ احمد وهي في منزل ابن عمها ملا جواد وكانت تستعير كتبا من مكتبته وتاخذها معها الى المنزل. وكان والدها يعارضها في اعمالها، وذات مرة اثناء محاولاته معها بعنف انتهرها وازدرى تعاليم الشيخ احمد، فلم تلتفت الطاهرة الى نصائح والدها واشتغلت بمكاتبة السيد كاظم سرا وهو الذي سمّاها "قرة العين" وكان لقب "الطاهرة" مقترنا باسمها وقت ان كانت في "بدشت"، ووافق الباب على ذلك اللقب، وتركت قزوين الى كربلاء أملا في لقاء السيد كاظم، ولكنها وصلت بعد وفاته بعشرة ايام، واجتمعت مع تلامذة المرحوم وقضت وقتها في العبادة والتضرع في انتظار ظهور الموعود الذي اخبر عنه السيد كاظم، وبينما كانت في تلك المدينة، رأت رؤيا وهو ان شابا سيداً يلبس رداءً اسوداً وعمامة خضراء، ظهر لها في السماء وكان رافعا يده بالدعاء وتلاوة آيات كَتبت احداها في دفترها، ولما استيقظت تاثرت من الرؤيا العجيبة، ولما وصلها فيما بعد كتاب أحسن القصص وهو تفسير الباب لسورة يوسف، وجدت لفرط سرورها الآية التي سمعتها في الرؤيا مكتوبة. وكان ذلك الكشف مؤيدا لها في تصديق الدعوة الجديدة واخذت على نفسها ترجمة احسن القصص الى الفارسية وبذلت أقصى جهدها في نشره وتفسيره. وكان منزلها في كربلاء محاطا بالحرس الذين عينهم الحاكم لمراقبتها ومنعها من الاختلاط بالعامة، ومن كربلاء سافرت الى بغداد ومكثت مدة في منزل الشيخ محمد شبل ثم نُقلت من منزله الى منزل اخر، واخيرا نُقلت الى منزل المفتي وفيه مكثت ثلاثة اشهر).

وكتب عنها المؤرخ نقولاس في كتابه "السيد علي محمد الباب":-

وكان من بين ذرية الملا صالح بنت تدعى زرين تاج (أي التاج الذهبي) جذّابة منذ صباها، وبدلا من صرف وقتها في اللعب، كانت تمضي اغلب اوقاتها في استماع المحادثات الدينية في اسرتها، وتمكنت بذكائها من حل مشكلات العلوم الدينية وتجادل في امهات المسائل العويصة. اما الاحاديث فقد اجادتها. ولم يخف سرّها وانتشر وذاع صيتها في المدينة وكان مواطنوها يعتبرونها آية في الدين ولم تكن كذلك فحسب بل آية في العلوم والمعارف وآية في الجمال، واصبح يتلالا من وجهها شعاع نور الجمال حتى دعوها بـ (قُرّة العين).

وكان اخوها عبد الوهاب القزويني الذي ورث العلم والشهرة من والده يحكي بنفسه: (اننا جميعا من اخوة واولاد عم، ما كنا نقدر ان نتكلم في حضرتها، لان علمها كان يرعبنا واذا تصادف وتكلمنا عن مسألة فانها كانت تتكلم عنها بكل وضوح واتقان على البداهة حتى نعلم اننا أخطأنا السبيل ونتركها ونحن متحيرون).

وكانت تحضر دروس والدها وعمها في نفس البهو الذي كان يجتمع فيه من التلاميذ ما ينوف عن مائتين او ثلاثمائة تلميذ، ولكنها كانت تحتجب وراء ستار. وكانت كثيرا ما تدحض ادلة هذين العالمين في بعض المسائل دينية. وزادت شهرتها في الاوساط العلمية في فارس. وكان العديدون من علمائها لا يحجمون عن ان يتبعوها في كثير من ارائها، ومع ذلك كان من رأي اهل الشيعة ان الاسلام لا يجعل للمرأة مقاما في شيء الا للولادة، فهي لا تفضل عن الحيوان في شيء. وقد تزوجت وهي صغيرة السن بابن عمها محمد قزويني الذي كان امام الجمعة في المدينة، ثم سافرت الى كربلاء فيما بعد، وهناك حضرت دروس السيد كاظم الرشتي، وكانت موافقة على اراء معلمها لانها وجدتها منطبقة على ارائها وافكارها. وبذلك اصبحت قزوين مركز العقائد الشيخية. وكانت كما سنرى فيما بعد حادة الفهم سليمة الفكر بعيدة

النظر هادئة الخلق وذات شجاعة فائقة. وقد أدى مجموع اجتهادها الى الاشتغال بمسالة الباب. وسَمِعَتْهُ يتكلم عند عودته من قزوين. واشتد اعجابها بما تعلمته من ذلك حتى انها واصلت الكتابة مع ذلك المصلح وليقينها فيه اشهرت ايمانها. فقامت لذلك قيامة العلماء واشتد حنقهم وحاول زوجها ووالدها واخوتها عبثا التاثير عليها كي ترفض التمسك بهذه الضلالة الخطرة. ولكنها لم تقبل ولم تتزعزع واعلنت دينها الجديد بكل قوة.[1]

ويبدو ان صاحب كتاب كشف الغطاء قد اعتبر الملا علي البسطامي هو مبلغها الاول باعتباره اول من سلمها كتاب الباب "تفسير سورة يوسف"، فقد جاء في صفحة 93:-

(بُلغت الطاهرة الرسالة من ملا علي البسطامي الذي زار كربلاء سنة 1260هـ بعد عودته من شيراز).

وكتبت مس مارثا روت في كتابها (الطاهرة اعظم امرأة ايرانية) باللغة الانكليزية ما ترجمته:-

اشتهرت الطاهرة ايضا باسم "قرة العين"، وهي اشهر امرأة في تاريخ ايران وستبقى ذكراها الى الابد. وبما انني سافرت خلال القارات الخمس، فقد شاهدت كيف ان حياتها أثرت في النساء والرجال في كل انحاء العالم. ولاحظت كيف ان قصائدها يلتمسها العلماء في كل بلد، واعلم ايضا ان من بين البهائيين من يتخذ حياة الطاهرة مثالا ساميا يبتغي الوصول اليه، مع ان الفترة كانت اقل من تسع سنوات من وقت سماعها عن ظهور الباب الى زمن شهادتها بسبب محبتها لحقيقته، الا ان حياتها الرائعة بقيت منذ ذلك الحين تبدو لنا في كل يوم مثل "معلم حيّ ".

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 273-274.

تصور في ذهنك واحدة من أجمل شابات ايران، عبقرية، شاعرة، أعلم علماء عصرها في القران والحديث، تصورها ابنة عائلة ضليعة في الفقه والادب، وابنة أعظم وأعلى مجتهد ديني في المقاطعة، غنية جدا، تتمتع بمكانة اجتماعية رفيعة، تعيش في قصر فخم جدا، متميزة بين رفيقاتها الشابات بشجاعتها غير المحدودة. تصور ماذا يعني هذا بالنسبة لامرأة شابة مثلها ما زالت في العشرينات، لتقف كأول امرأة حواريّة لرسول، هنا يمكنك ان تفهم هذه الحكاية.

لهذه المرأة الايرانية الشابة قوة عميقة جدا، وتعرف هذه المَلَكَة بالبصيرة الثانية. لاحظت دائما في التاريخ ان أولياء الله قادرون على التنبؤ بمستقبل الأحداث! وتساءلت مع نفسي في بعض الأحيان، هل كانت الطاهرة لمّاحة بما فيه الكفاية لتقول:- "يا الهي، أهب حياتي لتثبيت هذا الدين بين البشر". وهل كانت بحاجة أيضا لتتدرب على الاشتياق الى تقديم حياتها كشهيدة لخدمة هذا الظهور العالمي الجديد؟ من المؤكد اننا نعلم انها في اول انبهارها الروحاني المتالق، شعرت بمسئولية كونها واحدة من اتباع الباب. فلقد كتبت في احدى قصائدها الاولى: "شاهدت على بوابة قلبي اثر وخيام فاجعتي!"

لقد ذهبت الى البيت التاريخي لتلك المرأة الشابة الشهيرة. كان مكانا كبيرا جميلا بنوافذ مزخرفة، ويبدو انه كان في زمانه من اجمل المساكن في مناطق ايران في تلك الانحاء. اطلعني احد اقربائها على جناح السيدات في القصر حيث ولدت الطاهرة، ثم اخذني الى مكتبة جميلة رائعة في الطابق الثاني حيث كانت الطفلة الصغيرة تجلس للقراءة، الصبية التي اصبحت فيما بعد شاعرة واول شهيدة في اسيا الوسطى من اجل تثقيف ومساواة المرأة ونزع الحجاب! اطلعني على السجن والقبو للقصر العظيم حيث سجن الوالد ابنته، لكن القريب قال بلطف: ان والد الطاهرة كان

يحب ابنته الموهوبة رغم انه كان يختلف معها بشدة في المعتقدات الدينية، ولقد سجنها في بيته الخاص محاولا حمايتها من وحشية اولئك الذين كانوا مستعدين لكيّها بالسياخ لانتمائها الى البابية المكروهة، لكنه حتى هو، لم يستطع حمايتها، فلقد جاءوا واخذوها بعيدا الى سجن المدينة. ولقد ذكر لي ان والدته هي الاخت الصغرى للطاهرة.

تذكرت العديد من الاحداث التي اخبرني بها هذا القريب عن الطاهرة، وكتبت كذلك بعناية كل ما قاله لي احفاد البهائيين عنها، فاقدمه لكم رغم اختلاف التفاصيل، الا ان الاحداث تُظهر نفس النور المشرق عن هذه المرأة البهائية الاولى، "حضرة الطاهرة"!

عندما كانت طفلة صغيرة كانت ذكية جدا، وكانت متشوقة جدا للمعرفة والعلم وتحفظ دروسها التي كان والدها يعلمها اياها بسرعة، حيث انه كان من اكبر العلماء والمجتهدين في ايران، وفي النهاية خصص معلما خاصا لها. كان ذلك شيئا غير عادي بالنسبة للبنات في ذلك الوقت، فلم يكن لهن حظا من الثقافة انذاك. وقد فاقت اخوتها في تقدمها واجتهادها، واجتازت اختبارات صعبة في دراسة العلوم الدينية. لقد كان القليل من الرجال في زمانها يعرفون معاني القران والحديث والقوانين الاسلامية مثلما كانت تعرف هي. وبسبب كونها امرأة، لم يمنحوها درجة (مجتهد دين) التي كانت تستحقها بجدارة. وكان والدها يردد بحسرة دائما: "من المؤسف انها لم تولد ذكرا. والا لكانت قد احتلت مكانتي بين علماء الامبراطورية المشهورين".

اسم والدها الحاج ملا صالح، له اخوين يدعى الكبير منهما الحاج ملا محمد تقي وهو عدو لدود للباب، والاصغر يدعى الحاج ملا علي، واصبح فيما بعد من اتباع الباب المخلصين. زُوجت الطاهرة الى ابن عمها ملا محمد ابن ملا تقي عندما كانت صغيرة

السن تماما، ويقول بعض المؤرخين، انها كانت في الثالثة عشر من عمرها عندما تزوجت.

وقال لي سليلها في طهران ايضا:- "ان عمرها كان ثلاث عشرة سنة عندما تزوجت، وكان لها ثلاثة اطفال، ولدين وبنت، وبعد مدة من استشهاد والدتهم، هرب هؤلاء الاطفال من بيتهم بسبب معاملة والدهم القاسية، فذهب احد الاولاد الى النجف، والاخر جاء ليسكن قريبا من طهران، وتوفيت البنت بعد زمن قصير من وفاة والدتها".

كانت الطاهرة منذ نعومة اظفارها شغوفة بدراسة علوم الدين، وذات يوم عندما كانت في زيارة الى بيت ابن اخي ملا جواد، اكتشفت في مكتبته مؤلفات كتبت بقلم العالمين الكبيرين الشيخ احمد الاحسائي وتلميذه السيد كاظم الرشتي. وبعد تصحفها انجذبت بشدة لهذه الكتب وطلبت استعارتها الى بيتها لدراستها.

اخبرني بعض اقرباء الطاهرة انها عاشت معظم حياتها في بيت ابيها حتى بعد زواجها وكانت مع والدتها دائما حتى بدات اسفارها. كان لها غرفة في بيت زوجها وفيها بعض المخطوطات والاوراق التي لم تحرق بعد وفاتها. كان ابن خالها صاحب البيت، كارهاً جداً لاعارتها تلك الكتب في ذلك اليوم، لانه قال لها: "ان شاهدك والدك وانت تقرأين هذه الكتب في بيتك، فسيثور بشدة لذلك، فهو من المعارضين جدا لهذين المفكريّن الحديثين". وعلى كل حال، فقد اقنعته الطاهرة باستعارة الكتب واخذتها الى بيت ابيها حيث قامت بدراستها بعناية.

كانت الطاهرة ما تزال طفلة في ذلك الوقت عندما اعتادت سماع والدها وعمها يستنكرون اعتقادات الشيخ الاحسائي، وذات مرة قالت: "ان الشيخ على حق، وان والدي وعمي على خطا".

فاجابوا عليها: "اقراي كتبنا ومؤلفاتنا، فنحن اكثر علما من الشيخ الاحسائي".

لقد اخذت الطاهرة كل الكتب التي تمكنت من العثور عليها حول تعاليم الشيخ احمد الاحسائي من مكتبة ابن خالها، وطلبت ايضا كتابات السيد كاظم الرشتي ودرستها. ولقد اصبح السيد كاظم رئيس الطائفة الشيخية بعد وفاة استاذه الشيخ احمد الاحسائي. ومن المهم معرفة شيء عن افكار هذين القائدين العظيمين في تلك الفترة، لانهما فعلا مثل ما فعل يوحنا المعمدان عندما اعلن عن قدوم السيد المسيح، وكذلك الشيخ احمد والسيد كاظم، فقد بشرا بقدوم الباب في القريب العاجل.

لقد تراسلت الطاهرة، تلك المرأة الشابة القزوينية مع السيد كاظم الرشتي لبعض الوقت، وكانت المراسلات بين الاثنين تتم عن طريق عمها الاصغر الحاج ملا علي، وسالته العديد من الاسئلة العميقة عن الدين، وبسبب ما تتمتع به من ادراك عظيم وصفات مثلى، فانه هو الذي اعطاها لقب "قرّة العين".

حاولت هذه التلميذة توضيح هذه التعاليم الجديدة لوالدها، لكنه كان يوبخها دائما. وقالت له انها قد وجدت العديد من المعاني في هذه الكتابات المستندة الى مفاهيم القران والافكار الاسلامية. وفي النهاية قالت لوالدها: "اني لا ارى ايا من هذه المزايا فيك او في عمي تقي". وحاولت ان توضح له حقيقة البعث والوعود الالهية وظهور الموعود، لكنه كان يعارض كل هذه الافكار. ذات ليلة، ذكرت الطاهرة احد اقوال الامام جعفر الصادق اسنادا لدعواها. وبمجرد ان سمع والدها ذلك ثار غضبا وراح يسخر من هذا الحديث. فقالت له تنبهه: "يا ابتي.. انك تنتقد قول الامام!" بعد ذلك امتنعت عن الحديث في امور الدين مع والدها، الا انها كانت دائمة

الاستفاضة والسؤال من السيد كاظم الرشتي في كربلاء بواسطة المراسلة.

ان الصورة الوحيدة التي يمكن الحصول عليها للطاهرة، هي صورة روحانية، اذ لا يوجد لها لا صورة فوتوغرافية ولا زيتية، وهذا ما قاله لي اقرباؤها. ولقد رسم الفنانون صورا عديدة لها، الا انها لم تكن من الواقع، بل من تصورهم. في تلك الايام، كانت تفكر فقط بظهور المعلم الجديد للعالم، ولقد ذكرت لعمها انها ترغب ان تكون اول امرأة تخدمه عند ظهوره. لم يدرك احد مثلها وضع ايران المزري وكم كانت حقوق المرأة مسلوبة بسبب التعصب الشديد السائد في ايران. وقالت ذات مرة لعمها الملا علي: "اه.. متى ياتي ذلك اليوم الذي تنزل فيه قوانين جديدة على الارض! انني ساكون اول من يتبع تلك التعاليم الجديدة وسافدي نفسي من اجل بنات جنسي!"

في الجريدة الاسيوية لسنة 1866م الجزء 7 صفحة 474، قدمت صورة واضحة عن الطاهرة، وجاءت الترجمة كالاتي:-

(كيف لامرأة مخلوقة ضعيفة جدا في ايران، وبالتحديد في مدينة قزوين، حيث يحتل رجال الدين مثل ذلك النفوذ القوي، ويمتلكون القدرة على جلب اهتمام رجال الحكومة والمواطنين بسبب كثرة عددهم وأهميتهم وقوتهم، كيف يمكن ان يكون في مثل هذا البلد وفي مثل هذه المقاطعة وتحت مثل هذه الظروف القاسية، ان تتمكن امرأة من تنظيم حزب منشق قوي مثل هذا؟ هذا هو السؤال المهم الذي حيّر الكثيرين، حتى ان مؤرخ ايران سبهر قال:- "انها كانت حقيقة نادرة ليس لها مثيل في التاريخ).

وجاء في "مطالع الانوار" لنبيل زلاندي عن شخصية الطاهرة:-

كان اسم تلك السيدة الخالدة فاطمة وهو الاسم الذي سمّاها به والدها. وكانت كنيتها ام سلمه، كما سمّاها بذلك اهلها ومعارفها وكذلك دعوها بالزكية. وكانت ولادتها سنة 1233 هجرية (1817-1818م). وهي نفس السنة التي ولد فيها بهاء الله. وبلغت وقت شهادتها سن السادسة والثلاثين من عمرها. ولعل الاجيال القادمة تجمع سيرة مستوفية من تواريخ حياتها بما خفى عن معاصريها ولعل المؤرخين فيما بعد يقدّرون قوة تاثيرها ويدونون بتوسع تام تلك الخدمات الجليلة التي ادتها للوطن ولابنائه. ولعل المؤمنين بالدين الذي خدمته يبذلون الجهد في اتباع مثلها الاعلى ويعددون اعمالها ويجمعون كتاباتها ويبسطون اسرار افكارها ويجددون ذكراها على ممر الايام ومحبتها في قلوب اهالي وشعوب الارض.[1]

ويبدو من تتبع الاحداث والتواريخ ان الباب دعى لاجتماع بدشت في بداية دعوته سنة 1260هـ - 1844م وان التحضير لهذا المؤتمر استغرق ثلاث سنوات او اكثر اذ انه انعقد سنة 1848م، وما هذا التاخير الا بسبب بطيء طريقة الاتصالات ومصاعب السفر. وقد جاء في كتاب مطالع الانوار عن بداية تاريخ ايمان الطاهرة بامر الباب صفحة 213:-

(واتباعا للامر الالهي نزل لوح من قلم الباب في تلك الايام التي كان القدوس لا يزال فيها قاطنا في مشهد وفي ذلك اللوح يامر جميع الاحباء في ايران بالاسراع الى ارض الخاء من اقليم خراسان. وانتشر هذا الامر بسرعة البرق واهاج حماسا عاما ووصل الى سمع الطاهرة التي كانت اذ ذاك مقيمة في كربلاء وتعمل جهدها لاتساع نطاق الامر الذي اعتنقته وكانت تركت موطنها قزوين ووصلت بعد وفاة السيد كاظم الى تلك المدينة المقدسة انتظارا لمشاهدة العلائم التي اخبر بها السيد الراحل.

1 مطالع الانوار صفحة 503 لنبيل زرندي.

وبيّنا في الصحائف السابقة كيف اكتشفت بوجدانها حقيقة الامر واعترفت بصحته طوعا، فرات في نفسها ان فجر يوم الله الموعود قد طلع من مدينة شيراز بدون ان يعلمها احد ويدعوها. وحررت رسالة لمنبع هذا النور تعرض فيها اخلاصها وخضوعها.

وكان رد الباب السريع على قبولها اعتناق الامر بدون مقابلته قد أحيى فيها الحماس وزاد كثيرا في شجاعتها، فقامت على نشر تعاليمه بكل قوتها وانتقدت بشدة فساد أخلاق جيلها وعملت بكل شجاعة على احداث انقلاب فكري بتغيير عادات واخلاق الاهالي وكانت نار محبة الباب اشعلت روحها التي لا تقهر وزاد شرف ما كشفته من البركات الفائضة المكنونة في امره وزادت شجاعتها الباطنية وقوة خلقها اضعافا مضاعفة بسبب اعتقادها اليقيني في نصرة الامر النهائية وضاعف مجهودها الذي لا حد له عرفانها مقدار فضل هذا الامر الذي قامت على ترويجه. فكان كل من يقابلها في كربلاء ينجذب من فصاحتها وسحر بيانها ويشعر بالخضوع من اثر كلماتها ولا يقدر احد ان يقاوم تاثير لطفها، او يفلت من الانضمام الى لوائها وكان الكل يشهد بكمال اخلاقها وسموها ويعجبون بشخصيتها المدهشة ويقتنعون بصدق يقينها).

وكتب العالم والمستشرق جوبينو خطا تاريخ بداية ايمان الطاهرة، الا انه ذكر لاول مرة ان عمها كان طبيبا، قال:-

(وسمعت بنداء الباب ودعوته في شيراز لاول مرة في منزلها بين اسرتها وعلمت القواعد والاحكام التي يبني عليها دعوته ولم تستقص كل التفاسير ولكنها اعجبت بها واخذت في مكاتبة الباب واعتنقت دعوته وهي لم تكتف بالميل المجرد ولكنها اعلنت علنا صحة دعوة سيدها وقامت على مكافحة تعدد الزوجات وحاربت عادة الحجاب وكانت تظهر في الاماكن العامة سافرة وهذا ما

اخاف المسلمين عامة لاعتبارهم ذلك من الفسوق على عكس الذين اعتنقوا الدعوة بحماس فكانوا مبتهجين واتسعت جمعيتهم يوما فيوم. وكان عمها طبيبا ووالدها مجتهدا واجتهد زوجها بكل ما في وسعه ان يردعها او يلجئها الى سير معتدل وتستتر، فلم تقبل وعارضتهم جميعا وما فتات تظهر لهم البراهين على صحة دينها).[1]

وعن ايمان الطاهرة بامر بهاء الله قبل اعلان دعوته، كتبت مارثا روت:-

(على كل حال لا احد منكم او من القراء يشك باخلاص ووفاء هؤلاء الاتباع، لان ما لاقوه كان فوق تحمل البشر تماما. ويقال ان الطاهرة عند سماعها بمصيبة باب الباب في قلعة طبرسي قررت الذهاب الى القلعة لمساعدتهم بتنكرها بلباس رجل. الا ان بهاءالله طالبها بعدم فعل ذلك. وقال لها: قبل كل شيء ستفشلين في الوصول، وفوق ذلك ان الحرب والقتال لا تناسب اي فرد، وخاصة النساء. اضافة الى ان هناك ظهور جديد يامر بالابتعاد عن الحروب.

ان البابيين في السنوات الست تلك، كانوا يعلمون فقط الطريقة الاسلامية القديمة في الدفاع عن النفس ولم يملكوا سوى فرصا قليلة للتعلم من الباب. ومع انهم اقتبسوا قليلا من المبادئ الجليلة، فقد وهبوا ارواحهم بكامل المحبة، لا من اجل انفسهم بل من اجل الامر المبارك. ولم يكن لديهم الوقت الكافي للتعلم من الباب، فقد كان سجينا وبعيدا عنهم جميعا منذ اول اعلان دعوته، ما عدا تلك الاشهر القليلة التي عاشها في اصفهان. ومن يدري فمن المحتمل انها كانت كلها كذلك. ان نظام الباب كان لاجتثاث العادات القديمة.

---

1 من تاب الاديان والفلسفة في اواسط اسيا للكونت جوبينو صحيفة 137-138.

ان هؤلاء المؤمنين الاوائل بتعاليم الباب، باستشهادهم الخالد، اجبروا العالم النائم الغارق في سباته على النهوض والانتباه لظهور المظهر الالهي القادم والمعلم الالهي الجديد للعالم اجمع).

الفصل السابع

الأحداث في العراق والخروج منه

تعتبر فترة سكن قرّة العين في كربلاء بداية إيمانها بالرسالة البابية الجديدة، ورغم انها كانت من كبار علماء الديانة الإسلامية وأخذت مكانة السيد كاظم الرشتي بعد وفاته في تدريس طلابه في كربلاء وحجة في تفسير القرآن وحفظ الأحاديث والشرح وإلقاء الخطب الحماسية، إلا ان الجميع قام ضدها واتهموها بشتى التهم بمجرد معرفتهم بتغيير دينها. ثم طالبوا بحبسها أو قتلها وفي النهاية خرجت من كربلاء الى بغداد يرافقها الكثير من المؤمنين والمؤمنات من ضمنهن والدة الملا حسين بشروئي وأخته والسيدة خورشيد بيكم الاصفهانية الملقبة بشمس الضحى وأزواجهن. ورغم انها ما زالت مؤمنة حديثة، الا انها قامت بكل قوتها لنشر الدعوة بين علماء المسلمين وغيرهم من أتباع بقية الديانات من خلال خطبها الجريئة ودروسها المنظمة ورسالات ردها على معارضة العلماء ومحاججتهم واثبات حججها بالبراهين والإثباتات وطلبها من علماء الشيعة في الكاظمية وكربلاء والنجف بالحضور للمباهلة أمام الجميع اذا لم يقتنعوا بدعواها، فانجذبت بسببها للأمر الجديد الكثير من النفوس، وبذلك حدثت بلبلة واضطرابات بين

السكان أدت في النهاية الى قيام الناس ضدها بتحريض من العلماء والاعتراض عليها واضطهادها ومن معها من البابيين. فطالبوا حاكم المدينة بحبسها وقتلها، الا انهم فشلوا في تحقيق ذلك، مما اضطر الحاكم الى طلب المشورة من الباب العالي ثم تسفيرها الى بغداد إبعاداً للفتنة ومسؤوليتها، وبعد مضي بضعة شهور في العراق، أمرت بمغادرة الأراضي العثمانية الى ايران. وكانت خلال الطريق تستقبل بشكل حماسي لا مثيل له، نظراً لسمعتها الواسعة بين الايرانيين وكانت تذبح لها الذبائح وتقام لها الأفراح وتنصب لها الخيام وتخصص لها المنازل لاقامتها وأتباعها ويحضر للقائها كبار العلماء والفضلاء وكانت لا تتردد في تبليغهم الرسالة الجديدة وتقرأ عليهم ما كتبه الباب من آثار وتفاسير باللغة العربية بينما يقوم أتباعها بالترجمة الى اللغة الفارسية للمستمعين، وعند دخولها قرية كرند استقبلها أهالي البلدة استقبالا لا شبيه له وقبل مغادرتها عرضوا عليها اثنى عشر ألف رجل ليسافروا معها ويقوموا على خدمتها في سفرها وينشروا دعوتها، إلا انها شكرتهم ورفضت قبول عرضهم وطلبت منهم البقاء في مدينتهم، ويممت وجهها مع أتباعها نحو مسقط رأسها مدينة قزوين بصحبة من أرسلهم والدها لمرافقتها في عودتها.

كتبت مارثا روت عن أحداث كربلاء ما يلي:-

(كانت لها رغبة شديدة في الذهاب الى كربلاء للدراسة على يد السيد كاظم، ولقد ساعدها عمها الحاج ملا علي وساعد أختها في الحصول على الإذن من عائلتها للقيام بتلك الرحلة بحجة زيارة الأضرحة المقدسة في كربلاء والنجف، لكن رغبتها الحقيقية كانت في زيارة أستاذها الرشتي. ومن المحتمل ان سهولة حصولها على موافقة والدها وزوجها ووالد زوجها كانت بسبب اعتقادهم ان الزيارة سوف تعيدها الى رشدها وسابق معتقداتها! وعلى كل حال، يقال ان هاتين الشابتين اللتين ذهبتا لزيارة كربلاء كانتا على

درجة كبيرة من العلم والجمال والمكانة الاجتماعية بين النبلاء، فالاثنتان كانتا غنيتين جدا.

كانت زيارتها الأخيرة لكربلاء في سنة 1843م، عندما كانت في سن الثالثة والعشرين او كما يقول البعض في سن السادسة والعشرين، وكان لها ولدين وبنت. واشتهرت كإحدى العالمات الشابات في عصرها ومن أجمل النساء المحبوبات.

تعتبر كربلاء والنجف في العراق من أعظم الأماكن المقدسة للزوار الشيعة المسلمين بعد مكة والمدينة في جزيرة العرب. وعلى كل حال، ذهبت قرّة العين مباشرة الى بيت معلمها السيد كاظم الرشتي في كربلاء، وكان حزنها عميقا عندما علمت بوفاته[1] قبل وصولها بعشرة أيام. فأقامت في بيته بموافقة بقية أفراد عائلته واستطاعت الوصول الى العديد من مؤلفاته التي لم يطبع البعض منها أبدا. فدرستها بشغف، وذات مرة قالت لطلابه: " تأملوا كم ترك لنا الشيخ احمد والسيد كاظم الرشتي. لقد أورثونا بحراً من العلوم"!

أخبرني الأصدقاء في بغداد، ان الطاهرة أقامت في كربلاء قبل ذلك لمدة ثلاث سنوات. وذكر بعض الكتّاب انها في رحلتها الأخيرة أخذت مكان السيد كاظم وبدأت بتدريس طلابه من خلف ستارة، لأن النساء كن لا يظهرن أمام الرجال الغرباء بدون حجاب، بل كان سماع أصواتهن يعتبر علامة من علامات الضلالة. ان العالم لا يعرف شيئاً يذكر عن النساء العظيمات اللاتي اشتهرن في ايران ممن حصلن على تعليمهن وثقافتهن نتيجة مخالطتهن الطاهرة في كربلاء والسفر معها بعد ذلك الى بقية المدن الأخرى. ومن بين مجموعة تلامذتها كانت السيدة

1 توفي السيد كاظم الرشتي سنة 1843م (1259 هـ) عن عمر ناهز الستين عاما.

خورشيد بكم الاصفهانية ولقبها شمس الضحى، ومن صاحباتها الأخريات والدة وأخت الملا حسين بشروئي الذي عُرف فيما بعد بباب الباب، لأنه كان أول من آمن بالباب.

لقد سمع علماء الدين انها أصبحت من المؤمنات الموقنات بالباب وراحت تنشر هذه الحقيقة تماما في وسط المجتمع الاسلامي، لأن في كربلاء والنجف كان يعيش العديد من مشاهير علماء الدين. ومن المؤكد انهم شكوها الى الجهات الحكومية. فاعتقلت السلطات بعد البحث السيدة خورشيد بكم بدلاً عنها. وحالما علمت قرّة العين (الطاهرة) بذلك، كتبت الى الحاكم تقول انها هي التي يبحثون عنها وطالبت باطلاق سراح صديقتها. فوضع الحاكم بيت قرّة العين تحت المراقبة حتى لا يقترب أو يخرج او يدخل اليه أحد، وكتب الى حكومة بغداد يطلب التعليمات. فراقب الحرس بيتها لمدة ثلاثة شهور. وعندما لم يأت رد من بغداد، كتبت قرّة العين (الطاهرة) الى حاكم كربلاء تخبره عن عزمها في الذهاب الى بغداد لتنتظر تعليمات سلطات بغداد او استنبول هناك، لأن العراق كان في ذلك الوقت تابعا لتركيا. فسمح الحاكم بذلك، وسافرت قرّة العين والسيدة خورشيد بكم ووالدة باب الباب وشقيقته مع العديد من النسوة الى بغداد. وعند حركتها من كربلاء قام الأهالي بتحريض من علماء الدين، بشتمها ورجمها بالحجارة).

ومن أوائل الذين اعتنقوا البابية عن طريق قرّة العين (الطاهرة)، ورد في كتاب (مطالع الأنوار) صفحة 215 ما يلي:-

وتمكنت من ان تبلغ أرملة السيد كاظم الرشتي التي ولدت في شيراز وكانت أولى المؤمنات بين نساء كربلاء اللاتي اعتنقن الأمر. وسمعت الشيخ سلطان يصف إخلاصها للطاهرة واعتبارها والدتها الروحية وصديقتها الحميمة. وقد كان الشيخ سلطان من

أكبر المعجبين بأخلاق أرملة السيد كاظم وكثيرا ما كان يشهد بسمو أخلاقها وكثيرا ما كان يقول (ان تعلقها بقرّة العين أشتد لدرجة انها كانت لا تسمح لضيفتها العظيمة ان تغيب عنها ولو ساعة واحدة، فكان عظيم تعلقها بها مما يثير إعجاب صويحباتها ويقوي يقينهن وايمانهن عرباً كن أم عجماً ممن كن يفدن عليها للزيارة في منزلها، وفي السنة الأولى من اعتناقها للأمر وقعت مريضة وبعد ثلاثة أيام فارقت الحياة كما حدث للسيد كاظم نفسه).

ومن بين الذين أقبلوا الى الأمر بتبليغ قرّة العين الشيخ صالح وهو عربي قاطن في تلك المدينة، فكان أول من استشهد في هذا الأمر في طهران وكان مدحها له عظيماً لدرجة ان البعض ظن انه يكون مساوياً في الرتبة للقدوس. وكان الشيخ سلطان ايضا من الذين آمنوا على يدها ووقعوا في أسر تأثيرها. وإذ رجع من شيراز اعتنق الأمر بكل جسارة وقوة وتأثير (واجتهد) على إعلاء شأنه وبذل جهده في تنفيذ أوامرها ورغباتها، وكان الشيخ محمد الشبل ايضا من المعجبين بها وهو والد محمد مصطفى عربي من سكان بغداد وله مقام كبير بين علماء المدينة. وبمساعدة هذه الفئة المنتخبة من الأتباع القادرين والمخلصين أشعلت قرّة العين قلوب العديدين من العرب والعجم من سكان العراق وأدخلتهم تحت لوائها وقادت أغلبهم للانضمام الى إخوانهم في ايران من الذين دعوا لنصرة أمر الله بأعمالهم وما قدر لهم من سفك دمائهم وتضحية حياتهم.

وكان نداء الباب الموجه أصلا الى أتباعه في ايران قد وصل ايضا الى المؤمنين في العراق وأجابت قرّة العين النداء في الحال وبكل فرح وإجلال، واقتفى أثرها جم غفير من المخلصين المعجبين بها من الذين أظهروا رغبتهم واستعدادهم للسفر تواً الى خراسان.

وكان علماء مدينة كربلاء قد اجتهدوا في أن يثنوا عزمها عن السفر. وإذ كانت عالمة بالداعي الذي حركهم لنصحها على هذا المنوال ومتيقنة من تدبيرهم السيئ، حررت لكل من هؤلاء السفسطائيين رسالة مطولة أظهرت فيها الأسباب التي دعتها الى السفر وأبانت لهم مكرهم ودهاءهم وسوء نياتهم وسارت من كربلاء الى بغداد وقابلها مندوبون من أقدر الرؤساء لجميع الهيئات الدينية في المدينة من شيعة وأهل سنة ونصارى ويهود وأرادوا اقناعها بالعدول عن السفر لعدم فائدته، فتمكنت من اسكاتهم ودحض حججهم، فتركوها وهم متحيرون مرتبكون عالمون بعجزهم.

وقال سمندر وهو من أوائل المؤمنين البهائيين في كتابه الخطي صفحة 9:-

(ان السبب الحقيقي لهيجان أهل كربلاء واتهامهم للطاهرة أمام حاكم بغداد بعدم اعتنائها بمأتم الحسين الذي يعمل كل سنة في أوائل شهر محرم في منزل المرحوم السيد كاظم في كربلاء هو إشهارها بدلا عنه يوم ميلاد الباب الذي يقع في أول يوم من ذلك الشهر. ويقال انها طلبت من أختها وأقاربها ان يخلعوا ثياب الحزن ويلبسوا بدلا عنه ملابس الفرح مخالفين في ذلك علناً تقاليد الناس).

وفي "كشف الغطاء" صفحة 94 ذكر:-

(ان أخت الملا حسين ووالدته كانتا من ضمن التلاميذ والسيدات اللاتي صحبن قرّة العين في سفرها من كربلاء الى بغداد حيث أقمن في منزل الشيخ محمد بن شبل العراقي ثم نقلن بأمر حاكم بغداد الى منزل المفتي السيد محمود الآلوسي صاحب التفسير المشهور المسمى "روح المعاني" وبقين فيه انتظارا لحضور تعليمات من الاستانة).

الأحداث في بغداد والطريق اليها:

كتبت المس مارثا روت عن بداية دخول قرّة العين وصحبها الى بغداد، قالت:-

(بوصولهن الى بغداد سكنت المجموعة في بيت الشيخ محمد شبل العراقي، والد محمد مصطفى البغدادي، وعند ذاك بدأت تبلّغ الأمر الجديد في كل يوم، وكانت تتكلم بقوة شديدة وفصاحة بحيث ان كل من شاهدها وسمعها قبل ذلك تعجب وقال: (انها ليست المرأة التي نعرفها من قبل)، وبدأت محاضراتها تفتن الكثير من المستمعين، وأوجدت في مستمعيها رغبة حقيقية في التحري عن هذه الحقائق. وفي مدة قصيرة جذبت ببراهينها غير العادية وعلمها العميق وإثباتاتها المقنعة العديد من الأتباع، وجاء الى بغداد العديد من طلابها في كربلاء لحضور دروسها. ونتيجة لمهاجمتها القوية لجذور سلطة علماء الدين، كان من الطبيعي ان ينهض العلماء بذعر شديد وبشكل عام لمهاجمتها، فنهض العديد منهم ضدها وضد كل من آمن بتعاليم الباب.

ومثلما حدث في كربلاء، حدث في بغداد، فلقد تحدّت علماء الدين - من خلال الحاكم - للحضور الى مناقشة علنية في أمور الدين الجديد. فاعتذروا ورفضوا ذلك، وطالبوا الحكومة بترحيلها مع رفيقاتها الى بيت مفتي بغداد[1] وكان اسمه ابن الآلوسي وهو

1 يعزى لهذا المفتي الذي استضاف قرّة العين في بيته في بغداد بطلب من الحاكم، تأليف كتاب تفسير كبير من أربعة عشر جزءاً باللغة العربية اسمه (روح المعاني)، ترجم وقرئ بشكل واسع في الغرب وفيه تكلم عن قرّة العين خلال إقامتها في منزله. قال: انه في كل صباح مع أول خيوط الفجر كانت تنهض وتشرع في الصلاة والمناجاة والدعاء وكانت تصوم دائماً. وقال انه لم يشاهد امرأة أكثر طهارة منها وأكثر ايمانا حتى في أكثر الرجال علما وشجاعة. وجاء في نفس الكتاب ايضا: القرتية أصحاب امرأة اسمها هند وكنيتها أم سلمه ولقبها قرّة العين لقّبها بذلك السيد كاظم

ابن سيد محمود الآلوسي. فسكنت في بيته لمدة ثلاثة شهور، خلالها كانت تناظر العلماء وتدافع عن دينها. وفي كل تلك المدة كانوا في انتظار تعليمات السلطات فيما كان عليهم ان يفعلوا مع قرّة العين. وكان المفتي يسألها كل يوم أسئلة علمية، ولم يبد أي استغراب من أجوبة قرّة العين. ويقال انه قال: (آه يا طاهرة..! أقسم بالله انني أشاطرك المعتقد، لكنني أخاف سيوف عائلة العثمانيين).

وخلال تلك الأيام في بغداد، استمر تدفق العديد من الناس اليها لاستماع التعاليم منها، وعندما كنت في طهران، سمعت من الدكتور ارسطو حكيم، كيف ان جده الدكتور حكيم مسيح - وكان طبيب الشاه الخاص - جاء مع جلالته في زيارة الى كربلاء، وشاهد هذا الدكتور اليهودي، وكان محبوباً جدا من العائلة المالكة خلال سفره في بغداد جماعة كبيرة من المثقفين وغالبيتهم من علماء الدين وهم يستمعون الى محاضرة ثم الى مناقشة مع سيدة تجلس خلف ستارة. فذهب للاستماع اليها وكانت تحاجج هؤلاء العلماء وكان حديثها معقولا جدا وتغلبت عليهم وعجزوا عن دحض براهينها. فتعجب كثيرا، وعلى الفور اقتنع ايضا انها على حق ثم آمن، ولم يكن قد سمع عن الباب من قبل، وظن ان السيدة لابد وان تكون هي الموعود[1]. لقد استمع الى محاضراتها ثلاث مرات، بعدها أكمل زيارته مع الشاه وعاد الى طهران.

الرشتي في مراسلة لها إذ كانت من أصحابه وهي ممن قلّدن الباب بعد موت الرشتي ثم خالفته في عدة أشياء منها التكاليف... وقد رأيت من الفضل والكمال فيها ما لم أره في كثير من الرجال وهي ذات عقل واستكانة ومزيد حياء وصيانة وقد ذكرنا ما جرى بيننا من المباحثات في غير هذا المقام.

1 الموعود هو القائم الموعود (صاحب الزمان) الذي ينتظر ظهوره المسلمون في آخر الزمان (المهدي المنتظر). (المؤلف).

ذات مساء دعى والد المفتي - وكان يحتقر قرّة العين - بعكس ولده المفتي، دعى ابنه وراح يوبخه، وقال له: وصلت الآن رسالة من استنبول وفيها يمنح السلطان قرّة العين حريتها ولكنه أمرها بعدم البقاء في المناطق التركية وأمر ولده بعمل الترتيبات اللازمة لمغادرتها العراق غداً.

وعلى الفور غادرت قرّة العين وبقية النسوة بيت المفتي وجهزن أنفسهن للرحيل الى ايران. ان أصدقائي في بغداد قالوا لي ان ابن الآلوسي هذا كان معجباً بعلم قرّة العين، وأخبروني انه قال: (انني أرى فيها علماً وثقافة وأدباً وأخلاقاً عالية مما لم أشاهده بعظماء الرجال في هذا القرن).

وقالوا ايضا: انه عندما دخل والد المفتي البيت وشرع بلعن قرّة العين بعد أن علم انها تركت دين محمد(ص)، خجل الابن من ذلك وتقدم بعد ذلك الى قرّة العين يسألها الصفح، وتوسل اليها أن تغفر لوالده غلطته. ان المفتي نفسه هو الذي جاء ليقول لها: (أنت حرة، ولكن عليك الآن بتجهيز حاجياتك للسفر الى ايران بأمر السلطان).

وجاء في كتاب "كشف الغطاء" صفحة 96، قال:-

(ان في "روح المعاني" إشارات الى المحادثات التي وقعت فيما بين المفتي في بغداد وبين قرّة العين، ويقال انه قال لها: (يا قرة العين أقسم بالله اني أشاركك في اعتقادك ولكني أعلم ما هنالك من سيوف آل عثمان). وكانت قد ذهبت الى منزل المفتي ودافعت أمامه عن عقيدتها وسلوكها بغاية القدرة. وأما مسألة تركها تدعو الى الدين فقد عرض الأمر على الوالي الذي استأذن القسطنطينية التي أمرت ان تترك الأراضي التركية حالا).

في الطريق الى كرمانشاه:

كتبت مارثا روت عن سفر قرّة العين، قالت:-

(وكان قد رافقها في رحلتها جمع كبير من الأحباء يزيد عددهم على الثلاثين شخصاً لمحبتهم لها وشعورهم بالخطر المحدق فوق رؤوسهم. ومن كياسة مفتي بغداد انه أرسل عشرة فرسان تحت إمرة ضابط ليرافقوها مع أصحابها بمنتهى الاحترام والأدب من بغداد الى خانقين وحتى الحدود الايرانية. وكان من ضمن رفيقات سفر قرّة العين السيدة خورشيد بكم ووالدة ميرزا هادي النهري وآخرون. ومن بين الايرانيين السيد محمد يزدي والسيد محمد بايكاني والسيد محسن كاظمي وملا ابراهيم محلاتي ومن بين العرب كان الشيخ محمد شبل الذي جهّز كل شيء لرحلتها واستأجر البغال وأماكن الإقامة وشراء الطعام ودفع كامل مصاريف الجماعة من ماله الخاص حتى كرمانشاه. ومن العراق كان محمد مصطفى البغدادي والشيخ صالح كريماوي والشيخ سلطان كربلائي والدرويش ماكوي وجواد وعبد الهادي زهراوي وحسين حلاوي والسيد جباني وآخرون.

عند وصول قرّة العين وأصحابها الى كرمانشاه، قابلها العلماء بالاحترام وأظهروا لها عظيم تقديرهم وإعجابهم، وأعد بيتاً خاصاً للنساء، وللرجال بيت آخر، وحالما علم السكان بوصولهم أسرعوا اليهم لسماع التعاليم. ومن جانب آخر قام بعض العلماء المتعصبين بفوضى كبيرة وتسببوا في طردهم من المدينة وسمح رئيس شرطة كرمنشاه للغوغاء بمهاجمة بيوتهم ونهب ممتلكات البابيين، ووضع أتباع الباب في عربة كبيرة تجرها الجياد وسيقوا خارجا الى الصحراء حيث تركوهم لوحدهم في العراء، وهناك أعادوا الجياد معهم الى المدينة وتركوا العربة بدون جياد. كان هؤلاء المسافرون في حالة مزرية، فلم يكن معهم لا طعام ولا ملابس احتياطية ولا أغطية. فكتبت قرّة العين الى حاكم كرمنشاه وشرحت له ماذا فعل بهم رئيس البلدية وأضافت: "لقد كنّا ضيوفك

في كرمنشاه، فهل تعتقد انه من اللطف معاملتنا بهذا الشكل؟" وذهب أحد المسافرين الى كرمنشاه ليسلم الرسالة.

استغرب الحاكم جدا عند استلامه الرسالة، لأنه كان جاهلا بهذه المظالم وعلم ان كل الذي حصل كان بتحريض من علماء الدين، وعلى الفور أمر رئيس البلدية بإعادة كل الممتلكات التي نهبت الى هذه الجماعة وإعادة الخيول اليهم والتأكد من وصولهم الى همدان سالمين. وقد دعاهم للعودة الى كرمنشاه مرة ثانية، الا ان قرّة العين رفضت ذلك).

وحسب ما جاء في كتاب "مطالع الأنوار":

(ان استقبالا حماسياً كان بانتظارها عند وصولها الى كرمنشاه وان الأمراء وعلماء الدين ورجال الدولة قد أسرعوا لزيارتها، وكانوا قد تأثروا جدا من فصاحتها وشجاعتها وحكمتها البالغة وخصالها الحميدة. ولقد قرئ وترجم تفسير سورة الكوثر النازل من قلم الباب أمام الناس. وكان من بين النساء اللاتي قابلن قرّة العين واستمعن لشرح تعاليم الباب زوجة الأمير حاكم كرمنشاة، ولقد اعتنق الأمير وعائلته الديانة الجديدة واظهروا جميعاً محبتهم وتعلقهم بقرّة العين).

وفي صفحة 217 من نفس الكتاب ورد:-

(ان قرّة العين مكثت يومان في قرية صحنة في طريقها الى همدان حيث حظيت بلقاء لا يقل حماسا عن الذي استقبلت به في قرية كرند. وتوسل سكان القرية بالسماح لهم بالانضمام الى موكبها وتقديم المساعدة لها ولأتباعها، لنشر الامر. الا انها باركت وشكرت مسعاهم ونصحتهم في البقاء في قريتهم، ثم توجهت الى همدان.

وهكذا استمرت الرحلة، وخلال الطريق خصوصا من قرية ساهينه، كان رؤساء القبائل يرحبون بها. وعند وصولهم الى همدان كانوا جميعا سعداء، فقد حظوا باستقبال رائع. وقامت الأميرات والنساء الشهيرات بزيارتها والاستماع لتعاليمها. فليس من العجب انهم كانوا يرغبون في الحديث معها، لأنها كانت تحمل الحقيقة).

في همدان:

وعن دخول قرّة العين الى همدان، قالت مارثا روت:-

(وفي همدان انقسم رجال الدين، فقليل منهم راح يحرك الناس ضدها لاحتقارها لهم، أما الباقي فراح يتغنى علناً بفضائلها ويعجب بشجاعتها. وكان هؤلاء الأصحاب يتكلمون من المنابر قائلين (انه مما يليق بنا ان نتبع مثالها الشريف ونطلب منها ان تكشف لنا عن أسرار القرآن وان تحل لنا مشكلات الكتاب لأن كل ما وصلنا اليه لم يكن الا كقطرة من بحر بالنسبة الى علمها). وأثناء ذلك قابلها الوفد الذي أرسلهم والدها الحاج ملا صالح من قزوين للترحيب بها وحثها على زيارة موطنها وإطالة مكثها بينهم، فقبلت ذلك بعد تردد. وقبل ذهابها أمرت الذين رافقوها من العراق ان يعودوا الى موطنهم ومن بينهم الشيخ سلطان والشيخ محمد الشبل وابنه الصغير محمد مصطفى عابد وابنه ناصر الذي تسمى فيما بعد بحاجي عباس وأما رفقاؤها الذين هم من أهالي ايران مثل السيد محمد كلبايكاني الذي سمّته قرّة العين ‘الفتى المليح’ وغيرهم، فأمرتهم بالعودة الى أوطانهم ولم تُبق معها سوى الشيخ صالح الكريماوي والملا ابراهيم المحلاتي والاثنان شربا كأس الشهادة، الأول في طهران والثاني في قزوين، ومن أقربائها ميرزا محمد علي أحد حروف الحي زوج أختها وكذلك نسيبها

السيد عبد الهادي، وكانا مرافقين لها في الطريق من كربلاء الى قزوين.

وعلى كل حال، فقد كان من بين رؤساء الدين في همدان شخص واحد أبدى العداء للطاهرة تماما وكان يحث الناس على قتلها، لكنه كان يخشى الحكومة. فكتبت له رسالة طويلة توضح فيها تعاليم الباب وأرسلتها له بواسطة أحد أتباعها المخلصين وهو الملا ابراهيم محلاتي. فوصل الرسول حامل الرسالة في ساعة اجتماع العديد من علماء الدين في مجلس ضمهم لتقرير طريقة مواجهة قرّة العين وما سيفعلون تجاهها. فكانت الرسالة كخفقان علم أحمر اللون أمام ثور هائج، فقام المجتمعون على حاملها ملا ابراهيم وأشبعوه ضرباً حتى فقد الوعي. وعندما أعيد محمولا الى قرّة العين، لم تبكه كما توقعت الأميرات ان تفعله، واستغربن جميعا عندما سمعنها تقول له: "يا ملا ابراهيم، هذا هو الوقت الذي نكون فيه مستعدين لتقديم أرواحنا، ألم يفعل حواريو المسيح ذلك، وكذلك فعل أصحاب الرسول(ص)". وفعلا، بعدما شفي الملا ابراهيم من حالته، عاد للخدمة ثانية.

كانت قرّة العين تخطط للذهاب الى طهران في محاولة منها لمقابلة السلطان محمد شاه لتخبره عن التعاليم الجديدة، الا ان أحد الملالي من الذين رفضوا مقابلتها ومناقشة الدين الجديد معها عندما كانت في كرمنشاه، كتب سراً الى والدها يخبره ان ابنته تحتقر مكانة العلماء المرموقة. فأرسل والدها على الفور، ابنه ومعه بعض الأقرباء الى همدان للترحيب بها وحثها على العودة الى منزلها. وعندما علمت انهم في طريقهم اليها، قالت لاصحابها: "انهم قادمون، علينا بالعودة الى قزوين قبل وصولهم إلينا". وأرسلت عددا من أتباعها المخلصين الى العراق، وتركت قسماً في همدان، ورافقها البقية منهم. وكان من بين المجموعة الأخيرة السيدة خورشيد بكم والشيخ صالح كريماوي والملا ابراهيم

المحلاتي. فقابلت أقرباءها الهائجين الذين قدموا للبحث عنها واصطحابها بمفردها الى بيت أبيها. فرفضت تلبية طلبهم، وقالت: "انني لست وحدي، هؤلاء هم أصحابي ويجب ان يأتوا معي". فسافر الجميع معا. وكانت رحلة قاسية جدا بطقس سيئ استمرت لمدة أسبوع.

الفصل الثامن

الأحداث في قزوين

اتسمت فترة قزوين بأحداث مضطربة متتالية، فلقد حدث أن اندلعت في ذلك الوقت بين أتباع الشيخية والمجتهدين وهما فرقتان إسلاميتان مناقشات ومجادلات حامية مستمرة أدت في بعض الأحيان الى مقتل بعض أفراد الفريقين، كذلك كان وصول الطاهرة وهي على دين جديد وكثرة المناقشات والمباحثات التي جرت بينها وبين والدها حول مسائل القيامة والحشر والنشر والبعث والصراط والميزان والمعراج والوعود المدونة حول ظهور الموعود والمهدي المنتظر ومسائل أخرى كثيرة قد زاد من سعة المجادلات، بالإضافة الى انتشار خبرها بين الناس باعتبارها اعجوبة زمانها وفريدة عصرها فالكل كان راغباً في لقائها والاستماع لتفاسيرها وأحاديثها وبياناتها وشرحها للمسائل العويصة وانتشار خبر تكرار تفوقها وإسكاتها بالحجج والبراهين

والأدلة العلمية والنقلية للعديد من رجال الدين الذين حاولوا جهدهم التغلب عليها، وخلافها مع زوجها وتأزم العلاقة بينهما ووصولها الى درجة الكراهية والحقد والتخطيط على تسميمها وقتلها ثم طلاقها منه، ومشادتها مع عمها والد زوجها نتيجة عدة جلسات نقاش مطولة غير مثمرة وضربه إياها عدة مرات مما تسبب في جرح في فمها وتنبؤها بطريقة مقتله وما تبع هذه الحادثة من تعرض العديد من أتباع وأصحاب الطاهرة للتعذيب والقتل ووصول الملا عبد الله (الملا صالح الخباز) وتصميمه على قتل الملا محمد تقي عم الطاهرة لسماعه وهو يشتم الشيخ احمد والسيد كاظم في المسجد علناً وفي النهاية حبس الطاهرة في بيت أبيها ومحاولة القضاء عليها بشتى الوسائل والطرق وتحقق نبوءتها الثانية بخلاصها من سجنها رغم الحراسة المشددة عليها والتجائها الى طهران بمساعدة بهاءالله. كل هذه الأمور تلقي ضوءاً خاصا على فترة قزوين وتميزها عن غيرها.

بعد حادثة مقتل عم الطاهرة الملا تقي، قرر ولده الملا محمد الانتقام منها ومن رفاق سفرها باتهامها وأتباعها بقتل والده، ولتركها الديانة الاسلامية واعتناقها ديانة أخرى، ولزجره واحتقاره وهجره. فنجح في قتل العديد منهم بشتى طرق الاحتيال والانتقام، وتمكن من حبسها في بيت والدها ووضع العديد من السيدات حراساً على باب غرفتها وطرق كل السبل وتحين الفرص للنيل من حياتها للخلاص منها. وحاول بمساعدة إخوانه وأعوانه دس السم في طعامها عدة مرات، ولما كانت عالمة مسبقا بنواياه، كانت تمتنع عن الطعام المقدم لها وتكتفي اما بالصيام او بما يبعثه لها أصحابها من خارج البيت بشتى الوسائل.

ومما كتبته المس مارثا روت عن حياة قرّة العين بعد عودتها الى قزوين ونقاشها مع أهلها:-

(عند وصول قرّة العين (الطاهرة) الى قزوين، ذهبت لتسكن في بيت والدها، وسكن الأعراب في أحد الخانات. وفي تلك الليلة اجتمعت الأسرة في جلسة عائلية، وقام والدها وزوجها وعمها الذي كان والد زوجها أيضا على توبيخها. وفي ذلك الموقف المثير، قال لها والدها: "ان ادعيت أنتِ مع كل علمك وثقافتك وذكائك، إنكِ أنتِ الباب او حتى أكثر من ذلك، فسوف أكون مستعداً للموافقة على ذلك وأقبل بدعواك، لكن ماذا عساي أن أفعل عندما اخترت إتباع هذا الفتى الشيرازي؟).

جاء في كتاب "التاريخ الجديد" تعليقاً على هذه المناقشة:-

(يا للسماء..! لا يمكن تصور تعجرف وإجحاف هذه العائلة في مثل هذه الأحداث! عندما يشاهد أحدهم ابنته برغم مواهبها ومقدرتها الفذة، انها تعتبر نفسها ليست سوى تراباً بالمقارنة الى شمس الحقيقة"، او عندما تعلن: "مع كل المعرفة التي أملكها، فمن المستحيل عليّ أن أخطأ في معرفة من هو سلطان العالم، الذي ينتظره كل الناس بلهف، لقد عرفته حقاً بالبراهين والأدلة العقلية ؛ وما معرفتي ومقدرتي العقلية الا كقطرة صغيرة مقابل ذلك البحر الواسع العظيم او هي كهباءة تافهة أمام ذلك النجم اللامع العظيم". وعلى الرغم من كل هذا، أجاب والدها: اذن انكِ تعتبرين ذكاءك وعلمك بهذه الدرجة من الصغر بالمقارنة مع مواهب ذلك الفتى الشيرازي، ومع ذلك، فلو كنت ولداً (بدلا من بنت) وادعيت مثل هذا الادعاء (انكِ الباب نفسه) فسوف أقبل دعوتك).

وتوجز المس مارثا روت ما دار من نقاش بين قرّة العين وبين عمها وتنبئها بمقتله، ورفضها العودة الى بيت الزوجية وما حصل ساعة اغتيال عمها، فتقول:-

(وفي ثورة عمها الملا تقي والد زوجها، راح يلعن الباب وهاج غاضباً ونهض ليضربها عدة مرات. وببديهيتها الملهمة، تفوهت

بهذه الكلمات متنبئة عن مستقبله، مما سبب لها في النهاية ان تكوى بالحديد المحمى، فقالت: "يا عمي.. إني أرى فمك مملوء بالدماء!.

وخلال النقاش، برز موضوع عودتها الى بيت الزوجية، الذي رفضته تماما، فحاولوا قدر استطاعتهم ثنيها عن قرارها، فلم تقبل بالاتفاق مع زوجها، وشرحت أسبابها قائلة: "باعتراضه على دين الله، فهو نجس، وليس بيننا شيء مشترك ".

لم يكن هذا الزواج باختيار الطاهرة، لقد كان الآباء في تلك الأيام هم الذين يهيئون مراسيم الخطبة والزواج، ولقد طلقها زوجها بعد عدة أسابيع من تلك الحادثة، واتهمها هو وأبوه بالكفر والهرطقة. وجاهدا ليل نهار للتقليل من شأنها ومكانتها.

وخلال الأيام الأولى من عودتها، اعتادت الذهاب الى بيت أحد أقربائها حيث تتمكن من مقابلة زوجات مشاهير الرجال وتتكلم معهن صراحة عن تعاليم الباب. وكان حماها (أخو زوجها) وأخته من المؤمنين أيضا.

فجأة.. انتشر خبر اغتيال الملا تقي إمام الجمعة وعم كل من الطاهرة وأختها مرضية، رئيس الملالي في المدينة، وإمام صلاة الجمعة في المسجد. وعلى الفور تذكّر ابنه وجميع أفراد العائلة كلمات الطاهرة: "إني أرى فمك مملوء بالدماء!". فاتهموها بتحريض القاتل او على الأقل بسابق معرفتها بكل شيء عن الحادث. مع ذلك فقد قالت والدتها: "كيف يمكن لشخص ما معرفة نهاية شخص آخر بكل هذه الدقة، الا من خلال الرؤيا؟"

لقد شعرت والدتها ان ابنتها كانت بريئة، وكانت هذه الأم وابنتها قريبتان جدا من بعضهما دائما، لقد اخبرني أقرباء العائلة بذلك).

وورد في كتاب "مطالع الأنوار" عن محاولة زوج قرّة العين الصاق تهمة قتل والده بها وبأتباعها، ورفض الشاه فكرة القصاص من مجموعة رجال مقابل دم رجل واحد، وعن عملية تخليص قرّة العين وتهريبها بعيدا عن أعدائها، ما يلي:-

(وكانت حادثة القتل هذه قد أهاجت غضب ورثة الملا تقي وعزموا على ان ينزلوا انتقامهم على الطاهرة. ونجحوا في حبسها في منزل والدها وجعلوا عليها نسوة حراساً وأمرن ان لا يسمحن لها بمغادرة الغرفة الا للوضوء فقط. واتهموها فعلا بالتحريض على القتل وقالوا (لا نتهم أحداً غيرك بقتل والدنا لأنك أصدرت أمراً بقتله) وأرسل الذين قبض عليهم في هذه الحادثة الى العاصمة طهران وحبسوا في منزل الكدخدا (المختار). وانتشر أصحاب وورثة الملا تقي في جميع الجهات يتهمون المحبوسين بأنهم انشقوا عن الإسلام وطالبوا بإعدامهم فوراً.

وكان ورثة الملا تقي في هذه الأثناء يبذلون جهدهم للانتقام لدم قريبهم الشهير، وإذ لم يقتنعوا بما سبق لهم إنجازه، تقدموا بالطلب الى محمد شاه نفسه وسعوا في ان يكسبوا عطفه في قضيتهم، وقيل ان الشاه أجابهم بالآتي: (ان والدكم الملا تقي لا يمكن ان يبلغ رتبة أعلى من رتبة الامام علي أمير المؤمنين الذي لما علم أتباعه انه وقع ضحية لسيف ابن ملجم لم يعدموا أحدا سوى القاتل، فلماذا لا يكون القصاص في قتل أبيكم على هذا النحو، فلا يعدم سوى القاتل، فاحضروا لي القاتل وأنا أصدر الأمر بتسليمه لأيديكم لتوقعوا عليه الجزاء الذي ترون انه يستحقه).

ولما كان مسلك الشاه غير مطابق لرغباتهم تركوا الآمال التي كانوا يتعلقون بها وادّعوا ان القاتل لوالدهم هو الشيخ صالح وحصلوا على أمر بالقبض عليه ورضوا لأنفسهم قتله ظلماً، فكان أول من سفك دمه في ارض ايران. وبينما كان يقاد الى محل

الشهادة كان وجهه يلمع بالفرح والحماس وأسرع الى مكان التنفيذ وقابل الجلاد كأنه يقابل صاحباً عزيزا وصديقا حميما وكانت تتساقط من فمه كلمات الأمل والنصر بدون انقطاع وصاح بفرح عند دنو أجله (إني تركت آمال واعتقاد القوم منذ عرفتك يا من أنت أملي ويقيني) ودفنت بقاياه في حوش ضريح الامام زاده زيد في طهران.

وأخذ ورثة الملا الذين لم يكتفوا باستشهاد الشيخ صالح يبحثون عن طرق جديدة لإشباع غلهم بسبب الضغينة الشديدة التي حركتهم... وما كادوا يستلمون المحبوسين حتى أخذوا يشفون غليلهم ويصبون عليهم جام انتقامهم. وفي أول ليلة تسلموا المحبوسين أعدموا الحاج أسد الله أخ الحاج الله وردي عم محمد هادي ومحمد جواد فرهادي وكان تاجرا في قزوين اشتهر بالصلاح والتقوى بدرجة عظيمة لا تقل عن تقوى أخيه الشهير، ولعلمهم بعدم إمكانهم توقيع العقاب عليه في بلدته كما أرادوا، عزموا على قتله في طهران بطريقة تبعد عنهم شبهة اقتراف جريمة القتل. ففي نصف الليل ارتكبوا فعلهم الشنيع وفي صباح اليوم التالي ادعوا انه توفي بمرض ألم به. أما معارفه وأصحابه الذين هم من قزوين فلم يتمكنوا من كشف الجريمة التي قضت على حياة مثل هذا الشخص العظيم، فدفنوه بالاحترام اللائق به.

أما باقي الرفقاء فقد اعدموا بمجرد وصولهم الى قزوين بحالة وحشية. وكان من بينهم الملا طاهر الشيرازي والملا إبراهيم المحلاتي وكلاهما مشهور بعلمه وأخلاقه، فان الأهالي الذين سبق تحريضهم من قبل بخديعة، هاجوا وماجوا وهجموا عليهم لإعدامهم وحضرت طائفة من الرعاع الأوشاب وتسلحوا بالنشاب والسكاكين والبلط والمطاوى وقطعوهم إربا إربا وبدرجة من الوحشية بحيث لم يبق من أشلائهم جزء يصلح للدفن.

ولما عجز الشاه وحكومته عن إيقاع العقاب على المعتدين، ازدادوا جرأة واخذوا يبحثون عن وسائل جديدة لصب جام انتقامهم وإشباع أحقادهم التي لا تتوانى وظمأهم لسفك دماء خصومهم، فالتفتوا الى الطاهرة نفسها وعزموا على ان يذيقوها نفس الكأس التي شرب منها أقرانها، فلما علمت بقصدهم وهي في حبسها كتبت الرسالة الآتية الى زوجها الملا محمد الذي ورث مقام أبيه وأصبح إمام الجمعة في قزوين، وقالت له: (انهم عبثا... "يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون"[1] فاذا كان الأمر الذي أتبعه هو الحق وكان الرب الذي أعبده هو الإله الواحد الحق فانه قبل مرور تسعة أيام يخلصني من ظلمكم وان لم يفعل تكونوا أحرارا في ان تعملوا في ما تشاؤون وتكونوا أثبتم فساد اعتقادي). واختار الملا محمد ان يتجاهل هذه المباهلة لأنه لا يقدر ان يقبلها وسعى في الاحتيال بكل وسيلة وخداع لاتمام مقصوده.

قبل الساعة التي عينتها الطاهرة، رغب بهاءالله في خلاصها من حبسها وإحضارها الى طهران وان تظهر لأعدائها صدق كلامها وتهدم بناء التدبيرات التي أعدها أعداؤها لقتلها. فدعى محمد هادي فرهادي وأوكل اليه أمر نقلها الى منزله في طهران ودفع اليه خطابا مختوما ليسلمه اليها بواسطة زوجته خاتون جان. وأمره ان يطلب من زوجته ارتداء ملابس سائلة لتدخل الى المنزل الذي حبست فيه الطاهرة وتدفع لها الخطاب وان ينتظر هو على باب المنزل حتى تأتي اليه ليحضرها عنده، وقال بهاءالله للرسول (بمجرد ان تأتي إليك الطاهرة قم تواً الى طهران. وفي نفس الليلة سوف أرسل الى باب قزوين رسولا ومعه ثلاثة جياد فتستلمها وتودعها مكانا أمينا خارج السور، ثم تأخذ الطاهرة الى هذا المكان وتركبوا الجياد معا وتسيروا في طريق غير مطروق وتجتهدوا ان

1 القرآن سورة التوبة 32.

تصلوا قبل طلوع النهار الى ضواحي العاصمة. وبمجرد فتح الأبواب تدخلون المدينة وتتقدمون الى منزلي. واحترس جدا لئلا ينكشف أمركم. والله يهديكم ويسدد خطاكم ويحفظكم في كنف حفظه وحمايته التي لا تضام).

وقام محمد هادي على تنفيذ تعليمات بهاءالله مطمئناً بتأكيداته فلم يعترضه في طريقه أي مانع وأدى الخدمة المطلوبة على أتم وجه وتمكن من إنقاذ الطاهرة سالمة في الساعة المعينة الى منزل مولاه. وقد أثار نقلها الفجائي الخفي من قزوين دهشة فيما بعد بين الأحباء والأعداء على السواء. وأخذوا يبحثون عنها طوال الليل في جميع المنازل وخابوا في سعيهم ويئسوا من وجودها. وكان إتمام الوعد الذي نطقت به قد حيّر جميع مقاوميها حتى أشدهم تعصباً، وقليل منهم من أدرك قوة الأمر الخارجة عن طاقة البشر. فاعترفوا حالا بصحة الدعوى واعتنقوا أمرها واعترف الميرزا عبد الوهاب أخوها بصدق الرسالة في نفس اليوم، ولكنه لم يظهر منه ما يثبت صدق اعتقاده فيما بعد.

عندما أدركت الطاهرة انها قد أنقذت وأصبحت في حفظ بهاءالله، عرفت يقينا من هو الذي ذهبت لمقابلته. وكانت عالمة بقداسة وفضل الذي أنقذها بعطفه ورحمته، وكما قبلت أمر الباب من تلقاء نفسها وبدون دعوة من أحد واعترفت بصحته، فكذلك أدركت بفراستها مجد بهاءالله المقبل. فكانت في سنة 60 موجودة في كربلاء عندما خصصت أشعارها للاعتراف بالحق الذي سوف يظهره. وقرأت بنفسي في طهران في منزل السيد محمد الذي كانت الطاهرة تسميه الفتى المليح تلك الأشعار التي نظمتها ونسختها بخط يدها. ويشهد كل حرف منها بإيمانها ويقينها بعلو الرسالة التي جاء بها الباب وبهاءالله. ومن تلك القصيدة ما يأتي (مترجما من الفارسية):

قد خرقت أنوار الجمال الأبهى حجاب الظلام

ورقصت أرواح محبيه في النور المشرق من وجهه

كما ترقص ذرات الهباء في الضياء الخارق للظلام

وكان يقينها في قوة بهاءالله التي لا تقهر ما حداها لأن تنطق بنبوتها بكل ثقة واطمئنان وان تباهل بها أعداؤها بكل شجاعة. فكانت الثقة في تلك القوة الثابتة المتينة التي لا تتزعزع توحي اليها في أظلم ساعات حبسها ان تقرر بكل شجاعة ما قررته من تأكيد فوزها وخلاصها القريب).

جاء على لسان بهاءالله في كتاب "مطالع الأنوار" في الفصل الواحد والعشرون صفحة 364، بخصوص الطريقة التي خلّص بها الطاهرة من حبسها في قزوين وإحضارها الى طهران:-

(كنا نحتفل مع جملة من الأصحاب من الأعيان والعظماء بعرس أحد البرنسات من العائلة المالكة في طهران إذ ظهر فجأة على باب المنزل السيد أحمد يزدي والد سيد حسين كاتب وحي الباب، وأشار إلينا مظهراً انه يحمل رسالة مهمة يريد تبليغها حالا. وكنا غير قادرين مع ذلك على ترك الاحتفال في تلك اللحظة وأخبرناه بالانتظار. ولما انتهى الجمع أخبرنا ان الطاهرة قد حبست في قزوين وان حياتها أصبحت في خطر عظيم. فنادينا محمد هادي فرهادي تواً وأعطيناه التعليمات الخاصة بإنقاذها من حبسها وحراستها لغاية العاصمة. ولما استولى الأعداء على منزلنا لم نقدر على ضيافتها عندنا في مسكننا. فبناء على ذلك عملنا ترتيبنا لنقلها من منزلنا الى منزل وزير الحربية (ميرزا أقا خان النوري الذي خلف الأمير نظام رئيس الوزراء لناصر الدين شاه) الذي غضب عليه مليكه ونفاه الى كاشان. وطلبنا من أخته التي كانت من ضمن أحبائنا أن تعتني بالطاهرة وتكون مضيفتها.

وبقيت في صحبتها الى ان جاء أمر الباب لنا بالرحيل الى خراسان، فرأينا أن تقوم الطاهرة حالا بالرحيل الى ذلك الإقليم وأمرنا ميرزا موسى "أقا كليم" (أخ بهاءالله) ان يوصلها الى محل خارج باب المدينة ومنه الى أي جهة يراها مناسبة لها في الأماكن المجاورة. فأخذت الى حديقة وفيها منزل مهجور وبستاني عجوز حارس له ورجع ميرزا موسى وأخبرنا بانتقالها الى المحل الذي تهيأ لها ومدح المناظر المحيطة به وعملنا بعد ذلك على ترحيلها الى خراسان ووعدنا باللحاق بها في ظرف بضعة أيام ولم تمض مدة حتى لحقنا بها في (بدشت) وفيها أجّرنا لها بستانا خاصا. وعينّا نفس محمد هادي الذي تمكن من تخليصها ليكون بصفة بواب لها وكان معنا نحو سبعين من الاتباع سكنوا في محل قريب من تلك الحديقة).

ومما نقلته المس مارثا روت عن سمندر قزويني ايضا حول طريقة تخليص الطاهرة من حبسها في قزوين وإحضارها الى العاصمة أول مرة، انه قال:-

(كان أقا محمد هادي زوج هذه الصديقة المخلصة - خاتون جان[1] - قد أخبر أقا محمد جواد فرهادي المشهور بين جميع البابيين باسم عمو جان، ان الأخ أقا هادي قد غادر قزوين سراً في وقت مقتل ملاّ تقي وذهب الى طهران ودخل لدى بهاءالله الذي أمره بالعودة الى قزوين لمساعدة الطاهرة وإحضارها الى طهران. ولقد حمل لها رسالة من بهاءالله سلمتها لها زوجته بنفس الطريقة السابقة.

1 وحسب ما جاء في "مطالع الأنوار"، أن ميرزا هادي كان ابن ميرزا عبد الوهاب قزويني (ص 80) وميرزا عبد الوهاب كان أخ الطاهرة (ص 285).

وبعد قراءة الرسالة، قالت لها الطاهرة: "اذهبي وسأتبعك". وخلال ساعة واحدة تحركت. فأخذاها الى بيت أحد النجارين حيث لا يمكن لأحد ان يفكر في البحث عنها هناك. لم يدم أمر اختفائها طويلا، فلقد اكتشف غيابها بسرعة، وعلى الفور، طغت الفوضى على المدينة وقام الغوغاء بنهب بيت الحاج أسد الله. وخلال نفس تلك الليلة، أخذ أقا هادي يساعده أقا قلي وهو خادم ومؤمن مخلص للطاهرة، أخذاها الى سور المدينة بجانب بوابة شاه زاده حسين. ونجحوا في عبور السور وذهبوا الى مسلخ خارج المدينة حيث كان بانتظارهم بعض الخيول هناك، فامتطوها وتوجهوا نحو طهران سالكين طريق القرى مثل "ولداريه" و "اشتهارد". وعند وصولهم الى مرقد امام زاده حسن الذي يبعد أربعة أميال عن طهران توقفوا لأول مرة هناك. فاهتم أقا قلي بالخيل بينما راحت الطاهرة تأخذ قسطاً من الراحة، أما أقا هادي فذهب الى طهران ليعلن عن وصولها. وحدث أن ذهب أحد البابيين ويدعى كربلائي حسن الى الحديقة لملاقاتها، الا ان أقا قلي لم يسمح له بذلك لعدم معرفته المسبقة به ولم يسمح له بالدخول، إلا انه حاول الدخول مستهزئاً منه، فضربه أقا قلي على صدره مرتين، وهنا تقدمت الطاهرة للمساعدة، وقدمت للضيف بعض الفواكه وراحت تتحدث معه حتى جاءت مجموعة من الفرسان وأخذوهم الى بيت بهاءالله. (ويقول بعض المؤرخين أن بهاءالله بنفسه حضر مع مجموعة من مرافقيه ليدخلوها الى العاصمة).

ثم أخذوها في اليوم التالي الى قرية كان يسكنها العديد من البابيين. ولقد كوفئ أقا قلي كثيراً لإخلاصه، ووفق خلال حياته وفي النهاية أصبح ضابطاً كبيرا في الحكومة. ولقد دخل هذا الرجل لدى بهاءالله. أما بخصوص هذا الموضوع فليس عندي تفاصيل محددة، وكذلك لا أعرف بأي وسيلة أخذت حضرتها مرة ثانية الى طهران ولا الحقائق الثابتة عن استشهادها. (التوقيع سمندر).

وعن بداية أحداث قزوين، وطلاق قرّة العين من زوجها وقضية مقتل عمها، واعتراف القاتل انه لم يكن باتبياً. جاء في "مطالع الأنوار" صفحة 217:-

(وإذ وصلت الى منزل والدها أرسل ابن عمها ذلك العاتي الخبيث ملا محمد بن الملا تقي الذي ظن نفسه بعد والده وعمه أقدر مجتهدي ايران ارسل اليها بعض النسوة من منزله لاقناعها بنقل مسكنها من عند والدها الى منزله، فأجابتهن: (قولوا لهذا القريب الأحمق المغرور لو كان قصدك حقا ان تكون رفيقا لي وزوجا لكنت أسرعت لمقابلتي في كربلاء ولسرت على قدميك لحراستي وحراسة هودجي طوال الطريق الى قزوين. وإذ ذاك كنت أقدر أثناء سفري معه ان أوقظه من نوم غفلته واظهر له طريق الحق، ولكن ذلك لم يقدر له وقد مرّ على فراقنا ثلاث سنوات فلا يمكن له في هذه الحياة ولا في الحياة الآخرة ان اجتمع به فقد طرحته كلية من حياتي للأبد). وكان الجواب قاسيا شديدا بدرجة أهاج وأغضب الملا محمد ووالده وحكما عليها بالكفر واجتهدا ليل نهار ان ينتقصا من مقامها وان يثلما شرفها. وكانت الطاهرة تدافع عن نفسها بحماس وأظهرت لهما نقائص صفاتهما وكان والدها العاقل الساكن يتأسف لهذا النزاع المر واجتهد في عمل الصلح والوفاق بينهما ولكنه خاب في مسعاه.

واستمر هذا النزاع الى ان حضر الملا عبد الله من سكان شيراز[1] وهو أخلص أتباع الشيخ احمد والسيد كاظم، ووصل الى قزوين في أول شهر رمضان سنة 1263هـ[2].

1 ويذكر محمد مصطفى بغدادي ان اسم القاتل كان طاهر الشيرازي ويعمل خبازا.

2 يوافق 13 أغسطس سنة 1847 لغاية 12 سبتمبر سنة 1847م.

وحكى الملا المذكور إذ كان يحاكم في طهران أمام صاحب الديوان قال:-

إني لم أكن يوما بابيا وإذ وصلت الى قزوين في طريقي الى ماكو بقصد زيارة الباب والتحري عن دعوته، علمت ان البلد في هياج شديد وبينما كنت أمر في المدينة رأيت كثيرا من الغوغاء والأوشاب وقد خلعوا عمامة رجل وحذاءه ولفوا رقبته بالعمامة وسحبوه وسط المدينة وهم يتوعدونه بتهديداتهم ويؤذونه بضرباتهم ولعناتهم. وكانت جريمته التي لا تغتفر كما أخبروني انه تجاسر على مدح الشيخ احمد والسيد كاظم واظهر فضائلهما علنا، ولذلك حكم عليه الملا تقي حجة الإسلام بالكفر وأمر بطرده من المدينة. فذعرت من ذلك وقلت في نفسي: كيف يكون مريد الشيخ احمد والسيد كاظم كافراً ويعامل بمثل هذه المعاملة القاسية؟ ورغبة في التحقق من صدق هذه الرواية ذهبت الى محل درس الملا تقي نفسه وسألته اذا كان أصدر مثل هذا الحكم عليه.

فقال: (ان المرحوم الشيخ احمد البحريني "الاحسائي" يعبد إلهاً لا يمكن ان أصدقه فيه واني اعتبرته وأتباعه عنوان الخطأ والزلل).

قال الملا عبدالله: كنت أريد ان أصفعه على وجهه أمام تلاميذه ولكني تداركت نفسي وحلفت أن أمزق حلقه وأقطع لسانه بخنجري حتى لا يقدر مرة أخرى ان يتفوه بمثل هذه الشتائم. فتركته تواً وذهبت الى السوق واشتريت خنجراً ومدية من أحد أنواع السلاح وخبأته في ملابسي لأشفي غليلي منه وتحينت الفرصة. دخلت ذات ليلة المسجد الذي كان يؤم الناس فيه للصلاة وانتظرت لغاية الفجر الى ان رأيت عجوزا دخلت المسجد ومعها سجادة فرشتها على المحراب ووجدت الملا تقي دخل وحده وأخذ يصلي، فجئت من خلفه بسكون واحتراس وتبعته ووقفت خلفه وإذ خرّ على

وجهه ساجداً سحبت مديتي وغرزتها في قفاه فصاح صيحة قوية فقلبته على ظهره واستللت خنجري وغرزته عميقاً في حلقه ثم طعنته جملة طعنات في صدره وجوانبه وتركته يدمي في المحراب.

ثم صعدت الى سطح المسجد وراقبت صياح واضطراب الجمهور فهرع الناس اليه ووضعوه على نقالة ونقلوه الى منزله. ولما لم يعلم القاتل انتهز الناس الفرصة للتشفي والانتقام من بعضهم البعض أمام الحاكم. ولما رأيت أن عدداً غفيراً من الناس أوذي أذى بليغاً وطرحوا في السجن، ناداني صوت الضمير ان أعترف بفعلتي. فطلبت المثول بين يدي الحاكم وقلت له: (اذا أتيتك بالقاتل فهل تعدني ان تطلق سراح المظلومين الذين يعذبون مكانه؟). ولما أكد لي موافقته على ذلك، اعترفت بما عملته، ولم يكن في بادئ الأمر يميل الى تصديقي وبناء على اعترافي أحضر العجوز التي فرشت السجادة وشهدت بما يوافق اعترافي، ومع ذلك لم يقتنع بالشهادة التي أدتها وأخذوني الى سرير الملا تقي الذي كان مشرفا على الموت وبمجرد ان رآني عرفني وفي اضطرابه أشار باصبعه عليّ للدلالة على إني أنا القاتل وأظهر رغبته في ان يبعدوني عنه، وبعد برهة توفى، فأودعوني السجن. ولكن الحاكم لم يف بالوعد ولم يقبل إطلاق سراح باقي المتهمين.

وكانت سلامة طوية الملا عبد الله وصدقه قد أعجبت صاحب الديوان، فأعطى أوامر سرية لأتباعه بتسهيل هربه من السجن. وفي نصف الليل التجأ السجين الى منزل رضا خان السردار الذي كان مقترنا بأخت السباه سالار وبقي مختبئاً في ذلك المنزل الى ان حصلت المعركة العظيمة في قلعة الشيخ طبرسي حيث عزم على الاشتراك مع المدافعين الأبطال عنها وفيها شرب كأس الشهادة مع رضا خان الذي تبعه الى مازندران).

وتقتطف المس مارثا روت من مذكرات أحد البهائيين، وهو يروي ما حدث بعد مقتل عم الطاهرة، وكان شاهد عيان لما جرى من أحداث عندما كان صغيرا، ما يلي:-

(وهنا أنقل لكم بعض الفقرات من سمندر قزويني، وهو بهائي معمّر كتب ذلك خصيصاً للدكتورة سوزان مودي في طهران، وكان قد طُلب منها ان تكتب شيئاً عن الطاهرة الى السيدة "كاري جابمان كات" رئيسة اتحاد حقوق المرأة العالمي لمؤتمرهن في بودابست في هنغاريا في شهر حزيران 1913، لتنشره في كتاب طبع عن مشاهير النساء. الا ان الرسالة تأخرت في الوصول الى الدكتورة مودي، لهذا لم يرسل شيء الى بوادبست.

يعتبر هذا الجزء من التاريخ عن جريمة القتل مهماً، لأنه مسجل من قبل شخص كان صبياً في قزوين في ذلك الوقت ويتذكر الحادث بدقة، قال:-

"سمع أحد الملاوات ويدعى عبد الله صالح الشيرازي، ان الحاج ملا تقي غالبا ما يشتم الشيخ احمد والسيد كاظم، ولم يكن عبد الله صالح بابياً في ذلك الوقت، لكنه كان متعصبا بشدة للشيخ احمد والسيد كاظم الرشتي. فذهب ذات ليلة الى المسجد الذي يصلي فيه الملا تقي واختبأ حتى الفجر، وعندما جاء الملا تقي للصلاة في الفجر، هجم عليه هذا الرجل وطعنه بخنجره في فمه وبقية أجزاء جسده، ثم خبأ الخنجر تحت جسر قرب المسجد وهرب. ولم يكن يعلم عن الحادث في ذلك الوقت الا الله. وعندما تجمع الناس لاداء الصلاة، أدركوا ان ملا تقي هوجم وطعن عدة طعنات. فأخبروا ولده وبقية أقربائه وحملوا جسده الى البيت. ويشهد الله عليّ عما جرى في ذلك اليوم في قزوين من هياج. ولاعتقاد الناس ان الطاهرة وبقية البابيين هم الفاعلون، أمر ضباط الحكومة باعتقال بعض مشاهيرهم، ودخل جمع من طلاب الدين

الى بيت الحاج سيد أسد الله (وهو بابي مخلص وكانت ابنته حماة الطاهرة)، فاعتقل هو وابن أخيه أقا مهدي لكونهما كانا موجودين في البيت وأخذا الى السجن. ونهب الغوغاء بيت كل بابي يمت بصلة قرابة للمتهمين. لقد كنت صبياً صغيراً، لكنني أتذكر جيدا 'سيد محسن' ذلك الرجل الذي اشتهر بلقب 'معذب وقاتل البابيين'، كان برفقته العديد من الضباط والجلادين عندما طرق باب بيتنا. فلم يفتح له أحد، لذلك تسلقوا الجدار ودخلوا وفتشوا أرجاء البيت وحاولوا اقتحام بعض الغرف المقفلة آنذاك. فما كان من رب البيت الا ان قام بفتح الأبواب، بينما كان جميع أفراد العائلة يرتعدون من الخوف من تصرفات أولئك الرجال المرعبة. وأتذكر ما كان يقوله سيد محسن للنساء البابيات: "ان أزواجكن قد ارتدوا عن دينهم، وباستطاعتكن الزواج من أي شخص ترغبن".

واستنادا الى الشك بتخطيط الطاهرة مع الحاج سيد أسد الله لقتل الملا تقي، طلب ولد القتيل ملا محمد، زوج الطاهرة، من الحاكم إحضارها الى المحاكمة، فرفض والدها ذهابها، الا انهم جاؤوا بعد ذلك وأخذوها بالقوة ومعها خادمتها 'كفية' وبعض النسوة الأخريات. واستجوبن في دار الحكومة، فكان جوابهن: "لا نعلم أي شيء عن هذا الحادث". الا ان ملا محمد، بقي يطالب الحاكم بمعاقبتهن بشدة. مما حدا بالحاكم الى الرضوخ لطلبه، وأمر الجلادين بإحضار الحديد لكيهن. ولكي يرعبوا الطاهرة، وضعوا يدي خادمتها "كفية" تحت مزلاق الباب وهموا بحرقها من الجانب الآخر. فأدركت الطاهرة تحت وطأة هذه الظروف الرهيبة انه لا ملجأ لهن الا بالتوجه الى الله، فاتجهت بوجهها السافر نحو سجن الباب في ماكو، وشرعت في الصلاة والتضرع، لقد كان الوضع في تلك اللحظة بعيداً عن الوصف. وفجأة، علا صوت في الخارج يصيح: لقد وجدوا القاتل! وعند ذلك تحول الاهتمام تماما للسؤال: من هو القاتل وأين وجد؟ وبهذا لم يحصل الكي. ثم علم بعد ذلك ان القاتل هو الملا صالح الشيرازي الذي عندما شاهد الاضطراب

الشديد في المدينة واعتقال الأبرياء، توجه بنفسه الى دار الحكومة واعترف بجريمته قائلا: "أنا الذي غرزت الخنجر في فمه. وليس لي شركاء. وانكم أعتقلتم أهل الله بدون سبب".

فسألوه: لماذا قتلت مثل هذا الرجل العالم؟

فأجاب: لم يكن عالما. لقد كان سارقا ومقتبسا لبعض عناقيد عنب الثقافة من هنا وهناك. فلو كان رجلا حكيما لما استعمل كلمات بذيئة على المنبر ضد معلماي الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي. لقد قتلته لهذا السبب فقط.

فجلبوه الى محكمة العدل العليا ليقابل الملا محمد طليق الطاهرة والحاج ملا صالح والدها. فحوكم وقدم للمحاكمة واعترف بفعلته بمنتهى الصراحة.

فقالوا: انه يكذب.

فأجاب: ان الخنجر الذي استعملته وطعنته به في فمه، مخبأ تحت جسر قرب المسجد!

فأرسل شخص الى المكان، ووجد الخنجر وأحضره.

فقال ملا محمد مستنكرا بغضب: ان هذا الرجل لا يستحق ان يكون قاتل أبي.

فأجابه الملا صالح: ان كان شكلي لا يعجبك، فأحضر لي لباساً مناسباً حتى يبدو قاتل أبيك ذو شأن.

عندها ربط بسلاسل ثقيلة حول عنقه وأرسل الى السجن. فراح أهل المدينة يأتون جماعات لالقاء نظرة عليه من خلال نوافذ السجن. وكان من بينهم سيد محسن الذي ورد ذكره سابقا، والذي

راح يشتم الملا صالح بكلمات بذيئة وهو يقترب من بوابة السجن، فقفز السجين عليه مثل ليث شجاع ورماه بمسمار سلسلته، فاستدار السيد محسن وفرّ هارباً.

وخلال هذا الوقت، وبينما كان زوج الطاهرة يعذب المؤمنين ويطالب بالعديد من الأرواح مقابل حياة والده، كانت هي محتجزة في بيت والدها وممنوعة تماما من الاتصال بالعالم الخارجي. وحاول زوجها ملا محمد وابن عم آخر لها، تسميمها، الا انهما فشلا في ذلك. ولم يستطع أحد من أصحابها زيارتها ما عدا خاتون جان الابنة الكبرى للحاج أسد الله. وكانت هذه البابية الصديقة المخلصة، عبقرية جدا في خلق الأعذار للذهاب الى مكان حبس الطاهرة. فكانت تتخفى في بعض الأحيان بهيئة غسّالة ملابس وأخرى بهيئة متسولة وطرق أخرى عديدة، وبهذا كانت تحصل على الأخبار او تحمل للسجينة الطعام، لأن الطاهرة كانت ترفض تناول الطعام الذي يجهز لها داخل البيت. وهكذا كانت تتحمل العيش تحت هذه الظروف الصعبة القاسية. كما أرسل بعض السجناء البابيين ثانية الى قزوين حيث قتلوا.

بقي هؤلاء السجناء الأبرياء في السجن، ومع ذلك، بذل ابن الحاج ملا تقي ما في وسعه للحصول على فتوى من رجال الدين في طهران بإعدام أحد السجناء، الا انه لم ينجح. ثم قام باتهام البابيين بهذا وذاك من تعاليم الباب، فأمر جلالة الملك محمد شاه، العالم المجتهد أقا محمود من طهران بالتحقق والبحث في عقيدتهم. لذلك أحضروا السجناء أمامه، وعندما تم استجوابهم اتضح بطلان دعوى الملا محمد بخصوصهم. في النهاية ذهب الملا محمد لملاقاة جلالة الملك ومزق قميصه وشرع في البكاء وقال: "لقد ذبحوا الحاج ملا محمد تقي، ولن يعوضه دم أحد؟"

فأجابه الشاه: "لقد هرب القاتل الذي اعترف بجرمه من السجن. فاذا كانت رغبتك في تطبيق القانون، فلا قانون اداري أو ديني سيحكم على رجل بريء بالموت بدلا من القاتل الهارب. وان كنت تطلب انتقاما غير قانوني، فلماذا تتعلق باسم القانون؟ أذهب واقتل واحدا منهم".

لذلك أخذوا الشيخ صالح العربي وهو رجل طيب ذو قلب طاهر كما ثبت في العديد من المواقف وأجهزوا عليه بتفجيره من فم مدفع.

ثم طالب الملا محمد بالسماح له بأخذ بعض السجناء الآخرين الى قزوين، وكان أحدهم الشيخ المبلغ طاهر الشيرازي والثاني ملا إبراهيم محلاتي، حتى يرثي ذكرى والده بدفعهم في السير حول قبره ثم يتركهم بعدها لحال سبيلهم. فوافق جلالة الملك على هذا الطلب بعد تشديده على ضرورة تأكده من وصولهم سالمين. الا ان بعضهم قتل بوحشية تامة خلال الطريق الى قزوين. وعندما كان يحوم باقي السجناء حول القبر، أوثقوا الشيخ طاهر الى شجرة وعذب حتى الموت. كما قتل الملا إبراهيم ببشاعة نتيجة تحريض العامة المجتمعين حول القبر لنفس السبب.

وهكذا كان طلاب الطاهرة، الشيخ صالح العربي والملا إبراهيم من أوائل البابيين الذين سفكت دمائهم على التراب الايراني في سبيل أمر الله. وأول من قدر لهم من تلك الصحبة الجليلة أن يختموا بدمائهم نصرة أمر الله. أما الحاج أسد الله القزويني، البابي المسن الذي فعل الكثير لمساعدتها، فقد مات من البرد والإرهاق في الطريق الى طهران عندما أخذوه أسيراً الى هناك. (انتهى)

وعن مصير القاتل الحقيقي، قالت المس مارثا روت:-

(كُبل ميرزا صالح الشيرازي، قاتل ملا تقي بالسلاسل وأرسل الى طهران، وبالرغم من اعترافه بجريمته تخليصا للمؤمنين الأبرياء، الا انه لم يطلق سراح أحد منهم. وذات ليلة هرب من سجنه والتجأ الى بيت رضا خان ابن رئيس إسطبل الخيل التابع لمحمد شاه، وكان بابيا، وبعد عدة أيام قضاها بصحبة مضيفه، آمن ميرزا صالح بأمر الباب خلال وقت لجوئه عنده، ثم هرب الى قلعة طبرسي في مازندران. وارسل خلفه فرسان من الشرطة للبحث عنه، الا انه وصل الى القلعة بأمان).

الفصل التاسع

مؤتمر بدشت

يعتبر انعقاد هذا المؤتمر الذي أمر به الباب من سجنه في أقاصي ايران في تلك الفترة المضطربة ذا أبعاد غاية في الأهمية بالنسبة للبابية وأتباعها، فلقد كانت آثاره ونتائجه مهمة ومؤثرة جدا على جميع المؤمنين بالبابية، إذ فصلت أحداثه ووقائعه بينهم وبين من كانوا يعتقدون أن البابية مذهب أو فكرة جديدة تتسم بتجديد وتطوير الأفكار والمعتقدات الاسلامية مما علق بها من شوائب على مر القرون، وليس ديناً جديدا بكتاب وقوانين وشريعة جديدة. ان الصدمة الشديدة التي تلقاها المجتمعون حينما وقفت الطاهرة وخطبت بهم، كانت بسبب كشفها القناع عن وجهها وظهورها سافرة الوجه بينهم، والتصريح بانفصال الديانتين عن بعضهما، فوقع الحدثان على رؤوس المجتمعين مثل وقع الصاعقة بحيث

فزع البعض وهرب عدد آخر وتزلزل اعتقاد آخرين ووقف جمع منهم لا يلوون حراكا ولا يعرفون ماذا يفهلون أو يتكلمون، بينما مدَّ أحدهم يده الى حلقومه ومزق حنجرته بيده العارية من هول الواقعة. كل هذا والطاهرة واقفة بين الجمع ثابتة غير متزلزلة ولا هيابة بما يجري حولها، رغم لمعان السيوف المجردة بقربها واستمرت تكمل خطبتها عليهم، مما دفع بهاءالله الى النهوض من مكانه وإلقاء عباءته فوق رأسها وأمر باصطحابها الى خيمتها تهدئة للموقف.

لقد كانت الطاهرة من الأقطاب الرئيسية في هذا المؤتمر الى جانب بهاءالله والقدوس، وكما قال بعض المؤرخين أن عملية الاعلان بهذه الطريقة كان متفقاً عليها مسبقاً ومرتب لها سلفا، وكانت الطاهرة بنفسها صاحبة الاقتراح بإسناد إعلان الانفصال اليها. ثم دأب الأقطاب الثلاثة فيما بعد، ليل نهار في توضيح وإفهام المجتمعين بالتدريج بالمواعظ والنصائح الحسنة للثبات على طريق الهداية الجديد، لأن جميع الرجال الحاضرين كانوا من المتمسكين جداً بالأحكام والقوانين الشرعية الاسلامية ولا يمكن قبولهم الانحراف ولو قيد شعرة عن طريق الشرع الاسلامي بأي شكل من الأشكال، لذلك اقترحت الطاهرة تخطي هذه المشكلة بتبنيها الإعلان بنفسها وإفهام المجتمعين تبديل بعض الأحكام القديمة.

ومما ذكره عبدالبهاء في كتابه "تذكرة الوفاء":

(انه في وقت انعقاد هذا المؤتمر في بدشت، لم يكن الباب قد أعلن نفسه بعد عن المرحلة النهائية من ظهوره انه القائم، فقد أعلن في البداية انه الباب، الا ان القائم تعني انه الإمام الموعود. ولقد عمل بهاء الله والقدوس والطاهرة الترتيبات الضرورية

للإعلان التام عن مقام الباب وعن إلغاء عدد من التشريعات والأصول الأساسية).

وكتبت المس مارثا روت عن مؤتمر بدشت ايضا:-

(ان الحدث التالي والمهم جداً في تاريخ هذا الأمر هو مؤتمر بدشت. ومن المحتمل ان تسأل، أين تقع بدشت؟ انه مصيف منعزل يقع بين طهران وخراسان تتخلله الحدائق والأشجار وتقع فيه بعض البيوت. وكان يستعمل كاستراحة صيفية للنبلاء. انه أجمل مكان طبيعي اختاره بهاء الله للتشاور مع اتباع الباب، فلقد كان هادئاً وتنتشر حوله الحدائق الجميلة، وكان للحدائق الثلاث التي استأجروها فسحة واسعة في وسطها. وهناك كان بإمكانهم التشاور بحرية، لقد كان من الخطورة بمكان عقد مثل هذا التجمع في طهران. ومن المحتمل ان المؤمنين توقفوا في هذه القرية وهم في طريقهم الى خراسان. وقبل ذهابه أرسل بهاء الله الطاهرة الى بدشت مع الخدم والتجهيزات والمال اللازم لجماعتها. وبعد عدة أيام، ذهب بنفسه الى هناك، وكذلك ذهب القدوس. استأجر بهاء الله ثلاث حدائق، خصص الأولى للقدوس فقط، وجهّز الثانية للطاهرة ومرافقيها، واحتفظ بالثالثة لنفسه. ونصبت خيام البابيين في الساحة الوسطية. وكانت خيمة بهاء الله من خيام عائلات الوزراء، لأنه كان ابن وزير سابق.

تعجب أحد الخدم في اليوم الأول عند مشاهدته امرأة في هذا المكان تنصح وتخاطب العديد من الرجال - حتى من وراء حجاب - وكانت كلماتها تظهر أهمية قداسة هذا المؤتمر، فقالت له: "إن موضوعنا عن الله، عن الدين، عن الامور الروحانية، وفوق كل ذلك تقديم حياتنا في سبيل الحقيقة. إعلم ان أية خطوة نتخذها هي في سبيل الله. فهل أنت مستعد لإتباعنا؟"

وفي ذلك الجمع، كان في كل يوم يقدم واحد من المجتمعين خطبة عن أمر الباب.

يمكن للمرء أن يسمع كلماتها وهي تخاطب الجمع في بدشت في مجلس تشاورهم حول موضوعين:-

الأول: كيف نحرر الباب من سجنه.

والثاني: الإعلان الصريح المباشر ان كان على البابيين الاستمرار في العمل بالقوانين الإسلامية القديمة، أو ان كان الباب قد قدّم قوانيناً جديدة وعليهم تأسيس نظام جديد يتناسب مع الدورة الجديدة.

ومن الممكن انها قالت في خطابها لهم بوجهها السافر:-

(إن صوت السافور الذي أشير اليه في يوم القيامة والبعث هو صوتي الآن لكم!

انهضوا يا إخواني، إن القرآن الكريم قد تم وبدأت دورة جديدة!

ألست أنا أختكم وأنتم أخواني؟

ألا يمكنكم ان تنظروا إليَّ كصديقة وأخت حقيقية لكم؟

فإن كان ليس باستطاعتكم أن تبعدوا عن عقولكم الأفكار السوداء ـ لأنه لم يسمع في الدور السابق من ينادي بضرورة كشف وجه المرأة من خلف تلك الحجب الكثيفة ـ كيف ستتمكنون من تقديم أرواحكم فداء لدين عظيم؟

ألم تلاحظوا وتدركوا ان عادة تغطية الوجه القديمة كانت لا ترضي محمد(ص) بدرجة كبيرة؟

ألم تسمعوا قط ان نساء الرسول محمد(ص) نفسه كن في رحلاتهن مكشوفات الوجه؟

ألا تتذكرون انه في بعض الأمور كان محمد(ص) يطلب من أصحابه الذهاب الى زوجته لطرح الأسئلة عليها؟

ولكن حتى لو كان هذا ليس من سنة محمد(ص)، فاليوم قد ظهر نور جديد غيَّر كل شيء!

إن هذه هي ساعة البعث، لنملأ نفوس الرجال ببهاء الكلمة الإلهية. دعونا نحرر نساءنا ونخلق مجتمعنا الجديد. دعونا ننهض من قبور الخرافات والأنفس ونقول ان يوم القيامة قد حلَّ، عندها ستستجيب كل الارض لحرية الضمير والحياة الجديدة! إن نفخة صور البعث هي أنا!)

فعلى أكتاف الباب النحيلة القوية وعلى أكتاف حواريه القلّة وقعت أعباء مهمة تحطيم الخرافات والعادات القديمة جداً. كان على هذا ان يحدث قبل ان تبنى الحضارة الروحانية الجديدة على أسس متينة. لم يكن قد حدث مثل هذا في مختلف مراحل تطور الديانات منذ الأزل.

وصف المؤرخ الفرنسي المسيو نيقولاس هذا الاجتماع وقال انه استمر لعدة أيام، وكانت النقاشات تدور بمجملها حول موضوع الانتقال من التعاليم القديمة الى تعاليم الباب الجديدة.

كان مؤتمر بدشت قصير المدة، وفترة مكوث بهاء الله هناك كانت واحداً وعشرين يوماً. وان مواضيع المؤتمر المثيرة انتباه سكان المناطق المجاورة وأثارتهم، فهجموا على المجتمعين ونهبوا

ممتلكاتهم فلم يقاومهم البابيون او يقاتلوهم. وهكذا قوطع المؤتمر وانفض بلا نظام.

ويحكي نبيل زرندي مؤرخ الديانة البابية طريقة خروج الطاهرة من العاصمة طهران لحضور مؤتمر بدشت، نقلا عن ميرزا موسى (آقا كليم) أخ بهاءالله، ما يلي:-

سمعت آقا كليم يقض الآتي:-

(سرنا متكلين على الله، أنا والطاهرة وخادمتها الى مكان في جوار العاصمة، ولم يعترضنا أحد من الحراس الواقفين على باب شميران بأدنى اعتراض، ولم يسألونا عن الجهة التي نقصدها. وعلى مسافة فرسخين من العاصمة، نزلنا وسط حديقة تنساب فيها مياه غزيرة واقعة على سفح الجبل وفي وسطها منزل لمهجور، ولما دخلت، قابلت رجلاً هرماً كان منشغلا في إرواء الأشجار، فسألته عن صاحب البيت، أجابني: حصل نزاع فيما بين المالك والمستأجرين ونتج عن ذلك أن القاطنين في المنزل هجروه وقد طلب مني المالك حراسة المكان حتى ينتهي النزاع. فسررت جدا من هذه المعلومات وطلبت منه تناول الغذاء معنا، ولما عزمت على العودة في عصر ذلك اليوم الى طهران وجدته راغبا في المحافظة على الطاهرة وخادمتها، فتركتهما لحراسته وأكدت له أني سأعود بنفسي في المساء أو أرسل أمينا، وإني سوف أتبعه ثاني يوم بكل معدات السفر الى خراسان.

ولما وصلت الى طهران أرسلت ملا باقر أحد حروف الحيّ ومعه خادم ليصل الى الطاهرة، وأخبرت بهاءالله بخروجها سالمة من العاصمة، فسرّ لهذا الخبر وسمى تلك الحديقة "باغ الجنة" وقال: "ان هذا المنزل قد أعدته لكم يد القدرة الإلهية لاستقبالكم حتى ترحب فيه بضيافة أحباء الله".

ومكثت الطاهرة في تلك البقعة سبعة أيام وبعد ذلك سافرت الى جهة خراسان ومعها محمد حسن قزويني المسمى بالفتى المليح وغيره. وأمرني بهاءالله أن أعد لرحيلها كل ما يلزم لسفرها).

وجاء في الفصل السادس عشر من كتاب "مطالع الأنوار" بخصوص مؤتمر بدشت:-

(وكان الصيف قد ابتدأ، وبوصول بهاء الله، استأجر ثلاث حدائق، واحدة للقدوس وأخرى للطاهرة وأتباعها والثالثة لنفسه، وكان عدد المجتمعين في بدشت 81 نفر، ومن وقت حضورهم إلى يوم تفرقهم كانوا ضيوفاً على بهاء الله، وفي كل يوم كان يعطي ميرزا سليمان النوري لوحاً يقرأه بترتيل في مجمع الحاضرين. وكان يسمي كل فرد منهم باسم جديد. وتسمّى هو أيضا بالبهاء وسمّى آخر حروف الحيّ بالقدوس وسمّى قرة العين بالطاهرة وصدر لوح من الباب لكل من اجتمع في بدشت وصدر بالاسم الذي تسمى به أخيراً. وكان بعض أتباع الطاهرة من المحافظين على التقاليد القديمة قد اشتكوها فيما بعد للباب مدعين عليها بالخروج على التقاليد القديمة، فأجابهم الباب على ذلك بقوله "ما الذي أقوله عمن أسماها لسان العظمة بالطاهرة".

وفي كل يوم من أيام ذلك الاجتماع المشهود كان يلغي تقليد من التقاليد المعروفة، وبذلك أخرقت الحجب الناشئة من تقديس الأحكام الشرعية وأزيلت الأصنام التي كان يعبدها الناس عبادة عمياء. ولم يكن أحد يعرف مصدر هذا التجديد الجريء او يعين الشخص الذي كان يدير دفة الأمور بكل مهارة، ذلك الذي منح كل شخص من المجتمعين في تلك القرية إسماً جديداً. وكان كل فرد يعتقد في واحد حسبما يظن ولم يدرك منهم الا القليل بأن بهاء الله هو الذي كان مصدر جميع هذه التغييرات ذات الأثر البعيد وانه هو الذي حددها بدون خوف ولا وجل.

وكان الشيخ أبو تراب ممن اطلع على مجريات الأحوال في بدشت وحكى ذات يوم الرواية الآتية: (كان بهاء الله قد لزم الفراش ذات يوم لمرض ألمَّ به فأسرع لزيارته القدوس، فلما أدخل جلس على يمين بهاء الله وسمح لباقي البابيين بالحضور تدريجياً وما كادوا يجتمعون حوله حتى دخل فجأة محمد حسن قزويني رسول الطاهرة وهو الذي تسمي حديثاً بالفتى القزويني وأعلم القدوس بضرورة حضوره حالا عند الطاهرة لزيارتها في الحديقة.

فأجابه: (اني قطعت نفسي منها قطعياً ولا أقبل أن أقابلها).

فخرج الرسول ثم عاد ثانياً وأعاد الرسالة وتضرع اليه أن يلبي نداءها المستعجل، وقال:

(انها مصممة على الزيارة وإذا كنت مصمماً على الرفض فإنها لابد قادمة).

ولما شاهد امتناعه عن القبول استل سيفه ووضعه تحت قدم القدوس وقال:

(أنا لا أرضى أن أذهب بغيرك، فاختر أحد الأمرين إما ان تصحبني إليها او تقطع رقبتي بهذا السيف).

فأجاب القدوس غاضباً: (إني قررت أن لا أزور الطاهرة وسأنفذ لك غرضك الآخر لأنك أوكلته إليّ).

وبينما كان محمد حسن قد ركع أمام القدوس تحت قدمه مادا رأسه لتنفيذ الضربة فيها، وإذا بالطاهرة تحضر فجأة مزينة وبدون قناع أمام أعين جميع الحاضرين فأخذت الناس الدهشة ووقف الكل حائرين أمام هذا المنظر الغير منتظر. وكانوا يظنون ان رؤيتها غير محجبة من أكبر المحال وبأن النظر الى خيالها وظلها غير

جائز لأنهم يعتبرونها مظهر فاطمة الزهراء ورمزاً لعصمة الطهارة في نظرهم.[1]

فتقدمت الطاهرة بسكون ووقار تام نحو القدوس وجلست عن يمينه. وكان اطمئنانها وسكونها يقابله ما بدا من الخوف على وجوه الذين ينظرون اليها، فاضطربت أركانهم واستولى على أرواحهم الرعب والغضب والدهشة، وهزهم هذا الظهور الفجائي بدرجة ان أحدهم المدعو عبد الخالق الأصفهاني قطع حنجرته بيده وفر هاربا من وجه الطاهرة مغطى بدمه وهو يصرخ بهيجان وفعل غيره مثله وتركوا اعتقادهم ونكصوا على أعقابهم. وبقي عدد كبير واقفا أمامها بدون حراك متحيرين في أمرهم وبقي القدوس في مكانه قابضاً على سيفه المسلول وعلى وجهه علائم الغضب الشديد وكأنه ينتظر فرصة ليضربها الضربة القاضية.

فلم يحركها منظره المهدد بل كان يعلو وجهها الكرامة والثقة التي ظهرت بها عند ابتداء دخولها أمام الجمع المحتشد، وأضاء وجهها بشعور الفرح والغبطة والنصر ووقفت مكانها وخاطبت الباقين من هذا الجمع غير وجلة ولا مهتمة بما حصل في قلوب أصحابها على البداهة وبدون سابقة تفكير، وبلسان له شبه كبير بلغة القرآن ألقت خطابتها ببلاغة ليس لها مثيل وحماس شديد وختمته بهذه الآية القرآنية **(إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر)** وكانت أثناء تلاوة هذه الآية تنظر خلسة الى بهاء الله والقدوس معاً بحيث لا يقدر الحاضرون على تعيين من منهما المعني بهذا القول ثم قالت:

---

1 ورد في الأحاديث الإسلامية ان فاطمة بنت الرسول(ص) ستظهر وهي تمر على الصراط في يوم القيامة مكشوفة الوجه وعند ظهورها ينادي مناد من السماء (غضوا أبصاركم أيها الملأ).

(إني أنا الكلمة التي ينطق بها القائم والتي تفر منها نقباء الارض ونجباؤها).

ثم التفتت الى القدوس ولامته لأنه لم يصنع في خراسان الأمور التي رأت انها أساسية لمصلحة الأمر، فأجابها: (انـي حرّ أن أتبع ما يمليه عليّ ضميري ولست مقيداً بآراء وإرادة أصحابي). ثم التفتت الى جموع الحاضرين وطلبت منهم ان يحتفلوا بهذه الفرصة السعيدة بما يليق بها وقالت ان هذا اليوم يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذي فيه تفك قيود الماضي. فليقم كل من يشترك في هذا المجلس ويعانق صاحبه. وكان ذلك اليوم التاريخي والأيام التي تلته قد أحدثت في أخلاق وعوائد وحياة المجتمعين أعظم التغييرات الثورية فتغيرت طريقة العبادة تغييراً فجائياً كلياً وطرحت العبادات القديمة التي كان المتعبدون المخلصون يتبعون نظامها طرحاً أبدياً. وحصل اضطراب عظيم بين الذين قاموا على نشر هذا الإصلاح بكل جهدهم. وكان بعضهم لا يوافق على حصول مثل هذا التغيير الأساسي وظنوا انه عين الكفر وامتنعوا ان ينسخوا ما يعتبرونه أعظم أحكام الإسلام التي لا تنسخ وطائفة اعتبرت أن قول الطاهرة هو الفصل في مثل هذه الأحوال وان طاعتها واجبة على جميع البابيين وتمسك البعض ممن امتعضوا من تصرفها مع القدوس واعتبروه انه هو الممثل والنائب عن الباب والوحيد الذي يحق له ان يحكم في مثل هذه الأمور الخطيرة ونظر فريق غير هؤلاء الى الحادثة بأجمعها انها عبارة عن امتحان إلهي لفصل الصادقين من الكاذبين والمؤمنين عن الكافرين.

وكانت الطاهرة في كثير من الأحيان ترفض إطاعة القدوس وتقول: (إني أعتبر القدوس تلميذاً أرسله اليّ الباب لتعليمه وتهذيبه ولا أنظر اليه بنظر آخر).

ولم يمتنع القدوس ان يتهم الطاهرة انها صاحبة هذه الفتنة وادعى ان الذين يدعون الى رأيها وقعوا فريسة للخطأ.

واستمرت حالة المشادة بين الاثنين بضعة أيام الى ان توسط بهاء الله وبطريقته المثلى وفّق بينهما تماما ولم شعثهما ولأم الجرح الذي سببه هذا الهياج والنزاع الحاد وبذلك وجه همّة كل منهما الى طريق الخدمة المنتجة.

وحصل المقصود من هذا الاجتماع المشهود، لان النداء بالنظام الجديد كان بمثابة النفخ في الصور فمسحت التقاليد العقيمة المجمع عليها والتي كانت تقيد ضمائر الناس ومحيت بكل جسارة وبغير وجل. فتهيأت الطريق لإعلان الأحكام والقواعد الجديدة التي جاء بها الأمر الجديد وعزم بقية الجمع المحتشد في بدشت على الرحيل الى مازندران. ورحل القدوس مع الطاهرة في هودج واحد أعدّه لسفرهما بهاء الله. وفي طريقها كانت الطاهرة تنظم قصيدة وتأمر الأصحاب ان ينشدوها أثناء سيرهم خلف الهودج وكانت الجبال والأودية تردد أصوات وأناشيد ذلك الجمع المتحمس أثناء سفرهم إيذاناً بمحو القديم وبعث اليوم الجديد.

ويقول نبيل زرندي: وسمعت من فم بهاء الله نفسه وصفا لما حدث بعد المؤتمر، قال ما ترجمته:-

(كنّا مجتمعين في بلدة نيالا ونزلنا للاستراحة في سفح الجبل وفي الصباح في الفجر استيقظنا على صوت قذف الأحجار التي رشقنا بها المجاورون وكانوا يرموننا بها من أعلا الجبل واشتد هجومهم علينا حتى التجأ أصحابنا الى الهرب مرعوبين مذعورين، فألبست القدوس ملابسي وأرسلته الى محل آمن وعزمت على اللحاق به ولما وصلت اليه وجدته قد ارتحل منه. ولم يبق أحد في نيالا سوى الطاهرة وشاب من شيراز يدعى ميرزا عبد الله واشتد الهجوم وخربت الخيام. ولم أجد أحدا أسلم له

الطاهرة سوى ذلك الشاب الذي أظهر في ذلك شهامة وعزما يفوق الوصف إذ أنه أمسك سيفه بيده غير هيّاب ولا وجل من هجوم السكان الوحشي لنهب أمتعتنا ومنعهم من ذلك ومع انه جرح في مواضع كثيرة من جسمه أبى الا ان يخاطر بحياته لصيانة أموالنا رغم اني أمرته بالكف عن ذلك. فلما هدأت الحالة تقدمت الى بعض من السكان وأقنعتهم بقسوة وفظاعة عملهم ونجحت في إعادة جزء من الأموال المنهوبة).

وعاد بهاء الله مصحوباً بالطاهرة وخادمتها الى إقليم نور، وعيّن الشيخ أبو تراب لملاحظتها وحراستها وسلامتها.

ويقول عبدالبهاء في كتابه تذكرة الوفاء: (ان الطاهرة اعترضت وهي في طريقها من بدشت الى طهران واعتقلت وأرسلت الى العاصمة تحت حراسة مجموعة من الغوغاء ثم سجنت فيما بعد في بيت محمود خان كلانتر "رئيس شرطة العاصمة").

وعن دور الطاهرة المميز في مؤتمر بدشت، ورد في كتاب "القرن البديع" صفحة 47 لمؤلفه شوقي أفندي رباني، ولي أمر الديانة البهائية بمناسبة مرور قرن على دعوة الباب، جاء فيه:-

(... أنزل مؤسس الدورة شرائعها في إحدى القلاع القائمة على جبال أذربيجان بينما كان أتباع الدورة نفسها يفتتحون في نفس الوقت مؤتمراً ينعقد في إحدى السهول على حدود مازندران.

ولما كان بهاء الله على صلة وثيقة بالباب عن طريق المراسلة المستمرة، وكان القوة الموجهة للمناشط المتعددة التي يقوم بها زملاؤه من الأصحاب، فقد رأس المؤتمر ووجه أعماله وأشرف عليها بصورة مستترة ولكنها فعالة. وكان القدوس يعتبر قطب الجانب المحافظ في المؤتمر وكان يعارض في الظاهر الآراء

المتطرفة التي تدلي بها الطاهرة المشتعلة حماسة، وذلك متابعة منه لخطة محكمة سبق تدبيرها وأريد بها تخفيف حدة الهلع والفزع اللذين يثيرهما حتما مثل هذا المؤتمر. وكان الغرض الأساسي من هذا الاجتماع تطبيق شريعة البيان بالانفصال الكامل المفاجئ العنيف عن الماضي كله بنظامه وتعصبه المذهبي وتقاليده وشعائره. أما الغرض الفرعي من المؤتمر فكان بحث وسائل تحرير الباب من اعتقاله القاسي في جهريق، ولقد تحقق الغرض الأول بصورة باهرة، أما الغرض الثاني فكان مقضياً عليه بالفشل منذ البداية.

وكان مرسح هذا الإعلان البالغ التحدي والبعيد الأثر قرية بدشت حيث استأجر بهاء الله ثلاثة بساتين في محيط بهيج، خصص بستانا منها للقدوس وآخر للطاهرة، واحتفظ لنفسه بالثالث. واستضاف الأصحاب الواحد والثمانين الذين اجتمعوا من الأقاليم المختلفة من أول يوم اجتمعوا فيه الى يوم تفرقوا، وفي كل يوم من الأيام الاثنين والعشرين التي أقامها في تلك القرية كان ينزل لوحا يرتل أمام المؤمنين المجتمعين، وعلى كل مؤمن خلعَ اسما جديدا دون ان يكشف له عن شخصية من أنعم عليه به، أما هو فقد تلقب "بالبهاء" منذ ذلك الحين. وأنعم على الحرف الأخير من حروف الحي باسم "القدوس" وعلى قرة العين بلقب "الطاهرة" بهذه الأسماء وجه إليهم الباب بعد ذلك الألواح النازلة لكل واحد منهم.

وكان بهاءالله هو الذي أدار دفة الأمور في هذه القصة الباقية بثبات ودون خطأ وعلى غير توقع ولا انتظار، وكان بهاء الله هو الذي بلغ بالاجتماع قمته النهائية المثيرة. ففي ذات يوم ألمت به وعكة ألزمته الفراش، فدخلت عليه الطاهرة - التي كانت تعد الرمز النبيل الناصع للعفة، وتجسّد طهارة فاطمة الزهراء - وظهرت فجأة أمام الأصحاب المجتمعين سافرة في كامل زينتها.

وجلست عن يمين القدوس الفزع المغتاظ، وهتكت ببيانها الناري الأستار المغلفة لقداسة التكاليف الإسلامية، ونفخت في صور الدورة الجديدة وأعلنت افتتاحها. وكان الأثر صاعقاً خاطفاً، لحظتها بدت لعين الناظرين الشاعرين بالخزي والعار، أنها، وهي الطاهرة الناصعة المبجلة بصورة تجعل مجرد النظر الى ظلها كبيرة لا تغتفر، قد جلبت العار على نفسها، وأخزت الدين الذي اعتنقته، وشوهت الطلعة الخالدة التي ترمز اليها. هنالك اكتسحت أرواحهم مشاعر الرعب والغضب والحيرة وشلت تفكيرهم. أما عبد الخالق الأصفهاني الذي أخذ منه الهلع والاضطراب كل مأخذ فقد مزّق عنقه بيديه وفرّ من وجهها منفعلا يلطخه الدم. وارتد قليل من الأصحاب عن دينهم وولوا الأدبار، وجمد آخرون أمامها لا يبدون حراكا ولا يتكلمون، ولا بد أن بعضهم تذكر - وقلبه يخفق بشدة - ذلك الحديث الإسلامي عن ظهور فاطمة الزهراء سافرة وهي تعبر الصراط يوم القيامة. أما القدوس الذي أسكته الهياج والغضب، فقد بدا إنه يتحين الفرصة ليضرب عنقها بالسيف الذي تصادف انه كان يحمله في يده آنذاك. نهضت الطاهرة ثابتة الجنان غير هيّابة ولا وجلة تتهلل بشرا وسعادة. وانطلقت ترتجل بيانا بليغا حارا عجيبا أشبه ما يكون ببيان القرآن وجهته للبقية الباقية من المؤتمر وختمته بقولها الجريء:- **"إني أنا الكلمة التي ينطق بها القائم والتي يفر منها نقباء الارض ونجباؤها"** ثم دعتهم الى ان يحتضن كل واحد منهم أخاه ويحتفلوا بهذه المناسبة العظيمة.

في ذلك اليوم الباقي "نفخ في الصور" المذكور في القرآن وقعت "الواقعة" وشهدت الأيام التي تلت هذا الانفصال المثير عن طقوس الإسلام وتقاليده العريقة ثورة حقيقية في نظر هؤلاء الذين كانوا حتى آنذاك من المتمسكين بشريعة محمد(ص) في عاداتهم ومناسكهم وعباداتهم. وبرغم اضطراب المؤتمر من مبتداه الى منتهاه، وارتداد هذا النفر القليل الذي رفض أن يواجه تعطيل

تكاليف الإسلام وشريعته فقد تحقق هدف المؤتمر بصورة كاملة رائعة.

... وأخيرا، وليس آخرا، الى مبادرتها (الطاهرة) أثناء اشتراكها في مؤتمر بدشت يرجع الفضل في كشفها لإخوانها المؤمنين أشد الأمور تحديا في مكنونات الدورة الثورية التي لم يكن أحد يدركها بتمامها آنذاك. كما يرجع اليها الفضل في انفصال النظام الجديد عن أحكام الإسلام ومؤسساته انفصالا دائما. وقد آن لهذه الفتوحات العجيبة ان تتوج، وتبلغ كمالها النهائي باستشهاد صاحبتها في غمار العاصفة التي كانت تجتاح العاصمة من أقصاها الى أقصاها).

وفي شرح بهاء الله لواقعة بدشت، وما جرى خلالها، جاء في الفصل الواحد والعشرين من كتاب "مطالع الأنوار" صفحة 365 ما يلي:-

(ومرضنا "بهاء الله" ذات يوم ولازمنا الفراش. وكانت الطاهرة قد أرسلت طلبا لتحضر عندنا ودهشنا لطلبها وتحيرنا كيف نجاوبها. وفجأة وجدناها على الباب ووجهها مكشوف أمامنا ونوه عن هذه الحادثة ميرزا أقا جان (كاتب الوحي) ببيان حسن، إذ قال: (ان وجه فاطمة يجب ان ينكشف يوم القيامة وتظهر أمام أعين الناس سافرة وفي تلك اللحظة ينادي منادي الغيب ويقول "غضوا أبصاركم عما رأيتم").

وقد أخذت الدهشة والاضطراب يتغلبان على جميع الأصحاب في ذلك اليوم وامتلأ قلبهم من الخوف والوجل، ولما لم يتحمل البعض من الأصحاب ان يرى مثل هذه المخالفة الصريحة للعوائد الإسلامية المقررة، هربوا في انزعاج من أمام وجهها والتجئوا في ذهولهم الى قصر مهجور في جوار ذلك المكان، ومن الذين تزلزلوا من عملها وسلوكها وقاطعوها كلية السيد ميرزا محمد

علي النهري وأخوه ميرزا هادي وأرسلنا لهما كلمة بأنه لم يكن من الضروري لهما هجر إخوانهما والالتجاء الى القصر. وتفرق أخيرا الأصحاب وتركونا تحت رحمة أعدائنا.

وفي اجتماع الأحباء الأبطال في "بدشت"، دهش الكثيرون من جرأتها وشجاعتها حتى انهم رأوا من واجبهم ان يعلموا الباب بعملها العجيب الذي لم يسبق له نظير واجتهدوا ان يسيئوا سمعتها لديه، فأجابهم الباب بقوله: (ماذا عسى ان أقول في من أسماها لسان العظمة والقوة بالطاهرة)، فقطعت هذه الكلمات جهيزة كل قول وأسكتت الذين أرادوا تقويض سلطتها والنيل من سمعتها، فمنذ ذلك الوقت دعيت بالطاهرة من جميع المؤمنين).

قد يتساءل القارئ: لماذا لم يشترك الملا حسين (باب الباب) في مؤتمر بدشت؟ تقول مس مارثا روت:

(حتى وقت طباعة كتاب "مطالع الأنوار" في سنة 1932م، قد يتساءل المرء عن سبب عدم حضور باب الباب (ملا حسين بشروئي) الى المؤتمر، ففي الفصل السادس عشر يتضح السبب، فهو لم يعلم شيئاً عن المؤتمر، وغالبية الذين اجتمعوا هناك كانوا في طريقهم اليه في مشهد، وحتى في مذكرات ميرزا جاني يجد المرء سبباً؟ فباب الباب كان راغباً في التوجه من مشهد الى مازندران قبل عدة أيام من انعقاد المؤتمر الفعلي، وزار في يوم مغادرته تلك المدينة مقام الامام الرضا بصحبة سبعين من أتباعه. واتفق ان حصل شغب بين أتباعه وسلطات المدينة، لذلك أرسل البرنس حمزة ميرزا وراء باب الباب واحتجزه لعدة أيام في معسكره. وحالما أطلق سراحه، جمع أصحابه وبدأ المسير. وعندما وصل الى قرب بارفروش وصلته أخبار وفاة محمد شاه. فأثار هذا الخبر حالة من الاضطراب الشديد في المملكة، وهوجم باب الباب وأتباعه بسبب ايمانهم بتعاليم الباب، وحوصروا في

مقام الشيخ طبرسي، فلم يستطيعوا سوى الدفاع عن أنفسهم فقط، وكان من المستحيل عليهم مغادرة المكان، فهم لم يذهبوا الى هناك لبناء قلعة او لمحاربة المسلمين او محاربة الحكومة لا سمح الله. لقد حوصروا من قبل قوات الجيش.

كانت شرارة البداية قد انطلقت في أول الأمر من قبل أعداء الدين الجديد، وبسرعة ساندهم جنود الشاه. ولقد سبق وأن كتب القدوس قبل ذلك رسالة تنبأ فيها بظروف استشهاده هو وباب الباب، ويمكن للقارئ ان يفهم ما تبع ذلك في بقية المذكرات.

بعد انفضاض مؤتمر بدشت وتفرق المؤتمرين وتشتتهم نتيجة المصادمات، وبينما كان بعضهم ما يزال في قرية نيالا، وصلتهم الأخبار وهم مازالوا في الطريق عن محاصرة باب الباب في طبرسي. كان القدوس قد وصل الى مدينته بارفروش وقت وصول الأخبار، وحالما استطاع الخروج أسرع الى باب الباب وبدأ بمساعدته في تنظيم القلعة لتكون جاهزة للحصار. مع حسن الحظ، ان الحصار بدأ في الوقت الذي ذهب غالبية ضباط الجيش الى طهران لحضور حفلة تتويج جلالة الإمبراطور ناصر الدين شاه في 20 أكتوبر 1848، وخلال هذا الوقت تمكن الرجال في طبرسي من تحويل هذا القصر الى ما يعرف اليوم باسم "قلعة طبرسي".

حالما سمع البابيون عن هذه المصيبة الخطيرة التي وقعت على باب الباب وأتباعه، نهضوا من فورهم للتوجه إليها ومن أبعد مقاطعات إيران بل وحتى من العراق في محاولة للوصول الى هذه البقعة المهلكة. وكانوا يعلمون بالتأكيد انه بعد وقت قليل، ان كل فرد من تلك العصبة المخلصة في قلعة طبرسي سيسقط أمام مدافع الأعداء. فماذا كان يرى البابيون المسرعون الى القلعة في

خيالهم؟ أو هل تذكرون نبوءة القدوس في رسالته عن الموت القادم؟

ويقال ان الطاهرة عند سماعها بمصيبة باب الباب وأتباعه قررت الذهاب الى قلعة الشيخ طبرسي لمساعدتهم بتنكرها بلباس رجل. الا ان بهاء الله طالبها بعدم فعل ذلك. وقال لها: قبل كل شيء ستفشلين في الوصول، وفوق ذلك ان الحرب والقتال لا تناسب أي فرد خاصة النساء. إضافة الى ان هناك ظهور جديد يأمر بالابتعاد عن الحروب).

وجاء في كتاب "مطالع الأنوار" في صفحة 231، عن بداية اجتماع بدشت ووصول المؤتمرين اليه، ما يلي:-

(.. وبهذه الكلمات ودّع القدوس أصحابه وارتحل مع ميرزا محمد علي القزويني من مشهد وبعد مرور بضعة أيام تقابل مع ميرزا سليمان النوري الذي أخبره بخلاص الطاهرة من حبسها في قزوين وبرحلتها الى خراسان وبانتقال بهاء الله من العاصمة بعد ذلك. وكان ميرزا سليمان وميرزا محمد علي في صحبة القدوس حين وصلوا الى بدشت. وكان وصولهم الى تلك القرية في ساعة الفجر ووجدوا هناك جماعة كثيرة عرفوا انهم من البابيين. ومع ذلك عزموا على السفر الى شاه رود، فلما اقتربوا من هذه القرية قابل ميرزا سليمان الذي كان سائراً على مسافة خلفهم محمد حناساب الذي كان حاضراً في طريقه ايضا الى بدشت. فلما سأله القدوس عن القصد من ذلك الاجتماع أخبره بأن بهاء الله والطاهرة قد قاما برحلتهما الى هذا المكان وانهما تركا فعلا شاه رود منذ بضعة أيام لهذا الغرض. وان جموعا كثيرة حضرت من اصفهان وقزوين وغيرها من بلاد إيران وهم جميعا منتظرون ورود بهاء الله في رحلته الى خراسان.

وما كاد بهاء الله يعلم بوصول القدوس الى شاه رود، حتى قام في مساء ذلك اليوم الى تلك القرية ممتطياً جواده ومعه الملاّ محمد معلم النوري ثم عاد مع القدوس الى بدشت في صبيحة اليوم الثاني في ساعة الشروق. وكان الصيف قد ابتدأ وبوصول بهاء الله، استأجر ثلاث حدايق، واحدة للقدوس وأخرى للطاهرة وأتباعها والثالثة لنفسه، وكان عدد المجتمعين في بدشت 81 نفر ومن وقت حضورهم الى يوم تفرقهم كانوا ضيوفاً على بهاء الله).

وعن شجاعة الطاهرة كتب الدكتور جين في كتابه "اتحاد الأديان والأقوام"، قال:-

(وكانت هذه الجسارة التي وقعت من قرة العين هي التي زعزعت أسس الأحكام الإسلامية في إيران يضاف الى ذلك ان ثمرة تعليم قرة العين الأولى لا تقل عن تعليم القدوس من حيث الشجاعة وان استنارتها الباطنية ربما أخذتها من بهاء الله وطبعا ان افتراض غضب أغلب وأكبر أصحابها من عملها وعزمهم على توبيخها إنما كان من قبيل المباسطة اللطيفة).[1]

وكما قال البروفيسور جين:

(إن ظهور امرأة مثل الطاهرة في أي بلد وفي أي عصر هي حالة نادرة او حدث نادر، لكن ظهورها في بلد مثل إيران فهو أعجوبة، لا بل انه معجزة تماما. ومثلما كانت في عفتها وجمالها الرائع ومواهبها العقلية الفذة وفصاحتها المتوهجة وايمانها الشجاع واستشهادها المجيد، كان وقوفها نادراً ليس لها مثيل بين نساء

1 هنا وفي هذا الوقت (وقت انعقاد مؤتمر بدشت) تبدل اسم قرة العين الى (الطاهرة) وراح أصحابها وأتباعها يطلقون عليها اسم الطاهرة بعد أن منحها إياه بهاء الله مؤسس الديانة البهائية فيما بعد.

بلادها وبقيت ذكراها خالدة الى الأبد. إن كان ليس لدين الباب من إدعاء عظيم، فيكفيه انه أظهر بطلة مثل قرة العين "الطاهرة"). [1]

وفي تقدير أعمال الطاهرة جاء في المجلة الآسيوية:-

(وكيف تمكنت امرأة ضعيفة مثل الطاهرة ان تجمع حولها نفراً من الأتباع المنظور إليهم بنظر الكفر مع قلة الاستعداد وخاصة في بلدة مثل قزوين التي فيها للعلماء تأثير ونفوذ عظيم. وبسبب كثرة عددهم وأهميتهم كانت الحكومة والأهالي تهتم بهم. وهذا مما استوقف نظر المؤرخ الإيراني سبهر، فهذا مما لا نظير له في جميع الأوقات السالفة). [2]

وجاء في كشف الغطاء تفسيرا للخلاف الظاهري الذي حدث بين الطاهرة والقدوس:-

(انه حصل اتفاق بين القدوس والطاهرة على ان الأخيرة تقوم بتفهيم الحاضرين على ان الأمر الجديد مستقل بذاته عن القديم وتتكلم عن نسخ الأحكام في الشريعة القديمة وان يعارضها القدوس في ادعائها ويرفض ادعاءها وكان هذا الاتفاق يلزمها لتخفيف وطأة الأمر بالتجديد واتقاء المخاطر التي يتعرضون اليها من جراء مباغتة جماعة المؤمنين وإطلاعهم على مقاصد الدين الجديد). [3]

وعن دور بهاء الله خلال أحداث المؤتمر والتأثير الحاصل على المجتمعين، كتب نقولاس:-

---

1 كتاب اتحاد الأديان والأقوام للدكتور جين صحيفة 103-104. وورد في كتاب تاريخ ظهور الحق مترجما عن الفارسية أن القدوس كان يجيب الطاهرة عند مناداته بعبارة (لبيك وسعديك يا سيدتي ومولاتي).

2 المجلة الآسيوية 1866 الجزء 7 صحيفة 474.

3 كتاب كشف الغطاء صفحة 211.

(وكان بهاء الله على ما يظهر متخذا خطة الحياد في هذا النزاع ولو انه كان هو المحرك الأول وصاحب النفوذ الحقيقي في جميع أطوار هذه الحوادث. وكان التأثير مدهشا مخيفا. فخبأ البعض وجوههم بأيديهم ووضع آخرون رؤوسهم تحت عبائهم حتى لا ينظروا وجه الطاهرة فانه اذا كان النظر الى وجه أجنبية محرماً فكيف النظر الى وجه الطاهرة الصديقة... وانتهى الاحتفال بهياج لا يوصف ووقعت الشتائم على خطابة امرأة لا حياء عندها لتظهر في الجمع عارية الوجه وظن البعض انها جنت وقال آخرون انها لوقاحة ولم يوافق على عملها سوى القليل).[1]

وعن أهداف المؤتمر، كتب الدكتور جين:-

(وقيل ان الغرض من هذا الاجتماع تخليص الباب ونقله الى مكان آمن ولكن الرأي المعول عليه انه كان لوضع حد بين الإسلام والأمر الجديد وهو ما ينطبق على المعقول).[2]

وكتبت المس مارثا روت أيضا:-

(وكان الغرض من المؤتمر تصحيح خطأ شائع فكان الكثيرون يعتقدون ان القائم الجديد إنما جاء ليتمم الأحكام الإسلامية فكانوا يظنون ان مهمة محمد هي لأجل إصلاح العالم بالعدل والأمن وان ذلك لا يتم الا بسفك الدماء والاعتماد على مساعدة الأحكام الإلهية. وأما الباب فكان على العكس من ذلك يتحرك مع تلامذته في طريق الإقناع الأدبي فكان سلاحه سيف الروح وهو كلمة الله. وانه اذا ظهر القائم تتجدد جميع الأشياء. ولكن القائم كان على وشك الظهور وكان لابد من تهيئة الأمور لظهوره ولا يصح ان يكون هناك فارق بين الأجناس والأقوام المختلفة. ولا بين الرجل

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنيقولاس صفحة 283-284.
2 كتاب اتحاد الأديان والأقوام صحيفة 80.

والمرأة. وان لا يكون الحجاب عنوان انحطاط المرأة. ولقد أوجدت تلك المرأة ذات المواهب الجليلة حلاً لشؤون المرأة.. وقد قيل في إحدى الروايات انها (أي قرة العين) بنفسها حضرت المؤتمر لابسة القناع واذا كان الأمر كذلك فإنها ما لبثت ان صاحت في الجمع الحاشد **(إني أنا صوت الصافور والنداء الذي ينفخ في الصور ان انتبهوا أيها النائمون... الخ)** وقيل ان بهاء الله أتبع خطاب هذه المرأة الشجيعة بتلاوة سورة القيامة[75]. فلمثل هذه التلاوات تأثير قوي شديد. والمعنى المقصود من كل ذلك ان العالم ابتدأ يدخل في دورة جديدة دنيوية وكان من الضروري لها، وجود قوانين وأحكام وقواعد جديدة).[1]

الفصل العاشر

الأحداث في طهران

سكنت الطاهرة العاصمة طهران مرتين، الأولى عندما نزلت ضيفة لبضعة أيام في بيت بهاءالله بعد تخليصها من حبسها في بيت أبيها في قزوين أثر حادثة اغتيال عم زوجها، والثانية بعد عودتها من مؤتمر بدشت وحبسها في بيت رئيس الشرطة حيث استمر لما يقارب ثلاث سنوات، انتهى باستشهادها.

يتضح من سير الأحداث ان استمرار حبس الطاهرة منذ بداية إعلان دعوة الباب وهي في كربلاء ثم في بغداد ثم تسفيرها الى إيران وحبسها في بيت والدها ثم في بيت رئيس الشرطة طهران وحتى بعد استشهاد الباب وبعد محاولة اغتيال الملك في أغسطس (آب) 1852م، ان حبسها استمر أكثر من أي مؤمن آخر بالديانة البابية، بل حتى من الباب نفسه، ويمكننا القول ان فترة سجنها

1 مارثا روت، نقلا عن كتاب اتحاد الأديان والأقوام للدكتور جين صحيفة 101-103.

استمرت طوال عمر الديانة البابية منذ إعلانها في 1844م وحتى بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال الملك، وحبس بهاءالله في سجن سياه چال (الجب المظلم) أثر تلك المحاولة.

أما الأسباب الكامنة وراء طول مدة سجنها، فيمكن تلخيصها كالتالي: اعتناقها البابية علناً وشجاعتها في إعلان دعوة الباب بدون خوف ولا وجل. شعور رجال الدين بخسارتهم الجسيمة لهذه الشخصية الفريدة بوقوفها ضدهم وكشفها ضعف حججهم. تنبؤها بطريقة مقتل عمها واتهامها بالتخطيط للجريمة او المشاركة فيها. هجرها لزوجها وابتعادها عنه وإهانته مما دفعه الى تطليقها ثم اتهامها بمقتل أبيه. كونها امرأة ضعيفة في مجتمع متخلف سهل ذلك على معارضيها وحسادها التشهير بها وإلصاق مختلف أشكال التهم بها. تكرار مباهلتها علماء الدين في حقيقة معتقدها ودحض حججهم في جميع المدن التي دخلتها. نجاحها في الهرب من حبسها في قزوين وانتشار خبر ذلك بين الناس وأثره السيئ في نفوس العامة والغوغاء واستغلال أعدائها عملية الهروب في النيل من شخصيتها ودورها الرائع الكبير والفريد في مؤتمر بدشت عند إعلانها بشجاعة فاقت شجاعة رجال زمانها عن حقيقة انفصال الديانة البابية عن الديانة الإسلامية. تحول شخصيتها حتى خلال حياتها الى رمز لتحرر المرأة وقوتها. انتشار اسمها وصيتها بين جميع طبقات المجتمع الإيراني باعتبارها معجزة دينية وعلمية وشعرية لم تظهر من قبل مما أثار الحسد وثبّت الغل في صدور معانديها. خشية رجال الدين وخوفهم من إنهاضها همم النساء وصحوتهن للمطالبة بدور أكبر لهن في المجتمع بعد ان أنزل المجتمع الشيعي في إيران دور المرأة الى أدنى المستويات في ذلك الوقت. محاولة قتل الشاه من قبل بعض البابيين والعاصفة الرهيبة التي هبت على إيران أثر هذه المحاولة. تحميلها بعض مسؤوليات الأحداث باعتبارها نجماً لامعا في البابية يجب إطفاء نوره. محاولة التخلص من كل رمز للديانة البابية. محاولة إنهاء

فتنة الديانة البابية بكل آثارها. كل هذه الأسباب وغيرها كانت وراء معاناة الطاهرة للحبس والسجن والتعذيب والاستشهاد في النهاية.

كتب عنها عبد البهاء في كتابه "تذكرة الوفاء":

(انها سجنت في بيت رئيس الشرطة).[1] وذات مرة، كان هناك احتفال كبير في هذا المنزل، كانت مناسبة خطوبة ابن رئيس الشرطة، وحضرها العديد من السيدات من الطبقة الارستقراطية من أميرات وزوجات وزراء وزوجات شخصيات أخرى، كان مجلساً رائعاً ومميزا، وبدأت الموسيقى والرقص واندمج الجميع بذلك، فدخلت الطاهرة وبدأت بالحديث على الفور عن تعاليم الباب، فشمل الجميع العجب والاستحسان لقولها بحيث تركوا الرقص والغناء والتفوا حولها لاستماع حديثها الشيق. ونسوا حفل الخطوبة تماما).

ورد في الفصل الثالث من كتاب مارثا روت ما يلي:-

(كيف يمكنني أن أقدم لكم كل ما عرفته عن مراسلات الطاهرة مع جلالة الملك ناصر الدين شاه. فعندما جيء بها الى بلاطه بعد إحضارها من بدشت، قال حال رؤيتها: **"لقد أعجبني شكلها، اتركوها ودعوها كما هي"**. ويقال أيضا ان الشاهنشاه أرسل لها رسالة الى بيت رئيس الشرطة، ملخصها انه طلب منها إنكار الباب والعودة الى الإسلام، فاذا فعلت ذلك، فسوف يمنحها قصراً

1 ورد في أحد كتب التاريخ ان الطاهرة سجنت في غرفة صغيرة منفردة في البداية فقط، ولأن نساء رئيس الشرطة أحبوها بدرجة كبيرة، طلبوا ان تأتي وتعيش داخل البيت معهم، فكان لها غرفة فيها شرفة في الطابق الثاني من المنزل. ويعتقد انها سكنت هناك لمدة ثلاث سنوات أو أكثر، وبما ان الحبس لم يكن صارماً جدا، فقد استطاعت مقابلة العديد من الناس ممن جاءوا تحت أعذار مختلفة للاستماع لأحاديثها.

رائعاً وستكون مسئولة عن نساء قصره، وتكون زوجة له. فأجابته ببيتين من الشعر كتبتهما على ظهر رسالته وأعادتها اليه. وما يلي ترجمة لمضمون تلك الأبيات لا تعطي معناها الحقيقي ولا تفي بروعة جمالها الأصلي:-

لك الملك والغنى والحكم

ولي العجب والفقر والذلة والبؤس

ان كان ذلك المقام جيداً، فخذه

وان كان هذا المقام سيئاً، فإني أتشوق له، فدعه لي

وعندما قرأ الشاه ردها، مدح روحها الرائعة وشجاعتها، وقال: **"لم ينجب لنا التاريخ مثل هذه المرأة منذ زمن بعيد".**

لقد أخبرني أقرباء الطاهرة في قزوين انها دعيت قبل يوم واحد من استشهادها الى بلاط جلالة الملك ناصر الدين شاه، فقال لها في ذلك اليوم: **"لماذا آمنت بالباب؟** فلم تجبه من عندها، بل نطقت بسورة "الكافرون": **(لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين).** لذلك سأعبد من أشاء وأعبد أنت من تشاء.

عندها أطرق جلالته برأسه الى الارض بصمت لبعض الوقت، ثم نهض وترك الغرفة بدون ان يقول شيئاً. وعلى كل حال، فقد سمعت ان حاشية الملك وخدّامه قرروا قتلها، فقتلوها في اليوم التالي بدون علم الشاه، ولقد حزن كثيراً عندما علم بذلك.

في بيت رئيس الشرطة، حبست في البداية في غرفة خارجية صغيرة فوق سطح المنزل بدون سلالم، فكان يوضع لها سلم خشبي كلما أرادت الصعود ثم يرفع. وذات يوم جاءت إحدى

الأميرات وكانت شاعرة ايضا تأمل رؤية الطاهرة ومقابلتها، وبعد ذلك ذكرت هذه الأميرة في أحد كتبها عن حالتها وكيف كانت الطاهرة سعيدة جدا. لقد قيل عن فرحها وسرورها في كل مكان وفي كل التواريخ وأشار الى ذلك كل من تكلم عنها. لقد كانت طلقة متحمسة فرحة دائماً، وحتى في أعظم مراحل الخطر على حياتها كانت مصدر شجاعة للآخرين. انها لم تكن شهيدة فقط، لكنها كانت امرأة شابة باسمة مرحة. أقول شابة لأن عمرها كان حوالي اثنين وثلاثين عاما أو على الأكثر ستة وثلاثون عندما أعدمت في أغسطس 1852م.

هنالك روايات كثيرة عن موتها، أما الاختلاف فهو في كيفية إجراء الفعل، الا ان الجميع اتفقوا على انها كانت تعلم من خلال قدرتها على التنبؤ انها ستقتل، كما انها قابلت قاتلها بشجاعة لا تدانى.

وتستطرد المؤلفة قائلة:

أولا، أقتطف ما قاله عبدالبهاء عنها وعن موتها. فقد كتب ذات مرة: (من بين نساء زماننا "الطاهرة"، ابنة المجتهد الإسلامي. أظهرت في وقت ظهور الباب قوة وشجاعة فائقة تعجّب منها كل من سمع عنها. لقد خلعت عنها الحجاب رغم العرف القديم عند الإيرانيين، ورغم ان مجرد الكلام مع الرجال كان يعتبر عملا شائناً، فقد ناقشت هذه المرأة البطلة كبار العلماء، وكانت في كل مجلس تتغلب عليهم. وقالت عندما كانت في السجن: يمكنكم قتلي وقتما تشاءون، إلا أنكم لا تستطيعون وقف تحرير المرأة).

وهكذا عاشت في بيت رئيس الشرطة حتى حصلت حادثة ارتكاب اثنان من الحمقى البابيين المجهولين "يقول بعض المؤرخون انهم كانوا ثلاثة" وكان قد تأثر هذا الرجل لاستشهاد محبوبه الباب، فحاول الإقدام على جريمة قتل الشاه في 15

أغسطس 1852. فلم يصب الشاه الا ببعض الخدوش، وتمكن في اليوم التالي من عقد جلسته العادية. الا ان عمل هذا البابي الفظيع قد سوّدَ صفحة تاريخ البابية في كل أنحاء العالم. وفي المقابل، لم يحصل في تاريخ الشعوب ان ارتكب مثل هذا الانتقام والعقاب ضد الأبرياء كما فعل ناصر الدين شاه وحكومته تجاه كل مؤمن بالباب. ومع انهم لم يعرفوا شيئا عن هذه المؤامرة، فقد بحث عنهم في كل مكان، وفي 15 سبتمبر 1852م قتل حوالي ثمانين شخصاً في أفظع وأبشع وسائل يمكن استنباطها. فالشاه ورئيس الوزراء ورئيس الفراشين وكل الحكومة كانوا مذعورين وخائفين وأصبحوا متطرفين جدا في حقدهم، لذلك قرروا ان على كل شرائح المجتمع ان تشارك في هذه المذبحة وعلى كل واحد ان يكون مسئولا عن إعدام واحد او اكثر من هؤلاء المؤمنين. فكانت شدة بشاعة جرائم كل طبقة من طبقات المجتمع تدل على درجة إخلاصها للشاه! ان هذه الرواية ستوضح ما حصل للطاهرة وتخبركم عما جرى لبهاء الله، أما الآخرين فيمكنكم القراءة عنهم في كتب "مطالع الأنوار" و "مذكرات سائح" و "التاريخ الجديد".

في اليوم التالي لحادثة الاعتداء على حياة الشاه، ذهب بهاءالله بنفسه الى نياوران حيث مقر الموكب الملكي ومركز المعسكر الإمبراطوري، فاعتقل وقيد بالسلاسل وأخذ الى طهران. ولقد شاهدتُ ذلك السجن تحت الارض حيث وضعوه (يستخدم هذا الجب الموبوء اليوم، مصنعاً للتبغ) وشاهدت المحكمة التي أخذ اليها حيث وضعوا أقدامه بين عوارض خشبية وضربوه خمس عشرة جلدة. انه لم يفعل شيئاً وكذلك لم يفعل أحد من هؤلاء السجناء شيئاً. لقد كانوا أبرياء، ولقد صدموا من وقع الجريمة كما صدمت الحكومة نفسها. لم يكن هنالك مجال للنجاة من الموت أمام بهاءالله، لولا أن الشاه أمر بالتحقيق في قضيته بشكل منفرد من قبل وزراء القصر. بعد ذلك، تحققت براءته تماما، لذلك لم يحكم عليه بالقتل، إلا ان حقوقه المدنية صودرت ولم يطلق سراحه،

وبعد أربعة أشهر نفي الى بغداد. ومن المحتمل ان ذلك كان بسبب منزلته العالية في طهران، فنجى من الموت بأعجوبة، الا ان البهائيون يعتقدون انه بقي على قيد الحياة، لأنها كانت إرادة الله لإنشاء هذا الدين العالمي الجديد.

ولقد تقدمت بعض الممثليات الأوروبية، الى البلاط الإيراني، في محاولة لإقناع الشاه بعدم تعذيب المتهمين قبل عمليات الإعدام كما كان يجري، الا ان هذه المحاولات باءت بالفشل.

كانت الطاهرة تعيش سجينة في بيت رئيس الشرطة، ومن المؤكد انه لم يكن لها ضلع بالمحاولة الفاشلة على حياة الشاه، ومع ذلك وبسبب كونها مؤمنة بتعاليم الباب أدينت بالمحاولة. وكما ذكر في "تذكرة الوفاء"، فإن موظفي الدولة جاؤوا الى منزل رئيس الشرطة وأخذوها تحت ذريعة اصطحابها الى بيت رئيس الوزراء. الا انها كانت قد استعدت لذلك واستحمت في ذلك الصباح واستعملت عطر ماء الورد وارتدت أفضل فستان حرير أبيض لديها، وودعت كل من في البيت وأخبرتهم انها ستذهب في المساء في رحلة طويلة. لقد تنبأت روحها الطاهرة بمصيرها. وكانت مستعدة عندما جاؤوا بطلبها تلك الليلة وذهبت معهم. فأخذوها الى حديقة. في البداية تردد الجلاد لفترة قليلة في تنفيذ الأوامر الصادرة بقتلها لدرجة انه رفض التنفيذ. بعد ذلك عثروا على عبد زنجي أسود مخمور، فوضع هذا منديلا في فمها وخنقها. بعد ذلك رموا بجثتها في بئر في الحديقة وأهالوا عليها الحجارة والتراب.

وبينما كُنت في طهران سنة 1930م، قدمت لي الدكتورة سوزان مودي تقريرا حول استشهاد الطاهرة أخبرها بها الرجل المسن أديب المبلغ البهائي المشهور، وكان قد تشرف بزيارة بهاءالله في عكاء. كان أديب أستاذاً في الجامعة وأنشأ أخيرا

"مدرسة التربية للبنين" في طهران. وكان والده مدرساً في عائلة فتح علي شاه. وما يلي كتب بتوقيع أديب، قال انه كان صديقا حميماً لقلي الذي جاء مع الطاهرة الى طهران. وهنا أقتبس فقط الجزء الخاص باستشهاد الطاهرة:-

"في كل مجلس عقد في طهران، كان الرجال والنساء يتكلمون بمحضر الطاهرة بمنتهى الأدب. وجاء اليها العديد من الأعيان والسيدات المعجبات لتغمرهم بالسرور والغبطة بسبب كلماتها المتشبعة بالأمل. وكان الجميع من كل الطبقات وحتى الأمراء ووزراء الدولة ينجذبون لفصاحتها وينحنون بخضوع أمامها عند الدخول في محضرها. ولقد انتشرت خطبها وتوضيحاتها في مختلف أنحاء إيران ولم يكن لأحدٍ أقل شك حول ثقافتها وعلمها.

عندما كنت شابا "أديب" اعتدت دراسة الفلسفة مع ميرزا عبد الوهاب شقيق الطاهرة. وعندما كنت أخطأ أو يحصل لي إشكال أسرع في طلب مساعدته. ذات يوم من أيام الصيف، ذهبت اليه في غرفته الخاصة وكان جالساً لوحده، وبما ان اليوم كان حاراً، فقد كان يرتدي جلباباً أبيضاً فضفاضاً، بعد جلوسي بقليل وعندما حصلت فرصة مناسبة، قلت له أريد ان أسألك بعض الأسئلة، إلا اني كنت متردد في السابق دائماً، والآن اذا سمحت لي فسأفعل. فأعطاني الإذن. لذلك قلت: ان شهرة وعلم وكمال الطاهرة منتشر بين الناس بحيث أذهل العقول. ولا أحد يعرف الموضوع أفضل منك، لذلك أريد ان أعرف منك حقيقة او كذب هذا الموضوع؟

فتنهد وأجاب: مع الأسف انك سمعت باذنك عن كلام وفصاحة الطاهرة فقط، وإنك لم ترها بعينك. أعلم وتيقن حقاً، انه في أي مجلس كانت تحضره، لا أنا ولا أي شخص آخر يستطيع ان ينبس ببنت شفة، كان يبدو لو ان كل كتب القبل وكتب المستقبل مفتوحة أمامها، لقد اعتادت ان توضح الموضوع بتقديم البراهين الواضحة

من كتب العلماء صفحة بعد صفحة بحيث لا يملك احد القدرة على الإنكار.

لقد سُمع كثيراً الحاج ملا تقي الذي اغتيل وهو يقول: "عندما تظهر علامات القائم الموعود سيظهر ايضا زنديق قزوين وان كلمات هذا الزنديق ستكون كلمات امرأة دين؟" والآن لقد ظهرت هذه المرأة ودينها. في الحقيقة ان كلامها وتوضيحاتها شاهد حقيقي لها.

ومنذ ذلك الحين، أفتى رجال الدين بمنع جميع النساء من الدراسة، مخافة ان يصبحوا مؤمنين مثل الطاهرة.

في سنة 1852م، أطلق بعض البابيين المتعصبين النار على ناصر الدين شاه، لذلك أصبح جميع المؤمنين بتعاليم الباب في خطر عظيم. فأخبر محمود خان رئيس الشرطة كلاً من الشاه ورئيس الوزراء، ان الطاهرة ما تزال تسكن في بيته، فخشيا ان يصدرا عليها حكم الموت بدون محاكمة، مدركين انها كانت صديقة حميمة ومحبوبة جدا من غالبية سيدات المجتمع ومن الطبقة الارستقراطية، ومن المحتمل ان يؤدي قتلها الى قيامهن باحتجاج لا يستطيع أحد إخماده.

ورغبة من رئيس الحكومة في إتمام عملية قتلها، أمر اثنين من أكبر وأشهر علماء الدين في طهران، وهما الحاج ملا كنى[1] والحاج ملا محمد أندرماني في التباحث معها، وأعلن: انه مهما قرر رجلا الدين بخصوصها فإنه سينفذه.[2]

1 ورد الاسم في كتاب "مطالع الأنوار" (كيني) و (كنى).
2 من كتاب الطاهرة أعظم امرأة ايرانية – لمارثا روت.

وهكذا تمت المباحثات في بيت رئيس الشرطة محمود خان، وكانت في كل جلسة تتناقش معهما، تتغلب عليهما، ولكنهما بقيا غير مقتنعين برأيها. وفي النهاية كتبا حكمهما التالي:-

"إن هذه المرأة كافرة ورئيسة الكفرة، لذلك فموتها ضروري ولازم".

فوافقت الحكومة على ذلك، وأضافت لحكم رجلي الدين بعض التهم الكاذبة الأخرى، ونشرتها بين النساء والرجال. وهكذا استطاعت الحكومة تغيير أفكار الناس، فانقلبوا عليها ورغبوا بموتها. وعلى كل حال، وعلى الرغم من هذا الإعلان، فقد قتلوها بسرية أثناء الليل وهم خائفون وجلون.

لقد أخبرني (والمتكلمة مارثا روت) حفيد الطاهرة الذي يعيش في طهران في مارس 1930م:-

إنني سمعت من والدي ان ناصر الدين شاه طلب حضور ثلاثة من الملاوات الكبار لمناقشة الطاهرة. وفي هذا النقاش سألوها ما هي إثباتات دينك؟ فأثبتتها من القرآن. فحاول الملاوات ما في وسعهم التغلب عليها، الا انهم فشلوا في ردها. ورغب الشاه ترتيب جلسة مناقشة ثانية، الا ان الملاوات لم يسمحوا بحضور الطاهرة في ذلك اللقاء، إضافة الى انهم طلبوا من الحكومة إعدامها بسرعة كبيرة. ولم يكن ناصر الدين شاه راغباً في إعدامها.

ولعل الأجيال القادمة تجمع سيرة مستوفية من تواريخ حياتها بما خفى عن معاصريها ولعل المؤرخين فيما بعد يقدّرون قوة تأثيرها ويدونون بتوسع تام تلك الخدمات الجليلة التي أدتها للوطن ولأبنائه. ولعل المؤمنين بالدين الذي خدمته يبذلون الجهد في إتباع مثلها ويعددون أعمالها ويجمعون كتاباتها ويبسطون أسرار

أفكارها ويجددون ذكراها على ممر الأيام ومحبتها في قلوب أهالي وشعوب الارض.

وتستطرد مارثا روت: وهكذا جَمَعْتُ هذا الكم من المعلومات عن الطاهرة من مصادر عدة، بعضها من أعمال مطبوعة وبعضها من مخطوطات، وأغلبها نقلته شفاهة من أصدقائها وأقربائها.

وعلى كل حال، فقبل ذهابي الى إيران رأيت تأثير الطاهرة الكبير في كل القارات الخمس التي زرتها. وحالما وقفت بجانب البئر في تلك الحديقة الصغيرة في قلب العاصمة طهران حيث رمي جسدها العزيز، فكّرت بسطور أحداث الدراما الجميلة "أبطال الله" لمؤلفتها السيدة لورا دريفوس بارني من باريس حيث ذكرت فيها قصة هذه الأخت الشرقية بشكل رائع جداً:-

"أوقفوا امتهانكم وتجديفكم! يا لسخف أهدافكم! هل تعتقدون إنكم تستطيعون دفنها هناك؟ سوف تظهر مرة ثانية والى الأبد أمامكم جميعاً! إنكم قد زرعتم ذكراها في عقول الرجال، وسوف تنتقل محبة روحها الى ملايين القلوب النابضة الحيّة. لقد طمستم أعمالكم في أسفل السافلين وشيدتم صيتها فوق القمم. سوف تتوهج الشجاعة والإخلاص والحقيقة الى الأبد بعد الطاهرة.

وأنا أوافق سليمان ناظم بك، المؤلف الكبير وشاعر تركيا الذي قال في كتابه "ناصر الدين شاه والبابية":- آه يا طاهرة، أنت أغلى من ألف ناصر الدين شاه!"

في ترحالي حول العالم، وجدت أنهم يعرفون عن الطاهرة في كل مكان. فالسيدة ماريانا هاينش من فيينا. النمسا والدة رئيس النمسا، قالت لي عندما زرتها في سنة 1925:- ان الطاهرة (قرة العين) القزوينية من إيران، هي أعظم وأعلى مثل لي في حياتي.

لقد كنت في السابعة عشر من عمري عندما سمعت عن حياتها وعن استشهادها، لكني قلت في نفسي: "سأحاول جهدي ان أفعل لنساء النمسا ما حاولت الطاهرة ان تفعله لنساء إيران وقدمت حياتها من أجلهن". ولم تفعل امرأة في النمسا لتحرير وتثقيف نساء مجتمعها كما فعلته السيدة هاينش. كانت صديقة السيدة هاينش الحميمة الآنسة ماري فون ناجماجير، وكتبت الأخيرة قصيدة رائعة فخمة الأسلوب اسمها "قرة العين"، تعتبر واحدة من الأدب الرفيع الكلاسيكي في اللغة الألمانية.

ولقد طلب مني البروفيسور ج. فايل أمين مكتبة شتاتس بيبليوتك في برلين، التي تعتبر واحدة من أعظم ثلاث مكتبات في العالم، استعارة كتاب "أبطال الله"، قصة الطاهرة. وعندما أعاد الكتاب لي في اليوم التالي قال: لقد سررت بقراءة هذا الكتاب الجميل، سوف نطلب نسخاً منه اليوم. نحن نرغب بشراء كل كتاب يمكننا الحصول عليه عن الديانة البهائية.

وقال لي الطلاب الإيرانيون الذين يدرسون في برلين وباريس، انه في بيوتهم، عندما كان يرغب الآباء في حث بناتهم على العلم والدراسة، غالبا ما يقولون لهن: "كُنَّ مثل الطاهرة.. كُنَّ مثل قرة العين".

وقال لي أمير إيراني عظيم عضو في عصبة الأمم سنة 1927: " كنت شاباً يافعاً عندما سمعت عن استشهاد الشاعرة الموهوبة الطاهرة (قرة العين) في طهران، وأقول لك لقد بكيتها ثلاثة أيام.

وقال ارمينيوس فامبري في بودابست في هنغاريا في كتابه "رحلاتي وما شاهدته في إيران سنة 1867"، حيث تكلم عن الباب وأتباعه. وفيما بعد في سنة 1913 قابل هذا الرجل عبدالبهاء عند زيارته الى بودابست فآمن وأصبح بهائيا. وعندما زرت

بودابست في سنة 1926، كان حفيده جورج فامبري وهو شاب في العشرين من عمره مهتما جدا بدراسة حياة الطاهرة.

وعندما دعاني نواب سير أمين جونك بهادور الكبير، ناظم مدينة حيدر أباد في الهند الى مكتبته الجميلة التي كان يسميها "كنزي" وكان مسلما قرأ الكثير عن الديانة البهائية، قال لي في شهر يونيو 1930م: ان أكثر ما شدّه الى الديانة البهائية كان حياة الطاهرة الرائعة، وكان يرغب كثيرا في الحصول على أشعارها باللغة الفارسية.

والسيدة ساروجينا نايدو من حيدر آباد ايضا، هي سيدة معروفة جدا في الهند ومتكلمة فصيحة وشاعرة ترجمت أعمالها الى العديد من اللغات، وتعتبر أعمالها لدعم المرأة من أعظم الأعمال في هذا القرن، قالت لي في الرابع من شهر يونيو 1930 خلال سفرتي الثانية لنشر تعاليم بهاءالله في أنحاء الهند: "آه.. لقد اشتقت لمدة عشر سنوات في الحصول على أشعار الطاهرة!" وبما ان أحد البهائيين في إيران كان قد استنسخ لي بعضا من أشعار الطاهرة ووضعها في كتاب صغير جميل كهدية لي، فقد كنت أحاول كتابة بعضها بخط يدي لأقدمها لها ولبعض الأساتذة في الهند، من ضمنهم الكاتب والشاعر الإسلامي الشهير سير محمد إقبال من لاهور.

عندما علم السيد اسفنديار ك.ب. بختياري بما نويت عليه، وهو بهائي إيراني مخلص يقيم في كراجي كان في صحبتي في لاهور في ذلك اليوم، أخذ هديتي وطبع منها ألف كتاب صغير لأتمكن من تقديمها خارج الهند ايضا. كانت الطاهرة شاعرة عظيمة جداً، وبما ان غالبية أشعارها كانت روحانية وعن الباب وأمره المبارك، فلقد أحرقت مع بقية كتاباتها. ولقد لحنت بعض أشعارها وغالبا ما أسمعها مسجلة في بيوت الإيرانيين.

آه يا طاهرة، إنك لم تموتي، إنك مررت فقط، ان روحانيتك وشجاعتك ومآثرك ستتوهج الى الأبد، نُبلك ورفعة أخلاقك الإنسانية، أغنياتك الروحانية ستكنز في قلوب لا عداد لها. إنك لحد هذا اليوم، معلمنا البهائي المثير الحيّ! وان أعمالك هي مجرد البداية، لأنك ستنقلين الديانة البهائية الى الملايين التي لم تولد بعد!

وعن خلاص الطاهرة من حبسها كتبت مارثا روت ايضا:-

(كانت الطاهرة في ذلك الوقت، ضيفة في بيت بهاءالله في طهران رغم البحث الجاري عنها، وكانت منشغلة بالتبليغ فردياً كل يوم وتتكلم من خلف ستارة. وكان الناس مستغربين لمشاهدة العديد من الأشخاص يدخلون ويخرجون بيت بهاءالله ولتردد العديد من البابيين على قصره. فقد كان والده وزيراً ورئيس سكرتارية جلالة الشاه الإمبراطوري قبلها.

لقد شاهدت بيت بهاءالله في طهران، ويبدو انه كان غنياً جداً، كان البيت مكوناً من سبعة بيوت متصلة ببعضها. كما كان له بيتاً صيفياً خارج المدينة على سفح جبل البرز. ولقد أصبح من أتباع الباب، مباشرة بعد باب الباب سنة 1844م.

ولم يلتق بهاءالله مع الباب أبداً. وكانت بينهما مراسلات كثيرة. وكما ذكرت في البداية، فان الطاهرة لم تشاهد الباب وكانت تشتاق للذهاب الى ماكوه للقائه. ولقد أوضح لها بهاءالله استحالة ذلك. لقد مُنح المؤمنون الإذن من الباب بزيارة خراسان اذا أمكن، ليتعلموا من باب الباب ويتشرفوا به. فقررت الطاهرة ان تقوم بذلك، إلا انها في ايام مكوثها في طهران، استطاعت بسرعة تمييز مقام وروحانية بهاءالله وكانت تستشيره في كل الامور.

لم تمض إلا بضعة أيام على وصول الطاهرة الى طهران حتى عزم بهاءالله على ان يرسلها الى خراسان بصحبة الأحباء الذين

استعدوا للرحيل لتلك المدينة وكذلك عزم هو ايضا على الرحيل من العاصمة الى تلك الناحية بعد بضعة أيام. ولذلك دعا أخاه أقا كليم وأمره ان يستعد لنقل الطاهرة مع خادمتها قانتة الى محل خارج أبواب العاصمة ليرحلوا منه الى خراسان. وأمره ان يحترس لئلا يلحظ الحراس الموجودين على أبواب المدينة والذين لا يصرحون بمرور السيدات بدون رخصة حتى يتعرفوا شخصيتها فيمنعوا سفرها).

أما عن فترة ما بعد انتهاء المؤتمر وبداية حبس الطاهرة في العاصمة، قال نبيل زرندي:-

(وفي تلك الأيام علمت ان الطاهرة بعد انفضاض الجمع في بدشت قطنت في جهة نور ثم وصلت الى طهران وحبست في منزل محمود خان كلانتر في الدور الأعلى، ومع أنها كانت مسجونة وأسيرة إلا أنها كانت تعامل بالاحترام والاعتبار. بينما حبس أربعة عشر رجلا من كبار البابيين في الطابق الأرضي واستمروا محبوسين في منزل محمود خان كلانتر من اليوم الأول الى اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني).

وعن إيمان الطاهرة بدعوة بهاء الله حتى قبل تصريحه بذلك، قالت مس مارثا روت:-

(عندما كنت في طهران، سمعت من أحد أحفادها موضوعاً غريباً، إلا إنني شخصيا أعتقد به، قال: ان الطاهرة أخبرت الشاهنشاه انها تؤمن ببهاء الله، وانه أمرها بنشر أمر الدين الجديد. فأعدت سؤالي للمتحدث، إن كان ذلك لا يعني شخص الباب نفسه؟ وللمرة الثانية، أجاب: كلا. انه بهاءالله!

من المؤكد انها عرفت دور بهاءالله من خلال بصيرتها الثاقبة ودوره في هذه الديانة العالمية. ولقد أثبت ذلك كل تصرف صدر منها بعد تلك الزيارة.

كما تقول الطاهرة في إحدى رسائلها: "إلهي إلهي أزل الحجاب عن وجه بقية الله، إلهي احفظ حسين سرّ محمد وقدّم يوم القيامة، واجعل يا الهي نقطة البهائ تنتشر... الهي احفظ جميع من يطوفون حول النقطتين التوأمين وابقهم ثابتين على أمرك العظيم حتى يتمكنوا من رؤية النقطة التي تشع عليهم الضياء".

وذكر عبد البهاء في "تذكرة الوفاء" عن كيفية اعتقال الطاهرة الأخير ونقلها الى طهران وحبسها في منزل الكلانتر:-

(ان الطاهرة أعْتُرِضَتْ وهي في طريقها من بدشت الى طهران واعتقلت وأرسلت الى العاصمة تحت حراسة مجموعة من الغوغاء ثم سجنت فيما بعد في بيت محمود خان كلانتر "رئيس الشرطة").

وعن اللقاء التاريخي بين الطاهرة وهي ضيفة في منزل بهاءالله ووحيد الدارابي العالم الإسلامي النحرير عند زيارته لمنزل بهاءالله في طهران. قال عبد البهاء في تذكرة الوفاء (صحيفة 306)، قال:-

(كانت الطاهرة تستمع من وراء ستار كلمات وأقوال وحيد حيث كان يتكلم عن آيات وعلامات الظهور بكل فصاحة. وكنت إذ ذاك طفلا وجالساً في حجرها بينما كانت تستمع الى الدلائل التي كانت تتدفق من شفتيه بدون انقطاع، وأتذكر كيف انها قاطعته فجأة ورفعت صوتها قائلة:

(يا يحيى ان الوقت وقت الأعمال لا الأقوال فأت بعمل ان كنت ذا علم رشيد فلتجعل الأعمال شاهده على صحة الامر واترك الأقوال والأحاديث الماضية فالآن هو الوقت الذي تظهر فيه آيات

الله وتخرق حجبات الأوهام لاعلاء شأن كلمة الله والتضحية في سبيله. فليكن زينتنا وفخرنا في الأعمال لا الأقوال).

ولقد حصلت حادثة صغيرة ذات معنى كبير أثناء زيارة وحيد لمنزل بهاءالله، كتبت عنها مس مارثا روت، ويبدو ان هذه الحادثة قد وقعت بين سنتي 1847 - 1848، قالت:-

(كانت "الطاهرة" مغرمة جداً عبد البهاء، وكان له من العمر آنذاك ثلاث أو أربع سنوات. ولقد اعتادت أن تحمله كثيراً. ذات يوم جاء سيد يحيى الدارابي المشهور بوحيد لزيارتها. وهو من أولئك المؤمنين الأوائل الذين استشهدوا في نيريز فيما بعد. وبقي ينتظر حضورها كثيراً، حتى قال لها الأحباء:

"ألا تتركين الطفل وتذهبين للتحدث معه؟"

فقالت في جوابها وهي تضع الصغير بجانبها وتخاطبه:

"يا حامي الأمر الإلهي، أتسمح لي بالذهاب لمقابلة أحد أتباع الأمر؟"

فاستغرب أولئك الذين سمعوها، لأنه في ذلك الوقت لم يكن حتى والد هذا الطفل قد أعلن أمره بعد. ومن المحتمل انهما في أحاديثهما الروحانية الخاصة كان قد أخبرها بشيء عن مهمته القادمة!).

الفصل الحادي عشر

مقتل قرّة العين (الطاهرة)

إثر محاولة اغتيال الشاه الفاشلة، اعتقد الملك وحاشيته أن البابيين استفحل أمرهم وان لهم اتجاهات سياسية دفعتهم للتجاسر على حياته، فأمر باقتلاعهم من جذورهم وتعقبهم أينما كانوا ساعده في ذلك علماء الدين الذين تضررت مصالحهم، فقاموا مثل رجل واحد يبحثون عن كل من له صله بهذا الدين، وحدثت مجزرة لم يشهد لها تاريخ الأديان السابقة من قبل فطالت جميع البابيين تقريبا ونجحوا في القضاء عليهم إلا فئة قليلة استطاعت اللجوء إلى العراق المجاور لخضوعه للسلطة العثمانية.

كانت الطاهرة خلال أحداث تلك المجزرة محبوسة في بيت رئيس الشرطة، فأرسل لها الملك اثنان من رجال الدين ليحاجوها في أمرها وبعد عدة مقابلات اقتنعا انه لا فائدة من مناقشتها وأنها مصرة على إيمانها، فحكما فكفرها وإعدامها مما دفع بالملك إلى استدعائها لمقابلته، ولقد أعجب الملك بشخصيتها وجمالها، فعرض عليها أن تكون زوجته الأولى وسيدة قصره إن هي تراجعت عن مبدئها، إلا أنها رفضت وأجابته بتلاوة آيات من القرآن الكريم. فأسكت هذا الجواب الملك وأطرق رأسه وترك عرشه وانصرف دون أن يتفوه بكلمة. فكانت هذه المقابلة إعلانا لنهاية حياتها، مما دفع بجلاوزة القصر إلى قتلها والتخلص منها.

كتبت المس مارثا روت في كتابها (الطاهرة أعظم امرأة إيرانية) مترجما عن الانجليزية:-

(إنني أشعر إنها كانت تعلم مسبقاً باستشهادها وقدمت استقبالاً رائعاً له. ومن خلال هذا النور يمكن للمرء أن يفهم روحانيتها الطاهرة وشجاعتها المقدامة ليس فقط تجاه الخطر المحدق بحياتها بل لكونها أول امرأة في العالم الإسلامي الشرقي تجرأت على رفع النقاب عن وجهها خلال فترة قصيرة، والى امتلاكها الشجاعة الكافية للذهاب إلى مؤتمر بدشت للتشاور مع مجموعة من أتباع الباب. إن فاطمة الزهراء لم تقدم المساعدة إلى والدها محمد(ص) أكثر مما قدمته الطاهرة لمساعدة الباب في إظهار حقيقة هدفه).

وجاء في كتاب "القرن البديع" لشوقي أفندي رباني في الجزء الأول الفصل الخامس صفحة 97 بخصوص استشهاد الطاهرة، ما يلي:-

(وبينما كان بهاءالله يعاني تلك الامتحانات القاسية والشدائد المروعة في تلك الأيام الهائجة المائجة كان ثمة نجم آخر من نجوم الدين، ونعني به الطاهرة الجريئة، يهوي بسرعة تحت قوتهم

المدمرة. لقد بدأ عملها الباهر كالشهاب أول ما بدأ في كربلاء، وبلغ أوجه في بدشت، وهو يوشك الآن أن يبلغ نهايته بشهادة يمكن أن توضع بجدارة واستحقاق في مصاف أشد القصص تحريكا للقلوب في أعنف فترات التاريخ البهائي وأشدها اضطرابا.

كانت سليلة أسرة الحاج ملا صالح البرقاني الشهيرة التي طالما احتل أفرادها المكانة المرموقة في النظام المذهبي بإيران. وكانت سمية فاطمة الزهراء، ولكن أسرتها كانت تسمّيها زرين تاج (التاج الذهبي) والزكية. ولدت في نفس السنة التي ولد فيها بهاءالله وكان أهل مدينتها يعدونها منذ نعومة أظفارها آية في الذكاء والجمال. وأجلَّها قبل إيمانها بعض أكابر علماء بلادها كعبا بطرافة آرائها ووجاهتها وجدّتها، وخاطبها أستاذها المعجب، السيد كاظم، بـ "قرة العين" ولقبها لسان القدرة والعظمة "بالطاهرة ."وكانت السيدة الوحيدة التي سلكها الباب في عداد حروف الحي، وعن طريق حلم... اعتنقت الدين وثابرت على نشره وترويجه حتى في أشد الأوقات خطورة وخطرا بكل ما أوتي روحها الغلاب من حماسة وقوة حتى النفس الأخير. ولقد نصرت أمر الباب بجدية وحماس غير عابئة باحتجاجات والدها الشديدة، غير مكترثة بشتائم عمها، غير آبهة لتوسلات زوجها وإخوتها. لا يفت في عضدها التدابير التي اتخذتها المقامات المدنية والدينية في كربلاء ثم بغداد ثم قزوين للحدّ من نشاطها. ولقد ثابرت على إشعال حماسة العرب والعجم، وأخذ البيعة منهم للظهور الجديد، والدعوة إلى تغيير عادات قومها ومسالكهم تغييرا ثوريا، وذلك عن طريق خطبها البليغة العصماء وتنديداتها الجريئة بالمفاسد وأبحاثها ودراساتها وأشعارها وترجماتها وتفسيراتها ومراسلاتها.

كانت هي التي قد نهضت في كربلاء، أقوى معقل للشيعة، لتوجه الرسائل الطوال للعلماء المقيمين بتلك المدينة، والذين كانوا

قد رجعوا بمنزلة المرأة إلى ما فوق منزلة الحيوان بقليل، وأنكروا عليها حق امتلاك أي شيء حتى الروح. وفي رسائلها هذه دافعت بحرارة عن هدفها الثاني، ونددت بمآربهم الخبيثة. وتحدّت مواضعات أهل تلك المدينة المتعصبين تحديا صريحا سافرا، وذلك بأن تجاهلت الذكرى لشهادة الإمام الحسين التي تقام باحتفال مهيب في فواتح المحرم من كل عام، واحتفلت بدلا منه بعيد ميلاد الباب الذي يوافق غرة ذلك الشهر. وببلاغتها العجيبة وقوة عارضتها المدهشة أفحمت الوفد الممثل للشيعة والسنة والمسيحيين وأكابر اليهود في بغداد والذي حاول أن يصرفها عما عاهدت نفسها عليه من نشر بشارات الرسالة الجديدة. وببراعة فائقة دافعت عن دينها وبررت تصرفاتها في بيت الفقيه النابه الشيخ محمود الآلوسي مفتي بغداد. ثم عقدت جلساتها التاريخية للأمراء والعلماء ورجال الحكومة المقيمين بكرمنشاه حيث قرأت عليهم وترجمت لهم تفسير الباب لسورة الكوثر، وبلغت هذه الجلسات قمتها باعتناق الأمير (الحاكم) هو وأسرته الدين الجديد. وكانت السيدة الموهوبة التي أخذت على عاتقها ترجمة تفسير الباب الضخم لسورة يوسف (قيوم الأسماء) لصالح أخوتها في الدين من الإيرانيين، وبذلت أقصى ما تستطيع من جهد لتنشر هذا الكتاب العظيم وتوضح محتوياته، وبجسارتها ومهارتها وقدرتها على التنظيم وحماستها الظامئة استطاعت أن تثبت دعائم فتوحاتها في محيط لا يقل جفاء ولا عداء عن قزوين، قزوين التي افتخرت بأن أسوارها تضم ما لا يقل عن مائة علاّمة من علماء الإسلام الأفذاذ. هي التي قاطعت وحيداً النابغة، أثناء لقائهما الخالد في منزل بهاءالله بطهران عندما كان وحيد يتابع حديثه القيّم عن علامات المظهر الجديد وأشراطه، ودعته بقوة، وهي تضع في حجرها عبدالبهاء الذي كان طفلاً آنذاك، إلى أن ينهض ويظهر بالأعمال لا بالأقوال عمق إيمانه ومدى بطولته وتضحيته. وإبان شهرتها وذيوع صيتها في طهران تزاحمت على بابها زهرات المجتمع ليستمعن إلى أحاديثها الرائعة عن مبادئ دينها الفريدة. وكان سحر

بيانها هو الذي جذب المدعوات في حفل زفاف ابن محمود خان الكلانتر الذي اعتقلت في منزله، وصرفهن عن الطرب والسمر، وجمعهن حولها متلهفات ظامئات إلى كل كلمة من كلماتها. وكان لتأكيدها الحار والقاطع لدعاوى الظهور الجديد ومعالمه المميزة خلال سبع جلسات عقدتها في المنزل نفسه مع مندوبي الصدر الأعظم الذين أرسلهم لاستجوابها الأثر الكبير في الإسراع بالحكم عليها بالإعدام. ومن قلمها فاضت المدائح التي لا تشهد بوضوح وصراحة بإيمانها الراسخ بظهور الباب فحسب بل وتشهد باعترافها برسالة بهاءالله المجيدة التي لم تكن قد تكشف أمرها بعد. وأخيرا، وليس آخرا، إلى مبادرتها أثناء اشتراكها في مؤتمر بدشت يرجع الفضل في كشفها لإخوانها المؤمنين أشد الأمور تحديا في مكنونات الدورة الثورية التي لم يكن أحد يدركها بتمامها آنذاك. كما يرجع إليها الفضل في انفصال النظام الجديد عن أحكام الإسلام ومؤسساته انفصالا دائما. وقد آن لهذه الفتوحات العجيبة أن تتوّج، وتبلغ كمالها النهائي باستشهاد صاحبتها في غمار العاصفة التي كانت تجتاح العاصمة من أقصاها إلى أقصاها.

وهكذا انتهت حياة تلك البطلة البابية العظيمة، أول شهيدة في سبيل تحرير المرأة. فلقد التفتت إلى سجانيها عند موتها، وقالت في جرأة: **" تستطيعون قتلي بأسرع ما تريدون ولكنكم لن تستطيعوا إيقاف تحرير المرأة ".** كان عملها باهراً بقدر ما كان قصيرا. وكان محزنا بقدر ما كان مليئاً بالأحداث، ولقد عمت شهرة هذه السيدة الخالدة الآفاق، وطبقت الخافقين على خلاف زملائها من المؤمنين الذين ظلت معظم أعمالهم الجليلة مجهولة لا يتغنى لها احد من معاصريهم في البلاد الأجنبية. أما هذه السيدة فقد ذاع صيتها بسرعة ملحوظة حتى بلغت عواصم أوروبا الغربية، وأثارت الإعجاب والعطف وانتزعت الثناء البالغ من الرجال والنساء وذوي الجنسيات والمهن واللغات المختلفة. فلا عجب أن أضاف عبدالبهاء اسمها إلى سارة وآسية ومريم العذراء وفاطمة

الزهـراء، اللـواتي شـمخن علـى بنـات جنسـهن بمزايـاهن الذاتيـة ومكـانتهن الفريـدة علـى مـر الـدورات السـابقة، ووصـفها بقولـه: "كانت آفة الزمان في التقرير وفتنة العالم في الاحتجاج". ووصفها مرة أخرى بأنها: "قبس من نار محبة الله" و "سراج موهبة الله.

وذات ليلة أدركت أن ساعتها قد دنت، فلبست ثياب العرس وتزينت وتعطرت بالطيب، وأرسلت تطلب زوجة الكلانتر وباحت لها بسر دنو استشهادها، وأسرّت إليها بوصاياها الأخيرة. ثم اعتكفت في جناحها وانتظرت في تعبد وتبتل وابتهال تلك الساعة التي تشهد اتحادها مع محبوبها. وكانت تذرع غرفتها وهي ترتل مناجاة تعبر عن الحزن والنصر حين أقبل فراشو عزيز خان السردار في سكون الليل يسوقونها إلى حديقة ايلخاني خارج أسوار المدينة، موضع شهادتها. وعندما وصلت إلى الحديقة كان السردار مع معاونيه لاهين مخمورين يغرقون في الضحك. فأمر عفو الخاطر بأن تخنق على الفور وأن يلقى بها في حفرة. وبنفس المنديل الحريري الذي احتفظت به بالغريزة لهذا الغرض، ودفعت به في اللحظة الأخيرة إلى ابن الكلانتر الذي رافقها، خنقت البطلة الخالدة، وألقي بجثمانها في بئر ثم أهيل عليها التراب والحجارة على نحو ما رغبت.

والواقع أن قصة حياتها العجيبة انتشرت طولا وعرضا بمثل ما انتشرت به قصة حياة الباب منبع إلهامها المباشر. واليك ثناء معلق معروف على حياة الباب وأصحابه، قال: ‘**إنها آية في العلم وآية في الجمال**’. وأثنى عليها كاتب مرسحي معروف كانت سارة برنارد سألته أن يكتب تاريخ حياتها في صورة مرسحية، قال: ‘**هي جان دارك الإيرانية، زعيمة تحرير المرأة في الشرق. شبيهة هيلويز العصور الوسطى وهيباشيا الأفلاطونية الحديثة**’. وشهد اللورد كرزون من كدلستون بأن ‘**بطولة زرين تاج شاعرة قزوين الجميلة المنكودة الطالع... هي قصة من أقدر قصص**

التاريخ الحديث على تحريك المشاعر'. وكتب الأستاذ أ.ج. براون المستشرق الانجليزي الشهير **'إن ظهور امرأة كقرة العين يعتبر ظاهرة نادرة في أي زمن من الأزمان وفي أي قطر من الأقطار بل انه في قطر كإيران يعتبر أعجوبة إن لم يكن شيئا يقارب المعجزة... ولو لم يكن للدين البابي من سبب يمت به إلى العظمة سوى انه أخرج لنا بطلة مثل قرة العين لكفاه سبباً'.** وأبدى رجل الدين الانجليزي المعروف دكتور ت. ك. تشين في احد كتبه تلك الملاحظة ذات الدلالة الكبيرة، قال: **'إن البذور التي بذرتها قرّة العين في العالم الإسلامي بدأت تؤتي أكلها... هذه السيدة النبيلة... يرجع إليها الفضل في افتتاح عهد الإصلاح الاجتماعي في إيران...'** وأشار إليها الدبلوماسي الفرنسي الملحوظ المكانة والكاتب القدير كونت دي جوبينو بقوله: **'مما لا شك فيه انه من أعجب ظواهر هذا الدين وأدعاها إلى الاهتمام'.** ثم أضاف: **'وفي قزوين كانت تعتبر أعجوبة عن جدارة واستحقاق'.** وكتب مرة أخرى: **'لقد اخبرني كثيرون ممن عرفوها عن قرب واستمعوا إليها في فترات مختلفة من حياتها... انها كانت إذا تكلمت تحركت مشاعر المستمع وملأ صدره الإعجاب ومال إلى البكاء'.** وكتب سير فالنتين تشيرول: **'ليس هناك من ذكرى أحق بالتخليد من ذكراها، وليس هناك من ذكرى لأقدر من ذكراها على إشعال الحماسة من جديد. وما زال التأثير الذي خلّفته في حياتها ينسكب على قضية بنات جنسها...'**

وما أكثر الذين تلهفوا على معرفة المزيد عن حياتها من المعجبين بها المتحمسين لها في قارات العالم الخمس! وما أكثر الذين سما مسلكهم بمثلها الملهم! وما أكثر الذين حفظوا مدائحها الفريدة عن ظهر قلب، لحنوا أشعارها أو تألق طيف روحها الغلاب أمام أبصارهم، أو أكنوا لها في قلوبهم حبا وإعجابا لا ينال الدهر من سناه، وما أكثر الذين تحرقت أرواحهم شوقا لأن يقتدوا بها، وان يسلكوا، بنفس الإخلاص والإقدام، نفس الطريق التي

اختارتها لنفسها، والتي لم تنحرف عنها قيد شعرة منذ اعتنقت دين الباب إلى النفس الأخير.

وفي الفصل 26 من كتاب مطالع الأنوار صفحة 497، ورد بخصوص مقتلها:-

(وفي تلك الأيام أثناء الهياج المتواصل حصل استشهاد تلميذ آخر من أشهر تلاميذ الباب، وهي امرأة لم تكن أقل شجاعة ولا عظمة من السابقين واسمها الطاهرة، واندمجت في سلسلة الحوادث التي حصلت أثناء العاصفة التي ماجت بها العاصمة والتي هبت عليها بشدة وقسوة مستحكمة والذي أحكيه الآن عن أحوال شهادتها راجع إلى أخبار موثوق بها ممن شاهدوا الحادثة عيانا، فقد كان مكثها في طهران محفوفا بعلائم المحبة والاعتبار الزائد من رؤساء النسوة في العاصمة. فوصلت في تلك الأيام إلى ذروة العلا والحظوة).

وجاء في نفس الكتاب السابق صفحة 621 عن ساعات حياة الطاهرة الأخيرة في بيت رئيس الشرطة، وصفا عن لسان صاحبة البيت:-

(أما الطاهرة تلك المثال المشتعل للأمر التي كان يظهر عليها القدرة لاستمالة جميع نسوة إيران لأمر محبوبها بسبب إيمانها الجريء وحماسها المتوهج وعلمها الواسع وشجاعتها التي لا تقهر وخلقها المتين، فإنها ويا للأسف وقعت فريسة لغضب عدو مفترس في الساعة التي كان قد آن فيها أوان انتصارها وكان عملها الذي أوقف قبل أوان إتمامه قد ظهر بأنه انمحقت آثاره كلية في أعين الذين أنزلوها في البئر التي أعدت لدفنها.

وكان المنزل الذي حبست فيه يموج بالنسوة المعجبات بها اللائي كن يتوافدن بكثرة على أبوابها ويشتقن أن يحضرن في

مجلسها وينتفعن بعلمها ومن بين هؤلاء النسوة زوجة الكلانتر التي امتازت بما أظهرته من الاحترام الزائد للطاهرة ولأنها كانت مضيفتها كانت تعرض عليها خيرة النسوة في طهران وكانت تخدمها بكل حماس وتشاركها في عملها بتوثيق عرى ألفتها مع باقي النسوة. وقد سمع منها بعض أصدقائها ما يأتي:

(ذات ليلة بينما كانت الطاهرة في منزلي طلبتني للحضور أمامها فوجدتها مزينة للغاية ومرتدية بدلة من الحرير الأبيض. وكانت الغرفة معطّرة بأحسن الأطياب. فأظهرت دهشتي من مثل هذا المنظر الغير عادي. فقالت: "اني استعد للقاء المحبوب وأريد أن أخلصك من المتاعب التي تلاقينها في سبيل سجني"، فذهلت في ابتداء الأمر، ثم بكيت من فكرة الافتراق منها، فقالت لي لتطمئني "لا تبك لأن ساعة الحزن لم تأت بعد وأريد أن أبث إليك آخر رغباتي. لأن الساعة التي سيقبض عليّ فيها والتي سوف أتجرع فيها كأس الشهادة قد أسرعت في الاقتراب. وأطلب منك أن تسمحي لنجلك أن يرافقني إلى مكان إعدامي وليؤكد على الحراس والجلادين الذين سوف أسلم لأيديهم أن لا يجبروني على خلع هذه الثياب. ومن رغبتي أن يطرح جسدي في بئر وان تملأ بعد ذلك بالتراب والأحجار. وبعد مرور ثلاثة أيام على وفاتي ستأتي إليك امرأة تزورك، فعليك أن تسلمي لها هذا الملف الذي أسلمه الآن لك. وآخر طلباتي أن لا تسمحي لأحد بأن يدخل غرفتي، فمن الآن إلى الوقت الذي يأتي لخروجي من هذا المنزل أريد أن لا يقطع أحد صلواتي. ففي هذا اليوم اعتزمت الصوم ولا أقطع هذا الصوم حتى أقابل محبوبي". وأمرتني مع هذه الكلمات أن أغلق الغرفة ولا أفتحها حتى تدق ساعة الفراق. وطلبت إلي أن لا أفشي سر شهادتها حتى يعرفه أعداؤها بأنفسهم.

وأوجبت عليّ محبتها العظيمة طاعتها. ولولا رغبتي في تنفيذ رغباتها ما كنت أسمح لنفسي أن أبتعد عنها ولو لحظة واحدة.

فأغلقت باب الغرفة وعدت إلى مخدعي في حالة جزع وحزن عميق ومكثت بلا نوم مكتئبة على فراشي. وأفجع قلبي علمي بدنو ساعة شهادتها، وكنت أناجي ربي في يأسي وأقول رب إذا شئت امنع عنها الكأس الذي ترغب في تجرعه. ففي تلك الليلة كنت من شدة قلقي أقوم وأذهب إلى عتبة غرفتها وأبقى هناك صامتة استمع لما يخرج من فمها من المناجاة ونغمات المدائح في محبوبها ولم أتمكن من الاستمرار على هذه الكيفية إلا قليلا لما كان يساورني من الاضطراب والأسى. وإذ مضت أربع ساعات من الليل سمعت دق الباب. وأسرعت إلى نجلي وأخبرته برغبات الطاهرة، فأقسم أن ينفذ كل ما تأمر به. وتصادف في تلك الليلة غياب زوجي. ولما فتح نجلي الباب أخبرني أن الفراشين المرسلين من عزيز خان السردار كانوا واقفين على الباب الخارجي يطلبون تسليم الطاهرة لأيديهم. فانزعجت من الخبر وذهبت إلى بابها وفتحته بيد مرتعشة ووجدتها مقنّعة ومستعدة لترك الغرفة. وعندما دخلت الغرفة كانت تتمشى وترتل مناجاة جامعة بين الحزن والنصر. وبمجرد أن رأتني اقتربت مني وقبلتني ووضعت في يدي مفتاح صندوقها الذي تركته لي وبه بعض الأشياء الصغيرة كتذكار لبقائها في منزلي. وقالت لي (كلما فتحت الصندوق وشاهدت الأشياء التي فيه فانك تذكريني وتفرحي لفرحي).

وبهذه الكلمات ودّعتني ورافقها نجلي وغابت عن أنظاري، فكم شعرت للوقت والساعة بضربات الحزن والأسى وأنا أشاهد جمال هيكلها يبتعد تدريجيا من أمامي. وامتطت الجواد الذي أرسله لها السردار وحرسها نجلي وجملة من الخدام الذين مشوا على جانبيها وذهبت إلى الحديقة التي كانت محل استشهادها.

وبعد مرور ثلاث ساعات، عاد نجلي ووجهه مغطى بالدموع وهو ينزل اللعنات على السردار وعلى ضباطه الفسقة. وأردت تهدئة خاطره وإذ جلس بجانبي، سألته أن يحكي كيفية استشهادها.

فأجاب وهو يبكي: (والدتي أنا لا أقدر أن أوف وصف ما شاهدته بعين رأسي حق الوصف، فإننا ذهبنا إلى حديقة الايلخانة تواً وتقع خارج باب المدينة، وهناك شاهدت لذعري السردار وضباطه غارقين في أعمال الخنا المخجلة وقد لعبت الخمرة بعقولهم وعلت أصواتهم بالقهقهة والضحك، وإذ وصلنا إلى الباب ترجلت الطاهرة ونادتني وطلبت مني أن أكون وسيطا بينها وبين السردار لأنها تشعر بعدم الميل لمخاطبته وهو في نشوته ومرحه. وقالت: (إنهم على ما يظهر يريدون خنقي وقد أعددت منذ زمن منديلا حريريا ليستعمل في هذا الغرض. وأنا أعطيه لك وأريد أن تقنع هذا السكير أن يستعمله في أخذ روحي).

ولما ذهبت إلى السردار وجدته في حالة سكر عميق. وإذ اقتربت إليه صاح قائلا:

(لا تكدر علينا صفو مرحنا فلتؤخذ هذه الشقيّة التعسة وتخنق وتطرح في البئر).

وقد دهشت من صدور مثل هذا الأمر. واعتقدت أن لا حاجة لإعادة السؤال وذهبت إلى اثنين من الخدام الذين سبقت لي معرفتهما وأعطيتهما المنديل الذي سلمته لي الطاهرة. فعملا على إجابة طلبها ولفا المنديل حول رقبتها حتى أسلمت الروح. وأسرعت إلى البستاني لأسأله عن محل يصح لمواراة جسدها فيه. فأرشدني لفرط سروري لبئر حفرت حديثا وتركت بدون إكمال. وبمساعدة آخرين أنزلنا الجسد في قبره وملأنا البئر بالتراب والأحجار كما أرادت هي بنفسها. ثم تفرق القوم وهم في حزن وسكون تاركين تحت الأنقاض تلك الفريسة التي أنارت مملكتهم بضياء لن يزول أبداً.

وقد بكيت بدموع حرى على تلك الفاجعة التي رواها لي نجلي. وغلب عليّ التأثر حتى وقعت على الأرض مغشياً عليّ، ولما

أفقت من غشيتي وجدت أن نجلي قد وقع مثلي من شدة الألم وأصابه مثل ما أصابني وكان مطروحا في فراشه تنهمر منه دموع الحزن والأسى. وإذ شاهد حالي وما أصابني واساني بقوله (إن دموعك ستكشفك أمام عينيّ والدي وقد يحمله مركزه ومقامه أن يتركنا ويقطع كل علاقة بينه وبين أسرته. وإذا لم نحبس دموعنا فانه يتهمنا أمام ناصر الدين شاه ويجعلنا فريسة لعدو لدود. ويحصل من ناصر الدين شاه على أمر بإعدامنا وربما نفذ حكمه بأن يذبحنا بيده. فلماذا نرضى بمثل هذا النصيب من يده ما دمنا لم نعتنق هذا الأمر. وكل ما علينا هو أن ندافع عن الطاهرة ونكذب أقوال كل من يتهمها في عرضها وشرفها. ولنجعل حبها مكنونا في أفئدتنا للأبد ونؤكد للجميع نبالة وشرف حياتها أمام كل عدوّ حانق شانيء).

وكانت كلماته قد خففت هيجان قلبي، وذهبت وأحضرت الحقيبة التي تركتها لي وفتحتها ووجدت فيها قنينة من ألطف الطيب وبجانبها سبحة وقلادة من المرجان وثلاث خواتم عليها فصوص ياقوت وعقيق وفيروز، وبينما أنا أنظر إلى ممتلكاتها الأرضية تأملت في أحوال حياتها وحوادثه وتذكرت شجاعتها وصدقها وحماسها وعلوّ نفسها في أداء الواجب وإخلاصها اللامتناهي. وأخذتني رجفة من التعجب وجال في خاطري ذكرى قصائدها وذكرى سجنها وبلائها والسخرية التي قابلتها بكل ثبات لا يظهر من أي امرأة في تلك الديار. وتفكرت ملياً في ملاحة ذلك الوجه الذي بقي للأسف مدفونا تحت ردم من التراب والأحجار. وكم كانت ذكرى فصاحتها المؤثرة تثير شعور قلبي كلما رددت تلك الدرر التي كانت كثيرا ما تخرج من فمها وكانت سعة علمها وتبحرها في العلوم الشرعية والكتب المقدسة الإسلامية تمر على خاطري بسرعة البرق، فيساورني القلق حتى يكاد يأخذ بلبي وتذكرت وأنا واقفة بجانب حقيبتها ما صدر منها من الولوع المفرط والخشوع والخضوع للدين الذي اعتنقته وحماسها أثناء

مدافعتها عنه والخدمات التي أسدتها إليه والمتاعب والصعوبات التي تحملتها في سبيله والمثل الأعلى الذي ضربته لأتباعه والقوة التي أظهرتها في رقي أمره والاسم الذي نقشته لنفسها في قلوب أبناء وطنها وصرت أتعجب عن الباعث الذي جعل مثل هذه المرأة العظيمة تترك الثروة والكرامة التي تحوطها وتتبع أمر غلام منكور في شيراز وجعلت أفكر في نفسي في الداعي الذي دفعها والسر في تلك القوة التي ألجأتها إلى الانفصال والابتعاد عن منزلها وعن ذوي قرابتها وشددت قواها في كل أدوار حياتها المفعمة بأرياح التقلبات والاضطهادات التي جرتها أخيرها إلى قبرها. تساءلت في نفسي، هل كانت مثل هذه القوة صادرة من الله؟ وهل كانت يد الله هي التي ترشدها وتوجهها وتمخر بها في عباب مخاطر حياتها؟ وفي اليوم الثالث من شهادتها جاءت المرأة التي أخبرتني مقدما بمجيئها وسألتها عن اسمها ولما علمت انه مطابق للذي أخبرتني به الطاهرة سلّمتها الملف الذي أمّنتني عليه ولم أكن قد رأيت هذه المرأة من قبل ولم أرها بعد ذلك).

وتنقل مارثا روت عن لسان أديب وهو من البهائيين المعروفين، ما سمعه من ابن رئيس الشرطة عن حادثة مقتل الطاهرة، فيقول:-

(وبالنسبة لهذا العبد (أديب)، فقد كنت أحاول كشف حقيقة الأمر البهائي نائماً ويقظاً، إذ لم تكن صورته واضحة لي آنذاك. لقد رغبت البحث بنفسي، لذلك ذهبت إلى أحد أقربائي وكان صديقاً حميماً لي وأثق به، كان رجل دين من الملالي وأكبر مني سناً ويميل إلى طائفة المتصوفة.

فسألته: ماذا تعرف عن البهائية وعن الطاهرة؟

فأجاب: ليس عندي معلومات دقيقة، ألا انه من السهل الحصول عليها من الابن الأكبر لرئيس الشرطة، وهو من المتصوفة

وصديق حميم لي وسأدعوه ذات يوم إلى بيتي ليكون ضيفي، وسأدعوك كذلك وعندها يمكننا سؤاله.

وعندما التقينا في اليوم المحدد، قلت له إنني سمعت أوجه مختلفة عن حقيقة مصير الطاهرة، لكنها طالما كانت سجينة في بيتكم، فإنكم ولا شك تعلمون كل الظروف أفضل من أي شخص آخر.

فأجاب: في ذلك اليوم الذي قتلت في ليلته الطاهرة سراً، كانت عارفة بمصيرها وكأن هناك من أخبرها بذلك، فاستحمت وغيّرت ملابسها ونزلت إلى الطابق الأرضي وطلبت السماح والعفو من كل أهل البيت فرداً فرداً لما سببته لهم من إزعاج. كانت مثل مسافرة تتمتع بكامل الفرح والسرور قبل بدء رحلتها. وعند الغروب كانت تتمشى بخطوات بطيئة ذهابا وإياباً على غير عادتها في الشرفة العلوية، والتزمت الصمت ولم تكلم أحداً، إلا أنها كانت تكلم نفسها بصوت منخفض. واستمرت على هذه الحال إلى ما بعد الغروب بثلاث ساعات. في تلك الليلة صدر قرار حكومي شديد بمنع التجول ومن يفعل بغير ذلك يتعرض للعقاب.

جاء إليّ والدي وقال: لقد عملت كافة الترتيبات اللازمة وأمرت كل حراس الليل ليكونوا بكامل اليقظة والحذر ويراقبوا الشوارع وتقاطع الطرقات، خشية ان تحدث اضطرابات. والآن أريدك أن تأخذ هذه السيدة بكامل السرية إلى حديقة ايلخاني ومعك الخدم، وتسلمها إلى السردار كل عزيز خان وتنتظر هناك حتى ينتهي الموضوع، ثم عد وقدّم لي التقرير، حتى أذهب وأخبر الشاه.

بعد ذلك نهض وقال: تعال معي. فذهبنا إلى الطابق العلوي معاً. وعندما وصلنا إلى باب الغرفة العلوية، رأيناها جاهزة وكأنها تنتظرنا. فقال لها والدي: لنبدأ فوراً. عليك بالذهاب إلى مكان آخر. فتقدمت بدون تردد. وعندما وصلنا إلى الباب الخارجي، وجدنا

حصـان أبـي الخـاص حاضـراً، فامتطتـه، ووضـع والـدي عباءتـه فوقها حتى لا يعرف الناس أن هذا الفارس هـو امـرأة. ثـم تحركنـا مع عـدد كبيـر مـن الحـرس الأشـداء، وسـلكنا طرقـاً ملتويـة حتـى وصلنا إلى الحديقة حيث ترجلت من حصـانها وأدخلـت فـي غرفـة الخدم في الطابق الأرضي.

ذهبت إلى الطابق العلوي، ودخلت على السـردار وكـان جالسـاً لوحده ينتظرنا. فأبلغته تحية والدي وقدمت له رسالته.

فسألني: هل عرفكم أحد خلال الطريق؟

أجبته: لا أحد.

فنادى علـى أحـد خدمـه، وحيّـاه بطريقـة لطيفـة واستفسـر عـن صحته، ثم قال له: هل حصلت على هدية لأحـد أفـراد أسـرتك فـي هذه الرحلة؟

قال الخادم: لا.

فقدم له السردار حفنة من فئة التومان الواحد ذهباً، وقال له: خذ هذه الآن وأرسلها لهم وسوف أكافئك لاحقـاً، ثـم أضـاف: خـذ هـذا المنديل الحرير واذهب ولفه حول رقبة هذه السيدة البابية وأخنقها، لأنها هي سبب ضلالة النـاس. فغـادر الخـادم الغرفـة وأنـا أرافقـه. فذهب لغايته على الفور، أما أنا فوقفت عند البـاب. وعنـدما تقـرب من الطاهرة، نظرت إليه وتفوهت تخاطبه ببعض الكلمـات. فجـأة، رأيته يعود أدراجه ورأسه منحني وهـو يكلـم نفسـه مدمـدماً باللغـة التركية، ومرّ بي وخرج عبر الباب ولم يعـد. فعـدت إلـى السـردار وأخبرته بما حدث.

طلب السردار فنجان قهوة، وبعـد أن أطـرق قلـيلاً، نـادى علـى خادمه وقال له: لقد فصلت ذات مرة من العمل خادماً أسـوداً اعتـاد أداء مثل هذه الأعمال القذرة. فأين هو؟

أجاب الخادم: انه يعمل الآن في المطبخ.

فقال السردار: قل له أن يحضر إلى هنا.

بعد قليل دخل رجل قذر الهيئة تعلوه ملامح شيطانية.

فقال له سيده: ألا ترى أمورك انزلقت إلى أي حال؟ إذا تبت وانقطعت عن أعمالك السيئة، فسوف أعيدك إلى سابق وظيفتك، ومن الممكن أن تقضي بقية حياتك في سعادة.

فأجاب الرجل على الفور: سوف لن أعصيك أبداً.

قال له سيده: حسناً. أنا متأكد من أنك لم تشرب شيئاً. أذهب إلى الغرفة الأخرى وأشرب كأسا من الخمر ثم عد لي وسأعطيك عدتك وملابسك.

فذهب وعاد بعد قليل. فقال له السردار: إنك رجل شجاع، هل بإمكانك قتل امرأة موجودة في الطابق السفلي؟

فأجاب الخادم بكلمة واحدة فقط: نعم. ثم خرج وخرجت معه.

وحالما تقرّب منها، لف بسرعة القماش حول عنقها بشدة وعنف، فأغميّ عليها وسقطت على الأرض فانحنى عليها وراح يضربها على جنبها وصدرها، ثم تقدم أحد الحراس وساعد القاتل في حملها كما هي في ملابسها ورموها في بئر موجودة في الطرف البعيد للحديقة، ثم ردما البئر بالحجارة والنفايات. فعدت إلى البيت وأعطيت والدي تقريرا كاملاً عن الأحداث.[1]

1 كانت نهاية (الكالنتر) رئيس الشرطة محمود خان، كالتالي: بعد تسع سنوات، انتبه الشاه لأحد أعماله غير المقبولة، فأمر أحد الجلادين بتحهيز الحبال ولفها حول رقبة محمود خان وقتله على الفور. ثم أمر بتعليق جثته على المشنقة. (كتاب مطالع الأنوار).

وذكر نقولاس في كتابه "السيد علي محمد الباب" عن حديقة الايلخانة التي خنقت فيها الطاهرة، قال:-

(هو مكان فسيح أمام الوكالة البريطانية والسفارة التركية وهذا المحل اختفى منذ 1893. وفي وسط هذا الميدان وعلى رصيف الطريق خمس أو ست شجرات منفردة تؤدي إلى البقعة التي استشهدت فيها البطلة البابية لأنه في ذلك التاريخ كانت الايلخانة تمتد إلى تلك الناحية ولما عدت في سنة 1898م وجدت أن الميدان قد اختفى وظهرت فيه مباني جديدة ولا أعلم إذا كان المالك قد احترم هذه الأشجار التي قد غرستها أيدي صالحة.[1]

يقول عبدالبهاء: (انه ولآخر لحظة من حياة الطاهرة كانت سعيدة وجذلة وكانت تنتظر بلهفة بركات العالم الأبهى. وعلى هذه الحال، ضحّت بحياتها الغالية. عسى أن تفرح روحها وتسعد في العالم الأبهى).

هنالك اختلاف في وجهات النظر حول طريقة استشهادها، فقد كتب الدكتور جاكوب بولاك وهو نمساوي وطبيب سابق لدى الشاه الإيراني وأستاذ في كلية الطب في طهران، كتاب في سنة 1865م، قال فيه:

(انه شاهد طريقة إعدام الطاهرة وإنها تحملت موتها البطيء "بثبات خارق).

وقال الكونت جوبينو الفرنسي في كتابه (فلسفة الأديان في آسيا الوسطى) المطبوع في سنة 1865م:-

(إن الطاهرة قد أحرقت، بعد أن خنقها الجلادون).

---

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 452.

قال مؤرخ آخر:-

(إنها قد خنقت بوتر قوس. لقد حاولوا إجبارها على خلع قناعها، إلا أنها رفضت فلفوا وتر القوس حول عنقها من فوق القناع وهكذا خنقوها، ثم رموها في بئر جافة - وهي ما زالت على قيد الحياة - وردموها بالحجارة والتراب).

وقال عنها اللورد كرزون في الجزء الأول من كتابه "إيران والمسألة الإيرانية:_

(قد أظهر الجمال مع الجنس اللطيف تعلقه بالأمر الجديد وكانت تلك الشاعرة المحبوبة السيئة الحظ زرين تاج شاعرة قزوين أو قرة العين قد خلعت برقعها ورفعت مشاعل التبليغ عن الأمر الجديد في كل مكان. وكانت شجاعتها من أعظم الحوادث أثرا في التاريخ الحديث).[1]

وكتب نقولاس عن لقاءها الأخير مع رجال الدين وإصدار حكم الموت عليها:-

(ومكثت هناك مدة طويلة تستقبل الزوار العديدين من الرجال والنساء وكانت تؤثر على النسوة وتظهر لهم حقيقة الدور الكريه الذي عينه لهن رجال الدين وكانت تقنعهن كيف أن الدين الجديد أعطاهن حرية واحتراما. وكادت هذه المجادلات تمكث مدة طويلة لولا أن الميرزا أقا خان الذي تعين صدرا أعظم أمر حاجي ملا ميرزا محمد أندرماني وحاجي ملا علي كنى أن يذهبا إليها ليمتحنا اعتقادها. فباحثاها في سبعة مجالس وناقشتهما بكل حماس وأظهرت لهما أن الباب هو الإمام المنتظر والموعود. فردا عليها بان الأمام الموعود يظهر من جابلقا وجابرسا فأفهمتهما بقوة بان

1 إيران والمسألة الإيرانية للورد كرزون جزء 1 صحيفة 497 حاشية 2.

هـذا كـذب محـض واختـراع المحـدثين الكـذابين. وان المـدينتين المـذكورتين لا وجـود لهمـا مطلقـا ومـا همـا سـوى خرافـة تليـق بالمجانين. وأظهرت لهما الأوامر والأحكام الجديـدة، وأثنـاء تبيـين وجـه الحقيقـة كانـت دائمـا تظهـر فسـاد نظريـة جابلقـا. وأجابتهمـا منفعلة (بان الأدلة التي تسوقانها هي أشبه بأقوال طفل غبي جاهل. فإلى متى تسيران وراء هذه الأكاذيب والخرافـات الجنونيـة. والـى متى لا ترفعان رأسيكما لتريا شمس الحقيقة. وإذ تأثر الحاجي مـلا علي من هذه الأقـوال قـام وقـال لزميلـه مـا هـي الفائـدة مـن زيـادة البحث والمناقشة مع كافرة. فذهبا إلـى منـزل أحـدهما وكتبـا حكمـا أبانا فيه عن ردتها وكفرها ورفضها التوبة وحكما عليهـا بالإعـدام باسم القرآن).[1]

وذكر نقولاس ما حدث خلال حفلة عرس ابن الكلانتر، أيضا:-

(وأثناء وجودها تصـادف حصـول عـرس ابـن كلانتـر. فكانـت نسوة الطبقة العالية معزومات ومع إنهن صرفن مبالغ طائلة لجمع وسائل الطرب فإنهن رغـبن بطلـب رؤيـة قـرة العـين. ومـا كـادت تحضر أمامهن وتبتدئ في الكلام حتى أبطلن الموسـيقى والـرقص وتـركن تنـاول المرطبـات والحلويـات اللذيـذة وصـرفن المغنيـات والراقصات وامتنعن عن النظر لأي شيء سوى قرة العين).[2]

وكتب عنها لفانتين شيرول:-

(ولا يوجـد تـذكار محتـرم أشـعل حماسـا مثـل تـذكارها وكـان تأثيرها في حال حياتها مما انتفع به أصحاب جنسها).[3]

---

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 446-447.
2 نفس الكتاب صحيفة 452.
3 من كتاب المسألة الشرقية الوسطى لفانتين شيرول صحيفة 124.

وورد في "مقالة سائح" للمستشرق براون، تقييما لشخصية قرّة العين:-

(وظهور قرة العين في أي مملكة أو أي عصر من الحوادث النادرة وأما ظهورها في مملكة مثل إيران فإحدى العجائب بل يكاد يكون معجزة. وكانت على ما جمعت من الجمال النادر والطهارة على جانب عظيم من المواهب العقلية والبلاغة والقوة والشجاعة الذاتية والإخلاص وكان استشهادها الباسل مما لا مثيل له وهو أبدي الذكرى فيما بين مواطنيها من النسوة. ولو لم يكن للدعوة البابية من أسباب العظمة والفخر سوى إنها خلقت امرأة باسلة مثل قرة العين لكفاها).[1]

وجاء في كتاب "اللمعة" لمؤلفه السير فرانسيس ينج هسباند:-

(وأعظم الأمثال في جميع الحركة هو قرة العين الشاعرة، فكانت مشهورة بتقواها وفضلها وعلمها وأخيرا تمسكت بدعوة الباب عندما قرأت بعض آياته ونصائحه واشتد إيمانها مع كونها غنية ونبيلة على شأن أنها تركت ثروتها وصيتها ومركزها وأطفالها لأجل خدمة مولاها وقامت على نشر مبدئه ودينه... وكان جمال خطابها بدرجة أنها جذبت الضيوف من حفلة زواج وفرح ليستمعوا إليها بدلا من الموسيقى التي أعدها المضيف. أما أشعارها فمن أعظم الأشعار في اللغة الفارسية في قوة التأثير).[2]

وكتب الدكتور جين (شيني) في كتابه "اتحاد الأقوام والأديان" يصف شخصيتها:-

(وإذا نظرنا إلى الدور الذي لعبته قرة العين فان الإنسان ليندهش من الحماس المتأجج الذي أظهرته ومن انقطاعها التام عن

1 من كتاب مقالة سائح حاشية ق صفحة 213.
2 كتاب اللمعة تأليف السير فرانسيس ينج هسباند صحيفة 202-203.

العالم. فهذه الدنيا كانت بالنسبة إليها عبارة عن حفنة من التراب كما يقول القدوس وقد كانت خطيبة بليغة ومتقنة لأعوص أنواع الشعر الفارسي. ومن أشعارها ما له أهمية خاصة لأنه يظهر فيه الاعتقاد في شخص بشري (بدعوة الرب) وانه سوف يصدق دعوته الجميع. فمن يكون ذلك الشخص يا ترى؟ ويظهر أن قرة العين استبطأته في إظهار دعوته وهل يمكن أن يكون هناك شخص تفكر فيه سوى بهاءالله؟ فكانت الشاعرة حقاً بهائية).[1]

أما الكونت جوبينو فقال في كتابه "الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى":-

(أما المبلغة الأخرى وهي السيدة التي تكلمت عنها التي أتت إلى قزوين وهي بكل تأكيد إحدى الظهورات المهمة ذات الأثر البليغ في الديانة البابية فضلا عن إنها موضع احترام البابيين).[2]

وكتب أيضا في نفس الكتاب عن تأثيرها على السامعين في صفحة 150:-

(وكان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها في أوقات مختلفة من حياتها يذكرون لي دائما إنها فضلا عما اشتهرت به من العلم والغزارة في الخطب فان إلقاءها كان من السهل الممتنع وكان الناس أثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير إلى أعماق قلوبهم مفعمين بالإعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق).[3]

وكتب عن قدراتها أيضا في الصفحة 137:-

1 كتاب الدكتور ت.ك. شيني اتحاد الأقوام والأديان صحيفة 114-115.
2 كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 136.
3 نفس الكتاب صحيفة 150.

(والكثيرون من المسلمين والبابيين يمتدحون اليوم جمال قرة العين ومما لا نزاع فيه أن روح وأخلاق هذه السيدة الصغيرة كانت على غاية من الرفعة وعلو الشأن. وكانت كثيرا ما تشهد المجتمعات التي تغشاها العلماء بل كانت يوميا تقريبا تحضرها وكان لها شغف بها وكانت دائما على استعداد لمتابعة المجادلات والمحاورات العميقة التي كان والدها وعمها يتذاكرونها وكذلك ابن عمها الذي تزوجها، بل كانت تفحمهم بأفكارها وتدهشهم بملاحظاتها الدقيقة التي تدل على شدة نباهتها. ففي إيران ليس من الأمور العادية رؤية سيدة تشتغل بمثل هذه الأمور بل أن تلك ظاهرة نادرة الحصول فانه كان من الأمور المتعذرة أن تجد سيدة مثل قرة العين في فضلها وعلمها فانها زيادة على معرفة اللغة العربية معرفة جيدة للغاية فانها اشتهرت في علوم الحديث وفي تفسير القرآن بطريقة لم يتمكن من مثلها باقي العظماء وأخيرا كانت في قزوين بحق إحدى المعجزات).[1]

وكتب الدكتور شيني عن بعض نتائج تأثيراتها على المجتمعات الإسلامية، قال:-

(فان الغرس الذي غرسته قرة العين في البلاد الإسلامية ابتدأ يثمر وأخذت هذه الأيام في الظهور، فان خطابا أرسل إلى جريدة كريستيان كمنولث في يونيو الماضي أنبأ بأن أربعين سيدة من المطالبات بحق الانتخاب قد نفين من القسطنطينية إلى عكاء (التي كانت مدة طويلة سجن بهاءالله) ففي السنوات الأخيرة ابتدأت حقوق الانتخاب تنتشر في داخل الحريم بسكون وكان الرجال غير عالمين بهذه الحالة وكل الناس يجهلونها. والآن ابتدأ الطوفان ينهمر وابتدأ رجال اسطنبول يعدون العدة باتخاذ طرق شديدة، فقد تكونت نوادي السيدات للانتخاب وكتبت مذكرات بديعة تتضمن مطالبهن وانتشرت وظهرت مجلات نسوية وفيها مقالات بديعة

1 نفس الكتاب صحيفة 137.

وعقدت مجامع وجمعيات عديدة، وذات مرة رفع نحو من أربعمائة سيدة براقعهن في إحدى المنتديات وانزعج الناس الجامدون من حصول ذلك الأمر وأخذ المسلمون الطيبون والحكومة في العمل وشتتت الحكومة شمل الأربعمائة سيدة الراغبات في الحرية إلى جملة فرق. ونفت إحدى هذه الفرق وهي مكونة من أربعين سيدة إلى عكاء وسيصلن بعد بضعة أيام. وأخذ جميع الناس في التكلم عن ذلك. وانه من المدهش حقا أن ترى العديدين من الرجال في جانب رفع الحجاب من وجوه النساء. وكثير منهم يفكر بان هذه العادة لم تكن قديمة فقط بل انها خانقة لحرية الفكر. وأرادت الحكومة أن تقتل هذه الحركة الفكرية للحرية ولكنها زادت في اشتعالها وساعد عملها في خلق رأي عام أوسع نطاقا وزاد إطلاع الناس على هذه المسألة العصيبة).[1]

أما الكونت جوبينو فذكر:-

أما المبلغة الأخرى وهي السيدة التي تكلمت عنها التي أتت إلى قزوين وهي بكل تأكيد إحدى الظهورات المهمة ذات الأثر البليغ في الديانة البابية فضلا عن انها موضع احترام البابيين.

وأيضاً:- وكان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها في أوقات مختلفة من حياتها يذكرون لي دائما انها فضلا عما اشتهرت به من العلم والغزارة في الخطب فان إلقاءها كان من السهل الممتنع وكان الناس أثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير إلى أعماق قلوبهم مفعمين بالإعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق.

وكذلك:- والكثيرون من المسلمين والبابيين يمتدحون اليوم جمال قرة العين ومما لا نزاع فيه ان روح وأخلاق هذه السيدة الصغيرة كانت على غاية من الرفعة وعلو الشأن. وكانت كثيرا ما

1 كتاب اتحاد الأقوام والأديان للدكتور ت.ك. شيني صفحة 115-116.

تشـهد المجتمعـات التـي تغشـاها العلمـاء بـل كانـت يوميـا تقريبـا تحضرها وكان لها شغف بها وكانـت دائمـا علـى اسـتعداد لمتابعـة المجـادلات والمحـاورات العميقـة التـي كـان والـدها وعمهـا يتـذاكرونها وكـذلك ابـن عمهـا الـذي تزوجهـا، بـل كانـت تفحمهـم بأفكارها وتدهشهم بملاحظاتها الدقيقة التي تدل على شـدة نباهتهـا. ففي إيران ليس من الأمور العاديـة رؤيـة سـيدة تشـتغل بمثـل هـذه الأمور بل أن تلك ظـاهرة نـادرة الحصـول فانـه كـان مـن الأمـور المتعذرة أن تجد سيدة مثل قرة العين في فضلها وعلمها فإنها زيادة على معرفة اللغة العربية معرفـة جيـدة للغايـة فإنهـا اشـتهرت فـي علوم الحديث وفي تفسير القرآن بطريقة لم يتمكن مـن مثلهـا بـاقي العظماء وأخيرا كانت في قزوين بحق إحدى المعجزات.

الفصل الثاني عشر

مذابح البابيين

يقدر بعض المؤرخين عدد قتلى البابيين في المذبحة الكبرى التي حدثت في سنة 1852م بعد محاولة ثلاثة من البابيين الاعتداء على حياة ناصر الدين شاه بحوالي عشرين ألف شخص، بينما يقول غيرهم ان العدد وصل الى ثلاثين ألفا فيما بعد، باعتبار ان الملاحقة والاضطهاد والقتل استمرت حتى بداية القرن العشرين، رغم أن غالبية البابيين قد تحولوا الى البهائية التي تحرّم شريعتها استخدام العنف ومبدأ القتل والقتال.

قال رنان في كتابه (الأنبياء) صحيفة 378 الرواية الآتية بخصوص حادثة الاعتداء على الشاه وما تلاها من المذابح العظيمة التي حصلت في طهران وفي غيرها من المدن الايرانية:-

(انه كان يوما لا مثيل له في تاريخ العالم "من كتاب مقالة سائح المقدمة للمستر براون صحيفة 45" ويبلغ عدد الشهداء في ايران ما لا يقل عن عشرة الاف "وهذا تقدير خاص والا فكثير يقدر

بثلاثين ألف او اكثر" وحصلت أغلب تلك الحوادث في الأيام الأولى للأمر ولكنها استمرت تتناقص تدريجيا حتى الزمن الحاضر).[1]

ومن الوثائق الخاصة بالبهائية التي هي في حيازتي أصل مقالة كتبت باللغة الألمانية وطبعت في 17 أكتوبر سنة 1852 تحت نمرة 291 في جريدة ألمانية او نمسوية ولم يذكر فيها وللأسف اسم المنشئ. وأظن اني استلمتها من أرملة الدكتور بولاك منذ بضعة سنوات وكان هذا الدكتور النمسوي طبيبا لناصر الدين شاه في ابتداء حكمه وهو مؤلف كتاب قيم خاص بإيران والمسائل والأحوال المتعلقة بها. ذلك بخلاف كثير من الرسائل الصغيرة. وتستند هذه المقالة على خطاب مكتوب في 29 أغسطس سنة 1852 بمعرفة ضابط نمسوي وهو الكابتن فون جوميونز الذي كان في خدمة الشاه وأفجعه ما شاهده من الفظائع حتى انه أرسل استقالته. وترجمة هذه المقالة كآلاتي:-

منذ بضعة أيام ذكرت حكاية الشروع في قتل الشاه وهو متأهب للصيد وكان المتآمرون من طائفة البابية. وأما عن هذه الطائفة وعن الاجراءآت التأديبية التي اتخذت ضدهم فان خطاب الكابتن النمساوي فون جوميونز الذي نشر أخيرا في جريدة صديق العسكر "سولد انفرود" يكشف عن أمور كثيرة وخاصة عن حادثة الشروع المذكور وكان نص الخطاب المذكور كآلاتي:-

طهران في 29 أغسطس سنة 1852 عزيزي ان خطابي الأخير كان عن حادثة الشروع في قتل الشاه والآن أذكر لك نتيجة التحقيق الذي حصل مع المجرمين. فبالرغم من التعذيب الفظيع الذي قاسياه فان التحقيق لم يثمر عن أي اعتراف شامل فكانت شفاه المتعصبين مغلقة حتى بعد كيهم بأعمدة من الحديد المحمى

1 كتاب حياة وتعاليم عباس أفندي "المقدمة" للمستر فلبس صحفة 36.

واثقاب أجسادهم بالمخاريز وارادوا ان يكشفوا المحرض الحقيقي بواسطة هذا التعذيب. ولكن استمع مني يا عزيزي يا من لك قلب أوروبي واخلاق أوروبية اسمع مني وتتبع هؤلاء التعساء الذين فقأوا أعينهم واضطروهم ان يأكلوا آذانهم المبتورة بدون ضجيج او من قلعت أسنانهم بقسوة غير متناهية بيد الجلاد او من ضربت هامات رؤوسهم بالمطارق الحديدية او من اشتعلت أجسادهم في الأسواق العمومية حتى أضنتها نيران حريقهم بعد ان عملوا ثقوبا في أجسادهم ووضعوا فيها الشموع الموقدة. وقد رأيت البعض مسحوبا في الأغلال في السوق ومعهم العسكر وفي أجسامهم ثقوب وضعت فيها الشموع المتقدة حتى ان الدهن ساح وابتدأ أزيزه يسمع بين نيران الشموع كالمصباح الذي يطفأ حديثا. وليس من النادر ان نباهة الشرقيين تسوقهم الى اختراع تعذيبات جديدة. فقد ينزعون جلد أرجل البابيين بعد غمسها في الزيت المغلي او يقطعون قدم الأسير على هيئة حافر الفرس ويضطروه للجري. وما كان الشهيد يظهر أي صياح فكان ملازما للسكوت ولكن عندما يجبرونه على الجري لا يقدر الجسم ان يتحمل ما يتحمله الروح فلذلك كان يقع فيقولون "خلص عليه وأرحه من الآلام" فيقول الجلاد "لا" ويبتدئ بجلده بالكرباج. وقد رأيت بنفسي ان الأسير الذي وقع عليه مئة تعذيب يجري من البداية للنهاية. وفي النهاية يعلقون الأجساد المثقوبة على شجرة ورؤوسهم الى أسفل وكل إيراني له ان يجعلها هدفا له بأن يصوب عليها بندقيته او سلاحه ليجرب نيشانه وهو مطمئن. وقد رأيت بنفسي نحو من 150 رصاصة في جثة. وعندما أعيد قراءة ما كتبت تتغلبني فكرة ان الذين معك في مملكتنا العزيزة "النمسا" ربما لا يصدقون الرواية او صورتها او يتهمونني بالمبالغة فيا ليت يا الهي لم أعش حتى أراها. ولكن لداعي مهنتي كنت ويا للأسف كثيرا ما أشاهد هذه المظالم المفجعة. وأنا الآن لا أترك منزلي أبدا حتى لا اضطر الى مشاهدة مناظر مفزعة أخرى. وبعد إعدام البابيين يشطرونهم نصفين فأما ان يسمروهم على باب المدينة او يطرحوهم في

العراء للكلاب والثعالب لتأكلها. وهكذا يستمر العقاب حتى فيما بعد حدود هذه الدنيا ذلك لأن المسلمين الذين لا يُدفنون لا يستحقون ان يدخلوا جنة الرسول وان روحي تثور من رؤية هذه الفظائع وبسبب المظالم المذكورة في هذا العهد الحديث صممت على قطع علاقتي بمناظر هذه الجرائم. ثم زاد بأنه طلب الاستقالة ولكنه لم يتلق نبأ بقبولها).[1]

و كتب الكونت جوبينو عن محاولة اغتيال الشاه وطريقة تنفيذها، قال:-

(وفي الصباح خرج الملك راكبا جوادا للتنزه وكان يسبقه كالعادة رجال الإسطبل حاملين الحراب الطويلة يتقدمهم السياس ومعهم الجياد بأيديهم والخيول المطهمة والمزركشة، وجماعة من الخيالة الرحل ومعهم البنادق والفيشلك والسيوف على السروج ولأجل عدم إزعاج الملك بالتراب الذي تثيره أرجل الخيل كان هؤلاء يتقدمون قليلا عنه في المسير. ويسير الملك وحده على بعض البعد من الرؤساء العظام والضباط الذين يحوطونه ولم يكد يخرج من السراي ويبتعد قليلا عن حديقة محمود حسن الصندوق دار او صراف التوفير حتى شاهد على جانب الطريق ثلاثة رجال وهم الثلاثة عمال في الحديقة واقفين كأنهم بالانتظار واحد على اليمين واثنين على الشمال فلم يشتبه فيهم وأخذ في المسير ولما وصل إليهم وجد انهم بدأوه بصوت واحد بالسلام والصياح (نحن فداؤك) وعندنا عريضة ولكنهم بدلا من بقائهم في أماكنهم كما هو المعتاد تقدموا سريعا اليه وصاحوا على عجل (عندنا عريضة) وتعجب الملك وصاح عليهم (أيها الأوباش ماذا تريدون؟) ففي هذا الوقت أمسك الرجل الذي على اليمين بالسرج بيده اليسرى وكان بيده اليمين غدارة أطلقها على الملك. وفي نفس الوقت أطلق

1 من كتاب المستر براون دراسة الديانة البابية على ضوء مستندات صحفة 267-271.

الرجلان اللذان على الشمال النار ايضا. وقطعت إحدى الطلقات العقد اللؤلؤ الذي كان معلقا في جيد الجواد وأخرى أخرجت رشاً كثيرا أصاب يد الملك والسرج. وتعلق الرجل الذي على اليمين بفخذ الملك وجذبه على الارض وكاد ينجح في عمله لولا ان الاثنين اللذين كانا على الشمال عملا نفس العمل فبقي الملك معلقا بين الاثنين. وفي هذه الأثناء ضرب الملك رأس أحد الاثنين بقبضة يده وكان الجواد قد اضطرب وقفز قفزات متوالية عطلت حركات البابيين ومضى وقت غير قليل. وإذ رأى رجال الحاشية ذلك اضطربوا أولا ثم جروا عليه. وهجم أسد الله خان رئيس الإسطبل وهو خيال رجاله وضرب الرجل الذي على اليمين بسيفه ضربة قاضية. وفي الأثناء قبض الرؤساء الآخرون على الاثنين اللذين كانا على الشمال وشدوا أوثاقهما. وحضر الدكتور كلوكيت طبيب الملك وبمساعدة الآخرين تمكن من إدخال الملك في حديقة الصندوق دار محمد حسن لأنهم لم يعرفوا ماذا عساه يحصل، ومع انهم كانوا عالمين بعظم الخطر الا انهم ما كانوا يعلمون مقدار اتساعه. وكان لذلك ضجة كبيرة لمدة ساعة في كل أنحاء نياوران. وبينما جاء الوزراء والصدر الأعظم في الحديقة التي أدخل الملك فيها ضربت الطبول والأبواق والصفافير لجمع العسكر من كل الجهات وركب الغلمان على الجياد بسرعة زائدة وكان كل الناس يصدرون أوامر. ولم يسمع احد شيئا ولم يروا شيئا. وجاء رسول من طهران بأمر أردشير ميرزا حاكم المدينة يسأل عما حصل وعما يمكن ان يصنع في العاصمة. ومنذ الصباح الى الليل كان الناس جميعا يعتقدون ان الملك قتل يقينا. وكان العسكر مسلحين يمرون في الاسواق بشكل تهديد حتى ان التجار هجروا المتاجر. وكانت دكاكين الخبازين محاطة بالناس الذين يرغبون في تخزين الخبز لمدة أيام وهذه هي العادة عند حدوث أي اضطراب وفي الصباح ازداد الهياج. وأغلق اردشير ميرزا أبواب المدينة والقلعة.

ولكن العسكر كانوا متأهبين والمدافع كانت مصوبة ولم يعلم على من يطلقها وكان منتظرا الاوامر).[1]

وقد اعتبر اللورد كرزون ان حادثة محاولة قتل الشاه لم تكن ثورية ولا مؤامرة سياسية، فقال:-

(ان من الخطأ البيّن اعتبارها كذلك ولأن البابية كانت تعد منذ نشأتها معادية للحكومة المحلية ولان البابيين شرعوا في قتل الشاه استنتج الناس خطأ ان الحركة البابية هي سياسية في منشئها واشتراكية فوضوية في كيانها ولكنه لا يظهر من كتابات الباب ولا من كتابات أتباعه وجود أي أساس لهذا الادعاء. نعم ان اضطهاد البابيين من الحكومة قد ألجأهم للقيام على هيئة ثورية وبسبب الغضب الذي تلا المشاحنة بين الطرفين والقسوة التي استعملتها أرباب الحكومة بعد انتصارهم لا يستغرب ان تمتد بعض الأيدي المتعصبة لإسقاط الشاه وضربه والبابيون في الوقت الحالي موالون للحكومة كغيرهم من الرعايا. وليس من العدل إطلاق ألفاظ الاشتراكية او الشيوعية او الإباحية التي استعملت في حق هذه الطائفة الفتية. فلم يكن فيها على وجه التحقيق فكرة الشيوعية كما يعرفها الأوروبيون يعني استعمال القوة في كيفية إعادة التوزيع للأموال او الاشتراكية التي انتشرت في القرن التاسع عشر بمعنى تغلب العمال على أصحاب رؤوس الأموال. فلم يجل ذلك بخاطر الباب او تلاميذه. والفكرة الاشتراكية الوحيدة التي أوصى بها هي كما حصل للمسيحيين في أوائل ظهور الديانة المسيحية من تقسيم المنافع بين المؤمنين والتصدق بالزكاة والتوسع فيها. أما وصمة الإباحية فقد اخترعها أعداؤهم بسبب زيادة حرية النساء التي أمر بها الباب وهي في العقل الشرقي تعادل الإباحية والفسق واذا نظرنا الى البابية نظرة واسعة صادقة نرى انها عقيدة الإحسان والإنسانية العامة. فالمحبة الأخوية

1 كتاب جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 232 - 233.

والشفقة على الأطفال والاحترام الممزوج بالجلال والكرم والتخلص من التعصبات والاخوة العامة حتى بالنسبة للمسيحيين جميعها من ضمن قواعدها. وليس من الضروري ان نعتقد ان كل بابي يكون متبعا لهذه القواعد إتباعا دقيقا فانه من العبث اعتقاد ذلك ولكن الحكم على كل نبي هو ما يدعو اليه).[1]

أما عن المذابح التي رافقت تلك العاصفة في اغسطس 1852م، فكتب نقولاس:-

(ومن العجب انهم كانوا يحترمون النسوة اللائي جمعوهن وساروا بهن الى جبل بابان وكان من ضمن الأسرى اثنان من العجائز ولا قدرة لهما على القتال. وأحدهما ملا محمد موسى الكوا ومشهدي باقر الصباغ وقتلوهما والذي قتل مشهدي باقر هو علي بيك كابطان العسكر النيريزية. فقطع رأسه وأعطاها الى طفل ثم أخذ بنت أخيه ووضع على رأسها نقابا أسود وأركبها جوادا الى ان حضر تجاه ميرزا نعيم. وكان هذا على جبل بابان جالسا في حديقة على حجر. ولما وصل اليه علي بيك رمى رأس باقر عليه ثم طرح عليه الطفلة صائحا (قد عملنا كل ما أردتم حتى لم يبق بابي). ومليء فم الآخوند ملا عبد الحسين بالتراب بناء على أمر ميرزا نعيم وأطلق احد الغلمان طلقة نارية على رأسه ولكنه لم يقتله وكان هناك نحو من 603 امرأة مقبوض عليهن وساروا بهن مع باقي المسجونين لغاية الطاحون المسمي بالتخت القريبة من نيريز. ويحكى محدثنا الرواية الآتية للدلالة على شدة بطش المنتصرين قال: كنت حديث السن وكنت أتبع والدتي وكان لي أخ أصغر مني. وكان شخص يدعى أسد الله قد أخذ أخي وحمله على كتفيه وكان على رأس الطفل قلنسوة مزركشة. فرأى القلنسوة احد الخيالة الذين صاحبونا فاقترب من الطفل واقتلعها منه بشدة

1 من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية صفحة 501-502.

وتوحش حتى انه أخذ الطفل معه معلقا من شعوره ودحرج الطفل بعيدا نحوا من عشرة أمتار فرأته أمه المسكينة وقد غشي عليه.

ولا أطنب في الحديث على المفاجع التي تلت انتصارهم. بل يكفي ان تعلم ان الميرزا نعيم امتطى جواده وأمامه وخلفه رجال حاملين المزاريق ومعلق عليها رؤوس الشهداء. وكانوا يضربون الأسرى بالكرابيج او بالسيف وكانوا يزجون بالنساء في الخنادق المملوءة بالماء. وأمضين الليلة في خان شيرازي وفي الصباح أخرجت النسوة وهن عرايا ويستهزئ بهن الناس ويضربوهن بالأرجل والأحجار والعصي ويبصقون عليهن ولما تعبوا من هذه السخرية وضعوهن في مدرسة في تلك الجهة ومكثن فيها عشرين يوما يعانين الإهانة والسب وكان البابيون موضوعين كل أربعة وعشرين تحت حراسة 100 عسكري لقيادتهم الى شيراز كل عشرة من جماعة الباب معاً. وتوفى السيد مير محمد عبد من شدة البرد في خان جرد وتوفي غيره بعد ذلك بقليل. وكانوا يقطعون رؤوسهم على الفور. وأخيرا دخلوا شيراز من باب سعدي وساروا بهم في طول المدينة ثم وضعوهم مكبلين بالأغلال في السجن، أما النسوة فبعد حبس 20 يوما في المدرسة التي حبسوا فيها قسموهن قسمين وأفرجوا عن فريق منهن وأما الأخريات فأخذوهن الى شيراز مع باقي الأسرى الذين قبضوا عليهم في تلك الأثناء، وإذ وصلوا الى شيراز انقسم الركب الى قسمين. الأول النسوة اللائي أدخلن في خان الشاه مير علي حمزة والرجال الذين انضموا الى إخوانهم في الدين في سجنهم. وكان اليوم التالي يوم عيد عام. وكان الحاكم ومعه جميع أعيان مدينة شيراز وعظماؤها قد أحضر الأسرى أمامه وكان عنده شخص نيريزي اسمه جلال وكان نعيم يسميه بلبل وهو مكلف ان يتعرف على البابيين. وأول بابي ظهر أمامهم كان اسمه الملا عبد الحسين فأمروه بلعن الباب فامتنع واذا برأسه تدور على الارض. ثم جاء الحاجي ابن أصغر وعلي جرم سيري وحسين بن هادي خيري وصادق بن صالح ومحمد بن

محسن وجميعهم قتلوا واطلق سراح النسوة وأعيد بقية الرجال للسجن. ولما طلب الشاه الأسرى أرسل له 73 نفرا منهم الى طهران. وتوفي منهم اثنان وعشرون ومن بينهم الملا عبد الحسين توفي في سايدان وعلي بن كربلائي زمان في آباده وأكبر بن كربلائي محمد من قناره وحسن بن عبد الوهاب والملا علي اكبر من اصفهان وكربلائي باقر بن محمد زمان وحسن وأخوه ذو الفقار وكربلائي تقي وابنه علي وولي خان وملا كريم واكبر رئيس وغلام علي ابن بير محمد ونقي ومحمد علي بن محمد وقضوا نحبهم أثناء الطريق ووصل الباقون الى طهران، وفي نفس اليوم الذي وصلوا فيه قتل منهم خمسة عشر ومنهم أقا سيد علي وكربلائي رجب الحلاق وهو الذي تركوه ظناً منهم انه توفي وصفي الدين وسليمان ابن ك سلمان وجعفر ومراد خيري وحسين وابن ك باقر وميرزا أبو الحسن وابن ميرزا تقي وملا محمد علي ابن أقا مهدي وتوفي ثلاث وعشرون شخصا في السجن وأفرج عن ثلاثة عشر بعد سجن ثلاث سنوات ولم يبق في طهران سوى كربلائي زين العابدين وهذا توفي بعد قليل من الزمن).[1]

ومن أغرب حوادث القتل التي حدثت للبابيين، هذه الحادثة العجيبة التي تدل بوضوح على ثبات ورسوخ الضحايا وعدم جزعهم أو خوفهم رغم بشاعة ما نفذ بهم، فقد جاء في كتاب "التاريخ الجديد" عن لسان أحد المشاركين في عملية القتل الجماعية وشعوره بالندم العميق بعد أن أتم ورفاقه عملهم:-

(وكان مضطهدوهم بعد ان قبضوا على الرجال وقتلوهم، قتلوا ايضا أربعين سيدة ومعهن أطفالهن بالطريقة الآتية: وضعوهن في مغارة وجمعوا أخشابا وأحطابا في وسط المغارة وصبوا عليها النفط ثم أشعلوا فيها النيران. وأحد الذين نفذوا هذه الطريقة، قال:-

1 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 421-424.

(ذهبت بعد يومين او ثلاث وصعدت الجبل وخلعت باب المغارة ورأيت ان النيران بعد ان خمدت صارت كومة من الرماد ورأيت النسوة جميعهن جالسات كل منهن في ركن ويحملن أطفالهن في حجورهن وقد قعدن حول دائرة بنفس الكيفية التي تركناهن عليها وبعضهن قد سقطت رؤوسهن عل ركبهن من الأسى والحزن واليأس وكلهن حافظات لشكلهن الاول. فلما دخلت ورأيتهن على هذه الكيفية امتلأت منهن رعبا فرأيتهن قد احترقن جميعا وأصبحن رمادا ولكنهن لم يتحركن من أماكنهن حتى يسقطن رمادا وبمجرد ان لمست أجسادهن سقطت رمادا، ولما رأينا هذا المنظر تأسفنا جميعا على ما فعلنا. ولكن ماذا ينفع الندم).[1]

وأشار مؤلف التاريخ الجديد في سرده لهذه الرواية الى كيفية انطباق البشارات على هذه الحوادث حرفيا ومنها النبوة المذكورة في الحديث الدال على علامات ظهور المهدي وهو (عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب فتذل أولياؤه في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وتصبغ الارض بدمائهم ويفشو الويل والرنة في نسائهم أولئك أوليائي حقاً). وهذا الحديث المسمى بحديث جابر منقول من كتاب الكافي أحد مجاميع الحديث المعتبرة عند الشيعة وقد ذكر هذا الحديث في الإيقان.

ويذكر البرفسور براون بعض صور تلك المآسي، فيقول:-

(وعندما كنت في يزد في صيف سنة 1888 تعرفت ببابي له مركز مهم نوعا في الحكومة وكان من آبائه اثنان ممن لعبوا دورا مهما في إخماد ثورة نيريز. ومما أخبرني به وكتبته في مذكراتي في يوم 18 مايو سنة 1888 قال: ان جدي لأمي مهر علي خان

1 التاريخ الجديد صحيفة 128-131.

شجاع الملك وعمي الكبير ميرزا نعيم كانا ممن اشتركوا فعلا في حرب نيريز. ولما جاءت الأوامر لشيراز لقمع الثورة صدر الأمر الى جدي بأن يقود الفرقة التي أرسلت لهذا الغرض. وما كان راغبا في المأمورية التي عهد اليه بها واتصل باثنين من العلماء اللذين أكدا له ان الحرب التي سيقوم بها هي عمل مقدس توافق عليه الشريعة وانه سوف يجازى عليه في الجنة، فذهب بناء على ذلك وحصل ما حصل. وبعد ان قتلوا سبعمائة وخمسين شخصا وأسروا النساء والأطفال خلعوا عنهم ملابسهم وعروهم وأركبوهم على الحمير والبغال والجمال وساروا بهم وسط صفوف من رؤوس آبائهم وأخوتهم وأبناءهم وأزواجهم التي قطعت من الجثث في طريقهم الى شيراز. ولما وصلوا وضعوهم في خان خارج باب اصفهان وفي مقابل مقام الإمام زاده. وكان القابضون عليهم قد عسكروا تحت بعض الأشجار قريبا منهم. فمكثوا هناك مدة من الزمن مستطيلة وكانوا فيها موضع الإهانة والشتم والمتاعب وتوفي كثير منهم. والآن انظر قصاص الله الذي وقع على الظالمين. فان كل واحد من الذين كانوا مسئولين عن هذا التعذيب كانت له آخرة سيئة جداً ومات في كرب شديد ومصائب جمة ووقع جدي مهر علي خان مريضا وصار أصم لا يسمع شيئا حتى توفي. وفي الوقت الذي كان يفارق فيه الحياة لاحظ الذين حوله انه يحرك شفتيه كمن يقول شيئا فأصغوا له وأمالوا آذانهم فسمعوه يقول بصوت خافت (بابي.. بابي.. بابي) ثلاث مرات ثم سكت. أما عمي الكبير ميرزا نعيم فقد غضبت عليه الحكومة وتغرم مرتين وكانت الغرامة عشرة آلاف تومان في المرة الأولى وخمسة عشر ألف تومان في المرة الثانية، ولم يقف العقاب عند ذلك بل حكم عليه بان يقاسي تعذيبا كبيرا فوضعت أولا أيديه في (الألشبك) وهي آلة تعذيب يوضع فيها الأصابع بين قطع خشبية ويضغط عليها بالحبال. ثم يصب على الحبال ماء بارد ليحصل لها انكماش ويزاد الضغط على الأصابع ثم وضعت رجلاه في "ننك قاجار" أي (عار القاجار) وهي آلة تعذيب تشبه الحذاء الذي كان يستعمل

في إنجلترا يوما ما وسمي بإسم الدولة التي أحدثته في ايران وهي الدولة الحالية. ثم أوقف في الشمس عاري الرأس وصب على رأسه العسل لجلب الذباب عليه وبعد تعذيبه بهذه الأنواع وغيرها مما هو أقسى وأذل طرد من الخدمة ذليلا مسكينا وأصبح رجلا منبوذا لا يملك شروى نقير).[1]

أما الكونت جوبينو فكتب عن نهاية أحد المشتركين في محاولة القتل، فقال:-

(وبعد قتل الصادق ربطوا جثته في ذيل بغل وجروه على الأحجار لغاية ان وصلوا الى طهران حتى يمكن لجميع السكان ان يعلموا ان المؤامرة أخفقت وفي الوقت نفسه أرسلوا الى اردشير ميرزا يفهمونه ماذا يعمل).[2]

ويشارك اللورد كرزون زملائه في سرد الأحداث وطريقة تقسيم قتل الضحايا على المسؤولين، فيقول:-

(ورأى سعادته ان يقسم التنفيذ على الأسرى بين الجهات الرئيسية في الحكومة ولم يستثن أحدا سوى نفسه، فأولا التشريفاتي الاول للملك أطلق أول طلقة على أسيره ليقتص لجرح الشاه من المتآمرين ثم أتم الفراشون العمل. وكان ابن رئيس الوزراء رئيسا للداخلية ولذلك ذبح بابياً آخر، ثم جاء دور وزير الخارجية وكان رجلا داهية متظاهرا بالتقوى كثير التأمل في الأحاديث وضرب ضربة بالسيف وهو يحول وجهه ثم جاء وزير الداخلية وكتبة وزارة الخارجية وقتلوا فريستهم من البابيين الموزعين عليهم، وحتى طبيب الشاه الخاص الفرنساوي المرحوم المأسوف عليه المستر كلوكيه فانهم عزموا عليه ان يظهر ولاءه

1 من كتاب مقالة سائح حاشية هـ صحيفة 191-193.
2 من كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 234.

للشاه بان يتبع مثال باقي الموظفين فاعتذر قائلا انه قتل أشخاصا كثيرين أثناء العمليات التي كان يجريها ولا يرغب ان يزيدها بقتل اختياري آخر. وقد قيل للصدر بان هذه الأعمال الوحشية التي لم يسمع بمثلها في غابر الأزمان ليست ثورية فقط في شكلها بل انها توجب الانزعاج والاشمئزاز العظيم في أوروبا، وإذ سمع ذلك اشتد غضبه وقال: "أفهل تريد ان يقع انتقام البابيين عليّ وحدي"؟).[1]

وكتبت جريدة (جازيت طهران) الناطقة الرسمية بلسان الحكومة الايرانية في ذلك اليوم مقالة تلقي بعض الضوء على حقيقة مشاعر موظفي الدولة والرأي العام، مما يجزم بحصول مثل تلك الأفعال باعتباره نموذجا لحقيقة مشاعر المجتمع تجاه البابيين، وشاهدا تاريخيا موثقا من خصومهم:-

(ان بعضا من الفسقة الغير المهذبين من الذين لا دين لهم أصبحوا تلاميذ الملعون السيد علي محمد الباب الذي منذ بضع سنوات أخترع ديناً جديداً والذي لقي فيما بعد حتفه. وكانوا غير قادرين على إثبات مدعاهم وكان فسادها ظاهرا بيناً. مثلا قد وقع كثير من كتبهم في أيدينا فلم نجد فيها سوى الكفر المبين. أما بالنسبة للبراهين الدنيوية فكانوا عاجزين ايضا عن الإتيان بها لاثبات دينهم الذي لا يصلح لشيء الا للجدال مع الله والتجديف عليه. ثم أرادوا بعد ذلك ان يحصلوا على الملك لأنفسهم وسعوا في إثارة الثورات أملا في الانتفاع بالاضطراب ونهب ممتلكات المجاورين وقامت منهم فئة ملعونة تحت إمرة ملا شيخ علي من ترشيز واعتبر نفسه نائبا عن الباب السابق وسمى نفسه صاحب الجلالة وجمع حوله عددا من أتباع الباب الأولين، وقد فتنوا لآرائهم ومعتقدهم بعض الفساق وكان أحدهم الحاج سليمان خان بن المرحوم يحيى خان من تبريز، وكانت عاداتهم الاجتماع في

1 من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الإيرانية صحيفة 204 حاشية 2.

منزل ذلك الحاج للتشاور ولتدبير مؤامرة لاغتيال جلالة الشاه، وقد تطوع اثنى عشر نفرا منهم لهذا العمل ولتنفيذ هذه الخطة وأعطى لكل منهم غدارة وأسلحة وخناجر وعزموا ان يقوموا الى مقر الشاه في نياوران انتظارا لتنفيذ عملهم (ثم تكلم بعد ذلك عن الهجوم وهو ما سبق فصلته قبل ذلك) وقد حكم على ستة أنفار ممن لم تثبت التهمة عليهم ثبوتا كافيا بالسجن المؤبد، ووزع الباقون على العلماء والمجتهدين والموظفين في البلاط الملكي وأهالي البلاد من التجار والصناع، وأوردوهم ما يستحقونه من العذاب فذبحوا الملاوات والعلماء الملا شيخ علي وكيل الباب الذي لقب نفسه صاحب الجلالة والذي كان رئيس هذه المؤامرة وذبح البرنسات سيد حسن الخراساني رجل فاسق بالغدارات والسيوف والخناجر، ووزير الخارجية المملوء بالحماسة الدينية والأدبية ضرب أول ضربة على ملا زين العابدين من يزد، والسكرتاريون في وزارته أكملوا عليه وقطعوه إربا، ونظام الملك ابن رئيس الوزراء ذبح الملا حسين، والميرزا عبد الوهاب من شيراز الذي كان من الإثنى عشر السفاكين ذبحه أخ وأولاد رئيس الوزراء وباقي أقاربه قطعوه إربا، والملا فتح الله القمي الذي أطلق الغدارة وجرح صاحب الجلالة قتل بهذه الكيفية وسط المعسكر الملكي ووضعت الشموع في جسده بعد ان ثقب بدنه ثم أوقدت، ثم جاء التشريفاتي وطعنه في نفس المكان الذي جرح فيه الشاه ثم رجمه الباقون بالأحجار، أما أشراف البلاط فقد أرسلوا الشيخ عباس الى طهران ثم الى الجحيم، واما خدم الشاه فقتلوا محمد باقر أحد الاثنى عشر، وخدام الإسطبل ورئيسهم سمّروا أرجل محمد تقي من شيراز ثم أرسلوه مع أقرانه، ورئيس التشريفاتي ومعه النبلاء ذبحوا محمد نجف آباد بالبلط والقضبان وأرسلوه الى قرار الجحيم وطعن العسكر سيد حسين من ميلان، ورجال المدفعية اقتلعوا أعين محمد علي من نجف آباد ثم نسفوه من فم المدفع، والخيالة

ذبحوا ميرزا رفيع، وقائد الجيوش مع ضباطه ذبحوا سيد حسين).[1]

وكتب الكونت جوبينو يصف تلك الأحداث التي قلما شهد التاريخ لها مثيلا، فقال:-

(وقد رأى الناس في ذلك اليوم في الشوارع وفي الأسواق في طهران منظرا لا يمكن ان ينسى فلا يزال الناس يعجبون بالفظائع التي ارتكبت في تلك الأيام كلما حدثت محادثة في موضوعها ولم يغير مرور السنين الطويلة شيئا من طبائعهم، وكان الناس يرون الأطفال والنساء بين أيدي الجلادين تتقدم ولحوما مغطاة بالدماء وفيها فتائل مشتعلة مغروزة في الجروح وكان الأسرى يجرون بالحبال ويسيرون وهم يجلدون ويتقدم الأطفال والنساء وهم يتلون الآية (انا لله وانا اليه راجعون) وكان صوتهم في وسط السكون الذي خيم على الجماهير لأن أهالي طهران لم يكونوا أشقياء ولا متدينين وهم شديدو التعلق بالإسلام، فاذا وقع أحد من هؤلاء الأسرى المحكوم عليهم يضربونه بالكرباج ليقوم او يضربونه برأس الحراب ذلك لأن الدماء الغزيرة التي خرجت منهم تضعف قواهم ولكنهم كانوا يرقصون ويصيحون بكل حماس (انا لله وانا اليه راجعون) وكثير من الأطفال يتوفون أثناء الطريق، فالجلادون يرمون جثثهم امام أقدام آبائهم ليدوسوها، فيسيرون ولا يلتفتون إليهم. واذا وصلوا الى المكان الذي أعد لتنفيذ الإعدام عليهم قريبا من الباب الجديد طلب من المسجونين ان يتوبوا ولما ظهر لهم ان ذلك غير ممكن استعملوا معهم طرقا تهديدية، فقال الجلاد لواحد منهم ان لم ترجع وتتوب فإني أذبح أولادك على بطنك، وكان له ولدان أحدهما الكبير يبلغ من العمر 14 سنة وكان جسمه قد احمر بدمائه واحترق لحمه فاستمع الى هذا القول بكل ثبات وأجاب الوالد وجلس على الارض وأظهر استعداده فاختار الولد الأكبر

1 من كتاب الليدي شيل لمحات في حياة وعوائد الإيرانيين 277-281.

بكل شمم ان يكون هو أول مذبوح لأنه الأكبر فلم يمتنع الجلاد عن قبول ملتمسة بدون ان يظهر منه أي تألم، وأخيرا بعد ان أتم عمليته جاء الليل على أكوام وأكداس من اللحوم فأخذوا الرؤوس وعلقوها على خوازيق وجيء بكلاب الجيران وأطلقوها على جهة اللحوم لنهشها، وفي ذلك اليوم آمن بالباب جم غفير سراً أكثر ممن آمن بواسطة الدعوة، فان التأثير الواقع على الأهالي من عدم خوف البابيين من الاستشهاد ومن العذاب المفجع كان عميقا وكثيرا ما سمعت من العديدين ومن كبار رجال الحكومة ممن كان شاهد عيان لهذه المفاجع عن حالات الشهداء وكل من يستمع لأقوالهم يظنهم جميعا بابيين لأنهم جميعا أعجبوا بهذه المشاهد التي لم يلعب الإسلام فيها دورا جميلا ومن الفكرة العالية التي أسندوها الى نجاح طائفة البابية في جميع أدوارها).[1]

ويشارك البروفسور براون في رسم أحداث تلك الأيام المفزعة، قائلا:-

(ولم تكن هذه التعذيبات فقط اجرامية بل كانت ايضا جنونية، فان توحش المنفذين قد عكس مقصدهم فبدلا من ان يوقعوا الرعب في القلوب جعلت للشهداء فرصة لإظهار الثبات والشجاعة التي فاقت أي دعاية او بروباجندا مهما كانت ماهرة لانتصار الامر الذي ماتوا لأجله. فالتأثير الحاصل من مثل هذا الثبات وهذه الشجاعة كان عميقا وأبديا، فان الدين الذي نفث في روع الشهداء هذه الشجاعة قد عدى الكثيرين غيرهم كما يظهر من الحكاية الآتية:-

كان احد سكان يزد رجلا شقيا مشهورا بالحياة الغير منتظمة وقد ذهب لرؤية التنفيذ على بعض البابية وربما كان بقصد

---

1 كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 248-250.

الاستهزاء بهم ولما رأى الثبات والصبر الذي قابلوا به العذاب والموت حصل له تغيير كلي في احساساته حتى انه هجم في وسطهم وهو يصيح (اقتلوني أنا ايضا لأني أنا بابي) ومكث يصيح على هذه الكيفية حتى شاركهم أخيرا في نصيبهم مع انه كان خارجا فقط للفرجة).

ويضيف البروفيسور ادوارد براون في كتاب آخر عن قصة ضحية أخرى ساقوه الى ساحة الاعدام وقد ثقبوا جسده تسعة ثقوب في أعلى الصدر والأكتاف ومؤخرة العنق، ووضعوا في كل ثقب شمعة موقدة، وساروا به في الأسواق بين جموع المتفرجين وسط ظلام الليل، وكان منظرا عجيب الكيفية، قال عنه أحد المؤرخين " كان الرجل كالسفينة وسط عباب البحر الدامس":-

(ان الشجاعة الفائقة الحد التي أظهرها سليمان خان في تحمله الآلام المخيفة صارت أشهر من نار على علم. وقد سمعت مرارا وتكرارا كيف انه لم ينقطع أثناء تعذيبه الطويل عن ان يظهر سروره بان يكون مستحقا للاستشهاد في سبيل أمر مولاه. وكثيرا ما كان يغني ويسرد أبياتا شعرية ومنها ما يأتي (قد رجعت من طريق شيراز وأحضرت معي اللطائف والظرائف وهكذا يكون جنون الحب) فعند ذلك استهزأ به الجلاد وقال له لماذا لا ترقص اذا ما دمت ترى الموت جميلا الى هذا الحد فصاح سليمان خان نعم أرقص فهذه الكأس في راحتي وفي الأخرى جدائل الشعر من محبوبي. وهذا الرقص وسط السوق مرغوبي).[1]

1 من كتاب ا.ج. براون سنة بين الإيرانيين صحيفة 111-112.

الملحق الأول

من كتابات الباب

بخصوص الطاهرة

كَتَبَ علي محمد الباب مؤسس الدعوة البابية، في مدح الطاهرة كتابات وألواح عديدة، إلا أننا لم نستطع الوصول اليها جميعا لأسباب عديدة، منها ضياعها أو حرقها أو تمزيقها أو اختفائها، وهذه فقرات مما كتبه الباب جواباً للحاج محمد عرب، قال:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تمحص قلوب عباده بما نزل عليهم من آيات كتابه أنه لا إله إلا هو العزيزي الحكيم وأنا ذا في موقفي هذا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد ذاته لذاته وتقدس عن شهادة ما سواه لعلو كينونة ذاتيته إذ أنه لهو الذات الساذج البحت والعين الكافور الصرف الذي لا يعلم كيف هو إلا هو وان انينه معرفة الجوهريات عن مقام العرفان وسدرة الكينونات عن مقام البيان وانه كما هو عليه أجل وأعظم من ان يعرفه أحد بكنهه أو أن يصفه أحد بذاته وأنه لا إله إلا هو العزيز القديم وأثني على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله في الحيرة بما أثنى الله عليه في ملكوت الأسماء والصفات حيث جعله قائما على مقام نفسه في ملكه في الأمر والخلق واصطفاه لمحبة نفسه منفردا عن التشابه من أبناء جنسه إذ أنه كما هو عليه لن يقترن بشيء في شأن وانه لا إله إلا هو الكبير المتعال وأصلي على مظاهر نفس محمد صلى الله عليه وآله في ذلك المكان وسط

الجبال بما قد قدّر الله لهم في علم الغيب حيث لا يساويهم أحد في الرتبة ولا يعلم كيف هو إلا هو انه هو العزيز المتعال وأشهد لنفسي بأني عبد آمنت بالله وآياته ولا أريد ان يختلف اثنان في دين الله وما أنا إلا عبد من المؤمنين وبعد قد قرئت كتابك واطلعت بما ذكرت في كتابك وسمعت من صاحبك من حكم الاختلاف على الأرض المقدسة وان ذلك اذا وقع بين الذين شهدوا بالحق وهم يعلمون فهو من أمر الله والمصالح التي لا يعلمها العباد اذا لم يرد أحد أحدا واذا وقع بين الذين لا يعلمون مواقع الأمر فهو فتنة ليميز الخبيث من الطيب ويقع القول على الظالمين فاعلم ان السابقين ما لم يرتابوا ولم يشكّوا في أمر الله فهم بذلك الشرف ممتازين عن غيرهم وليس أقوالهم وأفعالهم حجة لأحد بل الحجة اليوم نفس واحدة وربما يدخل في دين الله عباد ليسبقهم في العمل والعلم ولكن ذلك الشرف لهم من عند الله ولا يساويهم أحد بذلك الشرف الواحد وليس لأحد أن ينكرهم اذا لم ير منهم أمرا ينافي الدين وان ذلك قسطاس العدل في حكمهم وليس على أحد من الواردين من بيت العدل[1] أن يرد الطاهرة في علمها لأنها عرفت مواقع الأمر من فضل الله وإنها اليوم شرف لهذه الفئة ومن آذيها في الدين فقد احتمل إثماً مبينا وكذلك الحكم للذين اتبعوها فليس لأحد منكم أن ينكر احمد[2] في بيت العدل فانه يعرف إشاراتنا في آيات العدل واني لأعلم بان في هذه الاختلاف قد احتمل ما احتمل إثما مبينا ولكن لا أظهر في الكتاب ولا أنطق به لان يرجعوا الى ما أمروا به ولا يرد أحدهم أحدا وكان الكل في هذا العالم مثل أهل الجنة حيث قال عز ذكره واقبل بعضهم على بعض يتسائلون ان اتقوا الله يا معشر الشيعة ولا تختلفوا في دين الله ولا تذلوا مؤمنا ولا مؤمنة وارضوا بحكم الله ولا تسئلوا من أحد انه ضرّه اقرب من نفعه ولا تنطقوا بمعارف باطنية التي لا يدركها عقول الناس واستروا عما

1 بيت العدل: يعني منزل السيد كاظم الرشتي.
2 احمد: الملا احمد حصاري.

ستر الله عليكم وعفى عنكم ثم توبوا الى الله يا أيها المؤمنون جميعا فيا أيها السائل بلغ ذلك الكتاب على الطاهرة في السبيل اذا خرج من بيت الجليل[1] ثم اذا نزلت ارض المقدسة الى الذي سكن في بيت العدل ليطلع الكل بفصل الخطاب في المبدء والاياب ولقد أذنت بالحج للتي ارادت حكم ربها أن اتبع يا احمد في ذلك البيت ولا تمنعها واجمع شملها واحفظ أمرها بان لا ترى أذية من أحد فانها صديقة مؤمنة رحم الله من ترحم عليها وراقب أمرها ولا يحتاج لمثلك أكثر من ذلك واتكل على الله ولا تخف في سبيل الله من أحد واسئل الله من فضله انه هو الجواد الوهاب وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).[2]

وكتب علي محمد الباب للسيد علي بشر عندما استفسر الأخير منه عن مقام قرّة العين، قال:-

"وأما ما سئلت عن المرأة التي زكّت نفسها وأثرت فيها الكلمة التي انقادت الأمور لها وعرفت بارئها فأعلم انها امرأة صدّيقة عالمة عاملة طاهرة ولا ترد الطاهرة في حكمها فإنها أدرى بمواقع الأمر من غيرها وليس لك إلا إتباعها[3]"...

وكذلك كتب الباب في حقها جوابا على اعتراض جمع من سكان قرية بدشت خلال المؤتمر:

"وان ما سئلت من حكم الطاهرة على الارض المقدسة فقد أذنت لها من قبل بالخروج لما تقع بها الفتنة هنالك وإنها لدي لورقة طيبة التي طهرت فؤادها عن رجس الحدود لربها فرحم الله

1 بيت الجليل: منز السيد كاظم الرشتي.
2 كتاب جهار رسالة تاريخي بقلم أبو القاسم أفنان المقدمة.
3 كتاب (الطاهرة) "قرّة العين" تأليف حسام نقبائي صفحة 8 مترجم عن الفارسية

امرؤ عرف قدرها ولم يؤذها بأقل شيء لأنها اليوم عزّ لذي قرابتها وشرف لأهل طاعتها في حكم الله واسئل الله ان يعطيها مسئولها ومناها بفضله[1]...."

وفي توقيع آخر في نفس المضمون:

"وأما ما سئلت عن الطاهرة هي التي آمنت بربها وخالفت من نفسها وخشيت من عدل ربها وراعت يوم لقاء بارئها وكلما استنبطت في أحكام البيان واستدلت عليها بآيات القرآن[2]"...

وفي توقيع آخر مخاطباً ملاً احمد:

"وان ما ذكرت من مراتب الاختلاف فمالك وذكر تلك الأخبار فان ظاهر الدين هو طبق باطنه والجنة حق والنار حق... وكل ما نزّل الله في القرآن فهو حق... وان نسبة ملك الأمور الى الورقة الطاهرة فاني أشهد الله بأنها هي بريئة عن كل ذلك وما اعتقدت إلا ما فُصّل في كتاب مبين وان في الدين للمؤمنين حق بان لا يردّ احد منهم أحدا وان سمع من احد شيئا ولم يبلغه بسره فلا يحكم عليه حتى يعرف مبدئه ويتبين صدقه فاذا اطلع وخالف عقله فليرجع الى الذي جعل في يديه فصل الخطاب لانه اذا حكم بغير حكمه فكأنما حكم بغير ما نزل الله... وان ما سئلت بان الورقة الطاهرة قد ادّعت حجية نفسها على غيرها فليس ذلك بأمر عظيم ولا خطب جسيم لان للحجية معاني محمودة... وإنها عرفت مواقع حكمي واستبصرت بأنوار آياتي فما للذي اتّبعني ردّها لأنها ما تنطق إلا بادلا والمشرقة من أهل العصمة والامارات المتشعشعة

1 نفس الصفحة المصدر السابق.
2 المصدر السابق صفحة 9.

من أهل الحقيقة وكفى بها فخراً لهذه الفئة وكفى بالله علي وعلى الناس شهيداً"[1]..

وفي توقيعه لوحيد دارابي حول كتابتها لثلاث كتب في جواب اعتراض المخالفين قال:-

ان امرأة منهم حقق الحق بآياتها وابطل عن المشركين في ثلاث كتاب حسن...الخ[2]"

وفي رسالة شرح كوثر:-

"ان امرأة من الشيخية قد كتب في جحدهم ثلاث كتب بل حيف لها لتعرض بجحدهم[3]"...

وفي توقيع آخر جوابا لعريضة قدمتها الطاهرة للباب وتأكيدا لرعاية الحكمة، قال:-

"... فإن كتاباً ممهوراً قد لاحظته فيخلصك الله مما تخافه وتحذره فاعلمي بان من جواهر علمك قد ظهرت بواطن السنن فصبراً صبراً في ذكر بحر العدل وعين اليمين ولقد نسبوا اليك رجال بعض الأمور العرضية فابطلي ببيانها ببيان العالي الجلي بان الحسين عليه السلام قد قتل ومن زعم انه لم يقتل فقد نسى حكم الله وما شهدت العقول ثم ان الجنة والنار مخلوقة وفيهما عباد لا يعلم عدتهم الا الله وان قبل يوم القيمة لن يظهر احد وكفى بالله عليهما شهيدا... فاكتبي ذكر الامر في كتاب مسطور على عدل

1 المصدر السابق صفحة 9.
2 نفس المصدر السابق صفحة 10.
3 نفس المصدر السابق صفحة 10.

سبعمأة مستورا بآلاء مظاهر النور وبلغي مليك الدهر ومدبر الأمور وادعي مفرج عباده"[1]...

الملحق الثاني

من كتابات الطاهرة المختلفة

يصنف الأدباء والكتّاب والشعراء، كتابات قرّة العين (الطاهرة) على انها من السهل الممتنع، ويشيرون الى رسائلها للعلماء والمخالفين لفكرها وعقيدتها وحتى أتباعها وأصحابها باعتبارها من الروائع الأدبية التي لا يستهان بها، فهي تنضح بالاثباتات والحجج العلمية والفكرية القوية المدعمة بالآيات والأحاديث الصحيحة التي لا يختلف فيها اثنان اضافة الى قوة فصاحتها اللغوية، أما بخصوص أشعارها فكانت تكتب بطريقة صوفية روحانية رقيقة يفهمها القلة من الشعراء والأدباء ويبدون تجاهها الاعجاب والتقدير. وقبل حوالي عشرين سنة أخبرني أحد الأدباء والشعراء العراقيين المعروفين (توفي رحمه الله) انه يحتفظ بديوان شعري كامل لها باللغة العربية ورثه عن أجداده، ويبدو أن الطاهرة كتبته أثناء سكنها في العراق في كربلاء، ولقد عرضت على ذلك الشاعر في حينه شراء الديوان منه، فأجابني "أنه لا يبيعه بأي ثمن مهما كان". فتأمل عزيزي القارئ كم هي قيّمة آثارها وكتاباتها؟! وكم من كتاباتها ما زال مدفونا في مكتبات الأدباء والشعراء؟

1 نفس المصدر السابق صفحة 10.

سـيلاحظ القـارئ الكـريم وجـود بعـض الأخطـاء الاملائيـة وغيرها، ومرد ذلك الى أسباب كثيرة، منها قدم النسخة التي نقتبس منها هذه الفقرات، ومنها أن ناسخها ايراني الأصل، وهذا يزيد من فرصة وجود الأخطـاء الاملائيـة والطباعيـة التـي لـم نتقـرب مـن تصحيحها خوفا على النص مـن التغييـر. ومـن المحتمـل كـذلك ان الكاتب نقل هذه الفقرات من مخطوطة يدوية قديمة كتبت قبل أكثـر من قرن ونصف من الزمان، ويلاحظ ايضا اسلوب الكاتبة القـديم، مما يصعب على أهل هذا الوقت احتواءه بسهولة.

لقد نقلنا هذه المخطوطات من رسائل الطاهرة، لسبب مهـم هـو محاولة إظهار شخصـيتها ومقـدار ايمانهـا وعلمهـا ومعرفتهـا مـن خلال مكاتيبها ورسائلها، حتى يـدرك القـارئ إن هـذه "الطـاهرة" إنما كانت امرأة عالمة عارفة تقية نقية ضـاهت بـل وتفوقـت علـى كبار علماء زمانها في علمها وحكمتها، وان مـا يفتـرى عليهـا فـي بعض الاصدارات، يخضع الى اعادة نظر وتمحيص.

من رسالة كتبتها الى الملا حسين بشروئي:-

بسم الله العلي الجواد المحسن السلام من السلام على الذي اليه يرجع حكم السلام والسلام من ساحة قدسه على الذي استخلصه لنفسه وطهره عن الدلالة الى غيره حقيقة العزّ ومعدن السلام والسلام والمشرق واللامع عنه هو الذي هو عند ولا فرق بينه وهو الا انه نفسه وجنسه ومفرج كربه وقاضي دَينَه وينبوع الجلالة ومظهر القدرة ومعدن السلام ومنبع الكرامة والفخام والتقديس المتشعشع والصلوة المتلامع من حجاب المرتفع على الذين سبقوا بالاجابة ونظروا بالدراية وصلوا الى بابه وعرفوا جنابه فماتوا بفنائه وما يشعرون وما يشعرون أيان يبعثون بل دخلوا الجنة الأحدية ولا يرى بهم وصف دون أنفسهم العلية وهم بعين الله ناظرون صلوات الله عليهم وتعالى شأن مولاهم عما

يصفون. الحمد لله الذي هدانا للذكر الأكبر وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله بالله أدخل وبالله أنطق وبالله أقوم وبين يدي حجته ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبحان الذي تفضل على هذه الأمة أقل مما يحصى وأصعدها فوق طور المنة والبهاء، وأراها من آيات المشرقة من آية وجهه العلي الأعلى والحمد لله الذي قد انجذبني الى ساحة قدسه وشرفني بطلعة ذكره وانغمسني في طمطام حبه وطهرني عن النظر الى غيره له الحمد حمداً شعشعانياً وله الشكر شكراً متعالياً سرمدانياً سبحان الله ما أنا وذلك المقام العظمى بعزته لولا يمسكني فضله لكنت في يوم الحضور معدوما مولاي وسيدي وكهفي ومعتمدي يا من جل جلالتك عن البيان وعظم شرافتك عن التبيان أشهد ان باب معرفتكم مسدود لأهل الامكان ومفتوح لمن هو واقف بباب البيان وناظر بعين العيان بان الله قد طهركم عن المثلية ونزهكم عن الشبهية وقدسكم عن الاقتران. طوبى ثم طوبى لمن فات بفنائكم وأحيي بماء الذي نزل من سماء ثنائكم طوبى لمن أسبغه العناية ووفد على بساط جلالكم ونظر الى آثار جمالكم وسمع نداء الورقاء على دوحات سدرة المنتهى في فضلكم وبهائكم بأبي وأمي وما في علم ربي، فما أجلى ذكركم ذكركم وأجل شأنكم شأنكم وأعلى قدركم قدركم بكم أخذ روح القدس في جنان الصاغورة من حدائق باكورة الظهور وبكم نزل النور على الطور وبكم ظهر كتاب مسطور في رق منشور عليكم سلام الله العلي الغفور نشهد أن قد أخذ عهد محبتكم من كل ذرات الوجود والزم طاعتكم على كل ما برز في عالم الشهود. يا سيدي ومولاي استغفر الله العظيم من الاقتران بوصفكم والتلجلج عند مطلع ذكركم بأبي وما في علم ربي جذابيتك قد أنطقني وفضلك قد أقامني وإلا والله ما أنا شيء حتى أتنفس عند طلعتك أو أحرك في محضرك وأسأل الله العفو من جواب يا مولاي روح أهل الروح فداكم يا دليل المتحيرين يا كنز المفتقرين يا حصن اللائذين يا حجة الله الملك العدل المبين وباب صفيه وحبيبه ديان يوم الدين يا مولاي بأي لسان أدعوك وقد

أخرَست المعاصي لساني وبأي وجه ألقاك وقد أخلق الذنوب وجهي وكيف أدعوك وأنا أنا وكيف لا أدعوك وأنت أنت وكيف كنت ناطقاً عند ساحة قدسك حين لا وجود لذكري لديك وكيف كنت صامتاً تلقاء وجهك وقد انقطع دعوة سرك وكيف كنت ساكتاً وقد أحرقني النار النازلة من مجرة ايتك. الله أكبر ما هذه النداء الساطعة من أفق الثناء وما هذا النور الذي تشعشع من طراز القدرة والبهاء، يا سبحان الله ان بروق أنوار جماله خطف الأبصار والله العلي الغفار قد قلب بأقل من لمح البصر الليل بالنهار، يا رباه من صاحب هذا الصوت الذي يحيي الأموات ويميت الأحياء الواقفين في أرض الحسبان، الله أكبر من جلالته وشوكته وعظمته بعزته قد وجد من نظرته عالم الجبروت وكون من دعوته آيات الملكوت وخرب بنقمته بنيان عالم الناسوت الذين نسوا حظهم وما عرفوا لحنه. يا مولاي وسيدي يا حجة الله داعي الحبيب الذي هو حجاب بينك وبين المحبوب وباب لمن هو غيب الغيوب، بأبي وما في علم ربي ما هذا النار الذي قد حرق الأستار وقطع القرار ولا يمهل آناً وأصدر من عين حرف من كلامه بحور الأنوار، سبحان الله من هذا الطلسم الأعظم والرمز المنمنم الذي اتكأ على بساط القدم وينادي بصوت عال اني أنا نور منير وقدرة قدير، اني أنا آية الله بصير يا ملأ الأنوار أنا نور الأنوار وسر الأسرار أنا الذي على معرفتي يدور المدار اسمعوا ندائي، أنا عين البيان وشجرة التبيان أنا باب الافتتان أنا الفرقان الذي به يمتاز أهل الاطمينان من السابحين في لجة الخسران أنا الميزان الذي واقف بباب الاذن والبيان واعرفوا يا أهل البيان من عرفني فقد عرف مولاه ومن جهلني فقد جهله ولا ينفعه عمل الذي قد اكتسب في عز وجهه. مولاي وسيدي يا باب الحجة ومقيم المحجة روحي وروح من في الامكان فداء من أحبك، قد انجذب هذا النور أمتك الآبقة الى طرفه وأمرها بالاصغاء الى قوله الله الله من حسن منطقه وحلاوة نظرته كأن طلعته خلقته ونظرته نظرة الله الله قد

أحرقت كل ما سوى نظرته الأعلى... (نكتفي بهذا القدر من الرسالة فهي طويلة).[1]

ومن رسالة لها الى مفتي بغداد الشيخ محمود الآلوسي حوالي سنة 1261، قالت فيها:-

بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن ظهر أمره وبرز سره وجعل الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد والصلوة على سر التحميد وحقيقة التفريد والسلام على آله وأوصيائه مقامات الله وعلاماته التي لا تعطيل لهم في كل مكان وهم من الخلق غير بعيد وعلى من أتبعهم ونهج منهجهم فحجم بهم الإيمان بنور التسديد .

أما بعد قد وصل إلينا من بعض الذين ينكرون الحق خطوطات مملوءة بالمتشابهات ومشحونة بالكدرات هيهات ثم هيهات لما توعدون من ظهور كنوز الغيبية والأسرار الربانية وهم من عظمة حكم الله غافلون وعن نعمته معرضون فقد ظهر أمر عظيم وأشرق حكم جسيم... وهم لا ينظرون الى الحقيقة ليعرفون الدقيقة لسر الخليقة بل متشبثون بقواعدهم الباطلة التي لا يسمن ولا يغني من جوع كفئة الذين من قبلهم ولا يعلمون قد فتنوا بمثل من سبقهم فبعد ظهور هذا النور من أفق البهاء لسر الأشياء واجب على الكل الإعراض عما سوى وجه ربه الأعلى فكل ما يعرفون فيشكرون ويحمدون وكل ما لا يعرفون فيطلبون فهمه من الذي عنده مفاتح الغيب وعليه قصد السبيل وان عليه الهدى فقد جرى سنة الله لهذا ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا اسمعوا يا قوم ندائي واعرفوا حكم ربكم العظيم فبعزته ان الأمر عظيم وأنتم عنه غافلون واستعدوا للجواب حين الذي ينادي المناد الله أذن لكم أم على الله

1 كتاب الطاهرة (قرّة العين) تأليف حسام نقبائي طبع مؤسسة ملي مطبوعات أمري 128 بديع، صفحة 159.

تفترون واعلموا ان نصب الميزان قد كان بيد العلي السبحان فقد وجب معرفة من عنده الميزان في كل عصر وزمان بتعليم الله عز وجل اتقوا الله يعلمكم الله واعلموا ان الدهر يدور والسماء يمور والجبال يسير وفي هذا التدوير آيات مخزونة بتدبير العلي الخبير سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين انه الحق وما يعقلها إلا العالمون إنما يخشى الله من عباده العلماء وهذا العلم هو العلم الغيبي والرمز الإلهي الذي كان في حقائق العالمين مستوراً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت هو الذي خلقكم من نفس واحدة فالعالم من أعرض عن سواه وأقبل بكله الى مولاه ليظهر منه تلك النور ويجذبه الى دار السرور جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب قد كان وعده مأتياً.

بسم الله الرحمن الرحيم آلم أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب يا قوم اعلموا ان الميزان الذي قد نصبه العلي المنان في هذا اليوم العظمى والمشهد الكبرى هي شواهد الفطرة فقد أظهر آية من أفق الغيب وفتح باب التمحيص والافتتان الأمان الأمان أسرعوا الى حكم ربكم واعرفوا الميزان ثم اعلموا ان كل ما عندكم من العلوم الظاهرية فعندكم وأما ربكم قد هيأ لكم مقاماً عظيماً وقد أراد ان يصعدكم الى مقام الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فطوفوا حول إرادته ولوذوا بكرامته اصطفاكم وأعطاكم ما لم يؤت أحداً من قبلكم فاعرفوا قدركم ولا تنسوا حظكم فان الفوز عظيم واعلموا ان الله قد كان غنياً عما عندكم وما يريد منكم ان يرزقوه وما يريد ان يطعموه انه هو الرزاق ذو القوة المتين الله أكبر ان الله عز وجل أي مقام يريد في نزول الآيات من باطن قرآن العظيم والخلق في أي واد يهيمون الله أكبر فقد نصب موازينهم المجتثة عند ميزان الله مهيمن على ما سواه وكلهم يصيحون بلسان إنكارهم... أو بدله ولم يعلموا ان سلطنة الله لا يختلف ونوره لا يحتجب ولن تجدوا لسنة الله

تبديلا ولا تحويلا اسمعوا ندائي يا معشر المسلمين ان الله عز وجل فتنكم بمثل الذين خلوا من قبلكم فقد أظهر حرفاً من تفسير باطن القرآن وأنتم به ممتحنون فلا ينفعكم ما تمسكتم به من تنظيم العبارات وتركيب الإشارات وتصريف الصيغة واثبات النتيجة فقد أتوا بقصائد حين ظهور النور المحمدية عليه صلوات الله وسلامه وقد فرحوا بقصائدهم وتمسكوا بما عندهم وقنعوا عليها وأعرضوا عن فيض ربهم فجاءهم ما به يوعدون يا قوم اعلموا ان القرآن إنما نزل بعلم الله ولا يعرف أحد تفسيره وتأويله إلا الله والراسخون في العلم بتعليم الله لا تنفذ عجائبه ولا تبدى غرائبه ولا يزال ينزل من سحائب نكاته أسرار عجيبة وما لها من نفاد والقرآن حجاب الله وصنعته القرآن خطاب الله وحكمه القرآن سر الله ورمزه القرآن سر الله.. نور الذي أنزل بعلمه...الخ.[1]

وفي خطاب لها الى عموم الشيعة، بعد سفرها من كربلاء الى بغداد، قالت:-

بسم الله العلي العظيم الحمد لله الذي اصطفانا بمنه واختارنا بفضله وكشف عن بصائرنا سحاب الارتياب وعرفنا حكمه وطريق الصواب والصلوة على الذي استخلصه نفسه وطهره عن الدلالة الى غيره وعلى آله الذي هم هو لا فرق بينه وبينهم في الرجوع والإياب ولعنة الله على الجاحدين للحق كل كافر مرتاب يا معشر الشيعة والمؤمنين عليكم سلام الله وبركاته من كل باب لا يخفى عليكم حال هذه المفتقرة المعتصمة بحبل آل الله عليهم سلام الله بلا عدد بأني ما خرجت من الارض المقدسة مع أحبائي الأبرار والنجباء الأخيار من النساء والرجال وأولاد الصغار إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل ابتغاء لوجه ربي القادر القهار فمن زعم إني قد خرجت لأتوسل بغير ربي ولأجل الدفاع عني فقد خطأ وربي لأن الالتجاء بالمخلوق والجزع عند النوائب من أعظم

1 نفس المصدر السابق صفحة 163

الفسوق وبمذهب الحق من يشتكي الى مخلوق من مخلوق فقد أشرك بربه اللهم أنت الشاهد على إني توجهت الى جانبك الأعلى وأقبلت بكلي إليك لا حاجة لي في غيرك وأنت تعلم حالي وتسمع مقالي لا خوفي إلا منك ولا رجائي إلا عنك وقد كنت بعزتك عن من سوى قدرتك معرضاً وغنياً اسمعوا ندائي يا معشر الشيعة واعرفوا اني ما خرجت من الارض المقدسة آلا لأجل الضعفاء في أمر دينهم وتوضيح أمر الله الواضحة المشرقة في وسط السماء وهذا من فضل الله عليكم لو كنتم تشكرون واعلموا ان الذين أنكروا الحق وتشبثوا بالباطل واتبعوا أهوائهم أهون عندي من جناح بعوضة ميتة وخيالاتهم المنسوجة أوهن من بيت العنكبوت... وما قدهم لأتعرض لهم وبارئي بما يصدر منهم ويبرز عنهم يرتفع حجاب ما عليهم لأولي الألباب ولكن آه آه واحسرة للضعفاء الذين يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون الذين كل ما يسمعون من الحق ما يرتجف فرائصهم وما ينقلب أحوالهم وما يدرون بأي منقلب ينقلبون وما يتفكرون على ما بني أمر دينهم وما يدور عليه مذهبهم وغافلون انهم الى الله راجعون وعن حكمه العظيم مسئولون ولا يقبل منهم عدل ولا شفاعة ولا يؤذن لهم فيعتذرون آه ثم آه من عظمة أمر الله وغفلة الناس وسكرهم يا قوم فو الذي أقام العرش على الماء وخرق الهواء وعلق الأرجاء وأضاء الضياء ما تحملت هذا البلاء العظمى التي مطوية كل المصائب فيها آلا لأجلكم وترحماً عليكم والا بفضل ربي أنا عارفة بمواقع حكم حكم ربي وبالغة بما يريدني وان كنت مقصراً لأدائه في كل المقامات فاعرفوا قدر هذه النعمة العظمى التي قد أقبلت إليكم ولا تعرضوا من حكم ربكم فان الحجة تامة عليكم والنعمة مرادفة بكم من كل جانب وبعد هذا ما أرى لكم غير إتيان العذاب بغتة وأنتم نائمون وان تكونوا في عذاب ولكن ما تشعرون أي عذاب أعظم من ان الله عز وجل قد استدر حكم وأنتم لا تشعرون ولا تعقلون فقد تم الحجة عليكم وقام المحجة عندكم وأنتم عنه معرضون فها أنا ذا يا قوم اسمعوا ندائي

الى قولها فقد تبين الحال بأحسن المقال لربي العلي المتعال في كتابه الكريم وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين فيظهر لطالب الحق ومحبس خلال الديار من كلام الله الملك الجبار معرفة قرية الظاهرة بطهارته عن كل الأغيار وتزيينه بحلية الأخيار.... فان الله لا يأمر بالسير مع من كان فيه بعضاً من الذر نقصاً فالناجي من تمسك بهذا العالم الرباني والنور الصمداني وسار معه في عوالم الغيبة وظهر له كنوز المخفية من تعليم هذا العالم الناظر بنور التوسم والهالك من تخلف عنه وتمسك بما عنده من العلوم التي لا يدري مبناها ولا يعرف مجريها مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وهذا الأكل يجري من عند الله عز وجل من شجرة طيبة أصلها ثابت وهذا الكلمة الإمام عليه السلام والفرع وبابه وحجابه العالم الرباني والنور السبحاني الذي قلبه معلقة بالملأ الأعلى وليس له مقصد إلا وجه ربه العلي فقد اختصر في هذا المقام وصف هذا العالم المفضال الذي بفقدانه ينهدم بنيان الحكمة وبكونه قد قام علائم الإمامة والولاية التي قد كان لله ولم يكن معه شريكا فقد كتب سيدي وسندي وكهفي ومعتمدي أعلى الله مقامه في وصف هذا النور المتألق والضياء المشرق وقد كتبت هذه الفقيرة في ورقة فواجب على طالب الحق في هذا اليوم العظمى النظرة فيه واعلموا يا معشر الشيعة مذهبي وما اليه مهربي فها أنا ذا قد أخبركم بما اختار سببا لوقوع البلايا العظمى علي وتحملي وتجاوزي عنها وهواني بعد الذي جاهدت في سبيل ربي وأعرضت عن كل ما سواه فقد أسبقني ربي بالعناية وأخرجني بفضله من ظلمات الغواية له الشكر شكراً شكر الخلائق طراً على هذه النعمة الجليلة التي لا يتصور في الإمكان أعلى منه فقد كنت مطروحة في زاوية من بيتي مشغولة بنفسي مرهونة بعملي وقد قام القوم بلا سبب وداعية باشتعال نائرة الفساد المستجنة في الرماد ودخلوا بيتي ونهبوا بعضاً من أموالي وجروا أخواتي

المؤمنات الصادقات الى طرف السوق مكشفات الوجوه وزلزلوا أركان أطفال الصغير وأجروا دمع الصالحين فقد حبسوني برهة من الأيام وكل من يسأل منهم ما سبب هذه الغوغاء والتعرض للنساء يقولون بعضاً من الأقاويل الباطلة وينسجون خيالاتهم العاطلة وينسبون الي فبعزة ربي انفطرت السماء وانشقت الارض وتزلزل الجبال بعثت إليهم... الخ. (الرسالة طويلة لذلك نكتفي بهذا القدر).[1]

وفيما يلي قسم من رسالة لها في جواب على اعتراضات الملا جواد قزويني، كتبتها في سنة 1261هـ في كربلاء:-

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لم يجعل للخلق على معرفة نفسه سبيلا وعلا بعلّو ذاتيته عن وصف أهل الإنشاء لأنه كان علياً كبيراً والصلوة والسلام على الحجاب المتلألأ الذي خلقه الله لنفسه وطهره عن دلالة غيره وأرسله الى غيره وجعله سراجاً منيرا وعلى ذوي القربى الذين قربهم الله الى نفسه وقرن طاعتهم بطاعته ومعصيتهم بمعصيته وعبر عن ولايتهم بألوهيته وجعلهم للخلق دالاً ودليلاً وعلى شيعتهم وأبوابهم المتمحصين في طاعتهم والسارعين الى ولايتهم والمقتفين بآثارهم والواقفين ببابهم عباد مكرمون الذين كانوا لأهل السموات نجماً مضيئاً وبدراً منيراً خصوصا على المقبل بكله إليهم المقطع عما سواهم والحامل لأمرهم سر الأسرار ونور الأنوار الذي قد كان في بحبوحة الجمال خلق القاف أي قاف القلب مكنوناً مخزوناً ولعنة الله على من نظر الى جلالته بغيره كما قال الحجة عجل الله فرجه في تفسيره فلا تيئسوا بالإشارة فان الكلمة مطهر عن الإشارة ونفيها

1 نفس المصدر السابق صفحة 167

وهو الله ربنا قد كان على كل شيء شهيدا وشراء بثمن بخس ونسى حظه فصار منكرا مسيئا ومذنبا غبيا[1]....

والتالي جزءً من رسالة لها كتبتها في سنة 1263هـ في الرد على اعتراضات حاجي محمد كريم خان كرماني على البابية الذي أصبح رئيسا لمذهب الشيخية بعد وفاة السيد كاظم الرشتي:-

بسم الله الرحمن الرحيم وهو العلي العظيم الحمد لله الذي شهد لنفسه بنفسه ان لا اله إلا هو وتنزه عن مجانسة ان لا اله إلا هو وتعزز عن مقارنة آثاره بوصفه ولمسه ان لا اله إلا هو وتكبر عن مماثلة أمثاله بكينونة ذاته ولبسه ان لا اله إلا هو ظاهراً بجلال كينونية وغائبا بلطيف اينونيته متجلياً بكمال كيفوفيته وباطنا بسر بينونينه أنشأ المخترعات لا من مثال قبلها وأوجد المبتدعات لا من مادة فوقها وأحدث الموجودات من غير شيء امدّها وأقضى المصنوعات من دون خلق اعدّها (الى قوله...)

أما بعد فيقول الساكن في الظل الظليل والفائز من عفو ربه المقبل الشارب من رشحات السيد النبيل باب الله المقدم القتيل بن الكربلائي تراب أقدام المؤمنين السابقين والتابعين اللاحقين من المجيبين لدعوة الداعي الفصيح والملبين لنداء المنادي من حول الضريح اني قد كنت بعد وفات السيد القمقام وغيبة ظاهرية الإمام سيد الشيعة وإحدى السبعة من أصحاب الكهف والرقيم في باطن الباطن او تأويل كهف الأنام وابى الأيتام أيتام آل محمد(ص) المأمون من الزوال والمؤتمن من الخلل القرية للسير الى القرى المباركة في التأويل والباطن والقرية المباركة في أبطن البواطن المنزهة عن مقارنة أبناء الجنس والمقدس عن تشاكل أفراد الأنس مولانا ومولى الأفاخر والأعاظم ولا شرف الأديان خير ناظم

1 نفس المصدر السابق صفحة 171، وهي رسالة طويلة تكملتها باللغة الفارسية.

السيد كاظم الرشتي أنار الله برهانه وأعلى مقامه على الارض المقدسة ذات القبة الحمراء ومدفن سيد الشهداء صلى الله عليه ما دام جده أشرف الأنبياء وأبيه زين الأصفياء ما ادري الى أين الى الجبرية أم الى القدرية او البالاسرية المفوضة الدهرية الى ان مضت من الزمان برهة ومن الدهر هنيئة بقدر أربعة أشهر وأيام قليلة نادى مناد من السماء على اسم قائم من بياض الفارس ارض ميمونة معدن الاطياب ومهوى الأفئدة والألباب موطن فاتح الأبواب ومسقط رأس أشرف الأصحاب سلمان المحمدي صلى الله عليه وكفى لهذه الارض الطيبة فخرا قول رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان الحق في الثريا لناولته أيدي رجال من الفارس نقلته بالمعنى وقول الإمام عليه السلام في ولادة جده (ص) كشف الغطاء من عين آمنة سلام الله عليها حتى رأت قصور الشام وبياض الفارس الخ وجاء بكتاب جديد وقلب كأنه زبر حديد وصحيفة مكنونة ورسائل مشحونة من ام المطالب واصل المئآرب ما سمعت إذن ولا رأت عين وطالعت منها أوراقا وتصحفت أرقاما طار لبي وتحير قلبي من بيان تلك المقامات العالية والمراتب السامية ظهر عندي ظهوراً كأنه أتاني بكل معجزة من معاجز الأنبياء فالتزمت بالقبول والإذعان والإقرار... قال الخان بعد خطبته وإظهار نكبته يقول العبد الأثيم والفاني الرميم كريم بن إبراهيم الخ أقول قد خاصم نفسه في أول كلامه حيث وصف نفسه بالرميم الذي هو الميت المشرف على الانعدام والاضمحلال بعد الأُيم الهاماً من الله العلي العظيم لان الاسماء تنزل من السماء على ما نص عليه الأوصياء من خاتم الأنبياء أما الأصيم فهو البالغ في الأثم بحيث صار مصداقاً لقوله تعالى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئة ولذا ما وصف سبحانه بهذا الوصف الا الذي غلبت نقطة سوداه على نقطة بيضاه وانقلب عقله بالشيطنة والنكراء وتحمل لجميع ظهورات المنكر والفحشاء مثل الفرعون وأمثاله قال سبحانه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين انظر ايها العاقل

في معاني تلك الكلمات المباركات ومطابقتها للمقصود وقال الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب بها الا كل معتد أثيم وقال تعالى كل كفار أثيم وقال سبحانه ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاغتلوه الى سواء الجحيم صلوه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم الطعام في التأويل هو العلم كما قال عليه السلام فلينظر الانسان الى طعامه أي الى علمه عمن يأخذ فان شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين طعام الأثيم.... هذا وصفه بالأثيم فبهذا المعنى الرميم ليس المراد منه ما يفهمه العوام كما هو ظاهر قوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم وليس ايضا مراده مراعاة السجع والوزن فقط لان مقامه أجل من هذا بل المراد منه التأويل وخلاف الظاهر فالمقصود من هذا الوصف أما الجهل او سلب الإيمان والكفر كما في القرآن والأحاديث وكلمات العارفين كقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينه أي ليجهل الجاهل عن بصيرة وليعلم العالم عن بصيرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أفمن كان ميتا أي جاهلاً وجعلنا له نورا أي علما يمشي بين الناس كمن مثله في الظلمات من الجهات ليس بخارج منها ولا أظن أحداً بشك فيما ذكر وأيضاً الموت له اطلاقان على الظاهر موت هو الخير والنور وهو ملاقات الرب سبحانه واندكاك جبل الآنية وقطع العلائق وكشف الحقايق فالحيوة المقابل لهذا المعنى هو للادبار والبعد من الجبار والتحجب عن تجلياته والإشارة الى هذا المعنى من الموت في قوله تعالى غير مرة فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبهذا المعنى من الحيوة في التأويل ولتجدنهم احرس الناس على حيوة ولذا اتى سبحانه بالتنكير وموت هو الظلمة والإعراض عن المبدء الحق كما أشرنا اليه والجهل والإنكار وكل ما يحصل من الادبار فالرميم لا يطلق الا في هذا المعنى من الموت... فالرميم لا يستعمل الا في هذا المعنى الأخير كما قال تعالى في مقام إظهار نكال والبطش في عاد اذا ارسلنا عليهم

الريح العظيم ما نذر من شيء انت عليه الا جعلته كالرميم فالله سبحانه اجرى على لسان الخان لما قلنا ان الاسماء تنزل والاسم صفة الشيء ربما يقال لا بأس في استعمال هذه وأمثالها في مقام الانكسار والانفعال من المبالغة في أثم منكر بقرينة قوله أثيم والأمر فيه سهل قال الخان ان الباعث على تحرير هذه الرقوم المسطرات الى قوله ورفع غائلة قوم من المبتدعين الذين ظهروا في إحدى وستين من الثالثة عشر من المأتين من هجرة خاتم النبيين(ص) الخ أقول اعلم ان السيد الباب صلى الله عليه لما ان شيد أركان الإيمان واتقنها بواضحات البيان بحيث ما بقى لاحد عذر من العوام والخواص وسائر أفراد الانسان (الى قوله) فقد وصف السيد الباب صلى الله عليه على ما القى عليه من إمامة لا يسبق له بالقول وهو بأمره يعمل هذا الرسل بأوصاف المؤمن الذي ذكرها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لهمام رواء الكلبي وجمعها بكلمات مختصرة يفهمها كل احد من العوام والخواص قال (ص 4) صفات الباب الأعظم ان يكون من أشرف الأنساب وسلالة الانجاب حتى لا يقول احد لو لم يكن من هذا النسب لكان أحسن وأولى وان لا يكون في أعضائه زيادة لان الزيادة نقص ولا نقصاً مثل العمى ولا العرج والاصل ولا الكوسج وغيرها من الأوصاف الذميمة والصفات اللدنية لأنها من دناءة الفطرة وتغيير الخلقة وان لا يكون قصيراً ولا طويلاً مفرطاً ولا قبيح ولا يعرف بصدور المعصية من الصغيرة والكبيرة وان يكون أحسن الناس خلقاً كما هو أحسنهم خلقا (... الى قوله بعد شرح وتفصيل) وما أظن ان جناب الخان ينكر كون مشهد الشيعة يوم الجمع ومحل جمع الجوامع ومحل ظهور العلامات وبروز الآيات فالفرقان النازل في يوم الجمع هو الفرقان النازل لامر الشيعة والركن الرابع واطلاقه على القرآن المعروف لاشتماله عليه في التأويل والباطن وعن قوله تعالى نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وانزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (الخ) ان قلت ان المراد من الفرقان هو الكتاب فقد

افتريت بربك وأنزلت كلامه عن الفصاحة وابلاغه للقول بالتكرار من غير وجه وان قلت انه غيره فقد ثبت المطلوب وأما قول الصادق(ع) الكتاب هو الجمل منه والفرقان هو المفصل بالنسبة الى ذلك الوقت حيث ما كان الفرقان ظاهراً وبالنسبة الى حال السائل حيث ما كان عارفاً لان القرآن باعتبار الأشخاص ذو حالات ثلث الاول انه متشابه كل كما قال تعالى الله ينزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم الخ هذا بالنسبة الى الذين أنكروا الولاية وأعرضوا عن الآخرة كما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله الحق وكلامه الصدق واذا قرئت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا فلا يفهمون منه شيئا لا ظاهرا ولا باطنا الثانية بعضه متشابه وبعضه مفصلة محكم كما قال تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات وهذا بالنسبة الى الذين خمدوا وانجمدوا واقتصروا على الظاهر والقشر كما أشار إليهم سبحانه في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً كلما أضاءت ما حولهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا الخ الثالثة محكم كله ومفصل جله كما قال سبحانه تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربيا لقوم يعلمون يعني جميع آياته لشأن إفادة الجمع المضاف العموم وقوله تعالى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير هذا بالنسبة الى الأشخاص الذين رقوا الاحجاب وخرقوا الأسباب ووصلوا بمقام فصل الخطاب وميزوا البيت من الباب ودخلوا البيوت من أبوابها كما قال تعالى ليس البر ان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وآتوا البيوت من أبوابها أصحاب التوسم وأرباب التفرس مواقع النور وبيت الظهور أفمن جعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها فقول الإمام 4 بالنسبة الى الحالة الثانية لا الأولى ولا الثالثة لان في الحالة الأولى كله مجمل وفي الحالة الثالثة كله محكم مفصل فلا معنى للتفريق فان كلامنا مع الذين يدعون مقام العارفين الكاملين والبالغين الواصلين

ويحسبون أنفسهم من أصحاب الرتبة الثالثة فيلزم ما قلنا وورد ما ذكرنا من التكرار والعبث والزيادة ونقصان في الفصاحة والبلاغة الا ان يقول اني عوام قشري فلا كلام معه وغفل عن قوله 4 كما في آخر إرشاد المفيد معناه ان أصعب ما يكون على الناس او العلماء في تعليم القرآن الجديد لانه يخالف فيه التأليف هو والترديد منى وعن قوله 4 كما في الينبوع والبصائر والاكمال وكتاب غيبة البحار وغيبة الشيخ الباب(ص) وغيرهما يأتي القائم بأمر جديد وكتاب جديد وسنة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد إطلاق القائم على غير مولانا الإمام محمد بن الحسن(ع) كثير في الأخبار منها يقوم القائم بخراسان وقائم منا بجيلان وفي قوله (ع) على العرب شديد يعني لأهل العربية والقواعد المعروفة إيماء بان ذلك الكتاب على خلاف ما عندهم من التأليف وهو مؤيدا للحديث المقدم[1]....

وفي رسالة لها الى البابيين ضعاف الايمان بعد مهاجرتها من كربلاء، قالت:-

بسم الله الرحمن الرحيم بسمه العلي الأعلى أحمدك يا من لك الجود والبهاء والعظمة والثناء بقدرتك تفعل ما تشاء بلا شاء وبابداعك يظهر شرّ الإنشاء فقد فتحت باباً من عالم العماء وظهرت كينونتك الأعلى بلا كيفوفة قبلها مستدلا بنفسها على نفسها لينجذب الحقائق الى ساحة عزك الأعلى ويظهر رمزك المعمى والصلوة الذي لا غاية لها على الذي اصطفيته في يوم الإنشاء حين لم يك شيئاً مذكوراً والسلام على الطائر المرفرف في عالم العماء والبارق بنوره آفاق السماء الذي ظهر به آيات السماء في جوّ الهواء وعلى بروقاته اللامعة وقوائمه الساطعة ورموزاته الكاشفة وجواهره المتلألئة من عالم البهاء وعلى الدلالة العامة والكلمة التامة الورقة المباركة من الشجرة البيضاء والتحية

1 نفس المصدر السابق صفحة 181

والكرامة المنجذبة الى دار المقامة التي لا يمس بأهلها لغوب الإشارات ولا يصيبهم تعوب الدلالات على الداخلين في لجة الاحدية والمطهرين دار الله عن إشارات النفسانية الورقات النازلة من شجرة الثناء والمحترقين بنار البيضاء والمتلألئين بنور الصفراء والمنغمسين في طمطام الحمراء والمترفرفين في كثيب الخضراء والمتقلبين بين يدي ربهم الأعلى الخاشعين الذين لا تسمع منهم حرمة ولا همساً ولعنة الله على الذين غيروا فطرة الله وبدلوا نعمته واعرضوا عن الآية البديعة المتجلية المترفرفة في عالم العماء المعلقة في جو الهواء متشهقة منادية بان الملك لله العلي الأعلى يا أيها العلاء لا تصبغوا هذه الآية البديعة بدماء أنفسكم فانها آية الله الأعلى ولا تطرحوها في مقام الذي لا يليق بشأنها من قوابل الإمكانية ومقامات الظلمانية ولا تهلكوها بالإشارات النفسانية ولا تحبسوها في بيوت الطبعانية بل انظروا اليها بعينها فانها منزهة عن الاقتران وطلعتها عارية عن الإمكان وليطلع لو شاء من حقايقكم في كل آن بسر التبيان ولا تقفلوا عن ندائها بالعيان ولا تحرموا أنفسكم من فيضها فانها لا تعطيل لها في كل مكان ويستدل بنفسها الى البيان اياكم يا ملأ الأنوار فان الشمس والقمر بحسبان ويدور الإمكان ويخرج ما في الاضغان بسرّ الأكوان يا أهل البيان وأولي الأفئدة والإيقان ويا أهل اللباب المتميز بين الماء والتراب الذين لشأنهم تسمية الانسان اسمعوا نداء هذه الاقلة مما يحصى من أفق البيان وقوموا وانتبهوا من نوم الغفلة فاني أرى كلكم سكران وغافلون عن عظمة حكم الله العلي السبحان وسابحون في طمطام الخسران وناظرون الى وجه قبيحة كدرة ومعرضون عن خيرات الحسان وشاربون من ماء متعفنة في دار النيران اسمعوا ندائي وتذكروا وتفكروا واتبعوا احسن ما انزل إليكم فان هذا والله هو الميزان الذي به يمتاز الانسان عن غير الانسان كما نبه الرب السبحان والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله فبشر عبادي الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه فقد سمعت بعضاً من الأقاويل من الذين يسمعون أنفسهم من

المؤمنين بآيات البدع والمصدقين لحكم الله الجليل ولقد أعجبني أمرهم وحيرتني ما عليه حكمهم بلى هذه سنة الله التي قد خلت من قبل ويجري من بعد ولن تجد لسنة الله تبديلا بان باب الامتحان مفتوح للمدعين وحجاب الافتتان مرفوع للمسلمين آلم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فقد أرى بفضل ربي ان الذين دخلوا أنفسهم بتسميتهم من المصدقين بأمر رب العالمين قد خرجوا عن الدين فقد اسمع من كل منهم في مقامهم ندائهم بالإنكار وضجيج صوتهم بالفرار الا ان الحكم لله الواحد القهار فبعض منهم صائحون بان الآية التي يدعو جناب نور الأنوار ذكر الله العلي الأعلى تعالى ذكره قد كان عندنا مشهودا وموجودا وبعض منهم يخافون عن غير ربهم ويبخلون من نفوسهم ويجاهدون في سبيل ربهم على منهج الذي أمرهم بل متشبثون بهواء أنفسهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً وبعض منهم يغتابون إخوانهم ويعرضون منهم ويفترون عليهم وهكذا ان الانسان أشرف من تعداد شئونات الناقصة وبيان آراء الفاسدة ربي شاهد على اني مستغن عنهم بفضل ربي وشأني أرفع عن التعرض بهم وهذا الاعتناء نشأ من عناية الله للضعفاء والا هم ما يسمعون سواء عليهم ادعوتموهم أم أنتم صامتون فقد تمسكوا بصور الناشئة في عالم الخيال وسموها آيات الجلال بعد الذي نزل أمر الله وبرز حكم الله وتجلى آيته البديعة من آفاق العماء وينادي الخلق الى بابه الرجعى...[1]

1 نفس المصدر السابق صفحة 190

الملحق الثالث

رسالة محمد مصطفى البغدادي

تعتبر هذه الرسالة التي كتبت في بداية القرن العشرين، بطلب من العلامة البهائي الكبير ميرزا أبو الفضائل، من الوثائق النادرة التي تحكي عن بداية فترة ظهور الديانة البابية في إيران في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي 1844م، وبداية اعتناق الطاهرة (قرّة العين) لها، وكاتب هذه الرسالة هو السيد محمد مصطفى البغدادي ابن الشيخ محمد شبل (أحد كبار شيوخ الدين الإسلامي في بغداد)، وهو الذي سكنت الطاهرة وصحبها في بيته في بغداد لأكثر من شهرين تقريبا في أول وصولها من كربلاء. ولقد اعتنق السيد محمد مصطفى ووالده الديانة البابية منذ بداية ظهورها، ثم اعتنق البهائية بعد ذلك، وأصبح فيما بعد من كبار شخصياتها. وهو يوثق في رسالته هنا بداية حصول تلك الأحداث، باعتباره شاهد عيان. كان يافعا صغير السن عندما صاحب الطاهرة مع والده في سفرها الذي استمر عدة شهور من بغداد إلى قزوين. وتكمن أهمية هذه الرسالة، أن الكاتب لم يسمعها من

شخص آخر، بل كان مع والده من المشاركين في صنع أحداثها. لذلك يمكن اعتبارها وثيقة مهمة تكشف مجريات وحقائق ما حدث في تلك الفترة من التاريخ.

هو الله تعالى شأنه الحمد لله الذي فضّل المجاهدين على القاعدين وهداهم سبيله الأقوم المبين وأمرهم في التوراة والإنجيل بأن يسهروا حتى يفوزوا بلقاء الرب الجليل آتيا على سحاب العلم والعرفان بقوات الاستقامة والمجد الأثيل:

(أما بعد) فلا يخفى على الأخوان المحترمين إن أعلم العلماء[1] الأفاضل أمرني أن أحرر ترجمة شخصي ونسبي وكيفية تصديقي بظهور البهاء جل شأنه والإبانة على الوقائع التي شهدناها ورأيناها من أول ظهور المبشر الأعلى إلى يومنا هذا على سبيل الإجمال فنقول وعلى الله الاتكال..

إن اسم العبد محمد مصطفى بن الشيخ محمد شبل بن السيّد درويش بن السيد شبل بن السيد شريف الملقب بالكاظمي الكوفي الأصل وان والدي الشيخ محمد المذكور قطن بغداد في سنة ثلاث وأربعين بعد المائتين والألف هجرية وكان أحد تلاميذ حضرة السيّد كاظم الرشتي عليه بهاء الله وصار وكيله في بغداد يعلّم التعاليم في الحكمة الإلهية ويحل المسائل المتعلقة بالبشارات التي ذكرها حضرة (الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي) عن ظهور (المبشر الأعلى) وظهور (الروح في الملكوت الأبهى) إلى أن صعد حضرة السيد إلى دار البقاء سنة ألف ومائتين وثمان وخمسين الهجرية[2] فحزن جميع الأحباء في بغداد وضواحيها على فراق السيد المرحوم ولكنهم لبثوا مترقبين ظهور الموعود

1 هو العلاّمة المغفور له جناب ميرزا أبو الفضائل.
2 في الرسالة التسع عشرية أن الصعود وقع في سنة 1259هـ، لا في 1258هـ فلينظر.

ساهرين لذلك حتى يفوزوا بشرف لقائه. وبينما هم كذلك وإذا بحضرة الرسول (ملا علي البسطامي) قد حضر في سنة ألف ومائتين وستين الهجرية إلى الكوفة ونشر فيها الكتب والصحائف والألواح بين العلماء وكان من أجل ذلك أن اضطرب فريق العلماء في نجف وكربلاء وقاموا وقعدوا وصاحوا وناحوا وكذبوا وجحدوا إلى أن وافقتهم الحكومة ملاحظة لمقتضى السياسة خوفا من حدوث فتنة وسجنوا الرسول وأخذوا منه الكتب والألواح وأرسلوه إلى مركز الولاية (بغداد) وكان الوالي وقتئذ نجيب باشا الذي فتح كربلاء سنة ألف ومائتين وسبع وخمسين إسلامية، ولما حضر الرسول في بغداد سجنه الوالي ووضع الكتب والرسائل في المجلس وكان والدي الشيخ محمد يزور الرسول في السجن كل يوم ويسمع منه كلام الله إلى مدة ثلاثة شهور وهو يبلّغ ما يسمعه للمقبلين[1] وفي هذه المدة الوجيزة آمن كثير من الناس من جملتهم جناب الشيخ بشير النجفي وهو من المجتهدين في العلم وعمره

1 من عادة رجال أهل بغداد أيام زمان قضاء أوقات فراغهم في الجلوس في المقاهي يوميا على فترتين صباحا قبل الذهاب إلى العمل ومساء بعد العودة منه، باعتبارها مكان لقاء وتواعد وقضاء الوقت، وكانت المقاهي منتشرة على رؤوس الحارات والشوارع وهي مكان تجمع أهل الحارة دائما. وبما أن الحكومة العثمانية كلفت الشيخ محمد شبل بالتحقق من قضية الملا علي البسطامي مبعوث الباب إلى علماء الدين في كربلاء والنجف باعتباره من أكبر شيوخ الدين في المدينة، لذلك كان يذهب لملاقاة السجين مرتين كل يوم وبعد كل زيارة يعود للجلوس في المقهى للتسامر والمحادثة مع أقرانه من شيوخ وسادة وعلماء دين. وبما أن موضوع الملا علي البسطامي كان موضوعاً جديداً وخطيراً في تلك الأيام والناس في شدة الشوق لمعرفة حقيقة الموضوع لذلك كان الرجل يسرد على الجالسين في المقهى كل ما يدور بينه وبين السجين من حديث ومناقشة. في النهاية اكتشف الشيخ وجلاسه أنهم اقتنعوا بالفكرة الجديدة، لذلك هربوا من بغداد عندما طلبتهم الحكومة لإصدار الحكم النهائي على السجين ولم يرتضوا المشاركة في إصدار الحكم على معلمهم السجين. (المترجم).

خمس وسبعون سنة. والشيخ سلطان الكربلائي وجماعة معه في كربلاء والسيد محمد جعفر والسيد حسن جعفر والسيد علي بشر وجماعة معه في قصبة الكاظمية والشيخ محمد شبل والسيد محسن الكاظمي والشيخ صالح الكريماوي وجماعة معهم من أهل القرى مثل الشيخ عباس وملا محمود وعبد الهادي ومهدي وكثير معهم فلما رأت الحكومة أن الأمر يرتفع يوما فيوما أمر الوالي المذكور نجيب باشا العلماء بالحضور إلى بغداد من كل الجهات فحضر من نجف الشيخ نجف ابن الشيخ جعفر والشيخ موسى. ومن كربلاء السيد إبراهيم القزويني. ومن الكاظمية الشيخ محمد حسن يس والشيخ حسن أسد الله. ومن بغداد السيد محمد الآلوسي والسيد علي نقيب الأشراف ومحمد أمين الواعظ والشيخ محمد سعيد المفتي للشافعية، وغيرهم.. وطلبوا حضور الوالد الشيخ محمد،[1] فأبى وخرج من بغداد متنكراً لأنه علم بأن الوالي يريد أن يعمل استشهادا في ردّ أمر مالك يوم المعاد وأحضروا الرسول في ذلك المجلس المهول وسألوه عن صاحب الأمر فأجاب (بأن الروح الحق المنتظر قد ظهر وانه هو الموعود في صحف الله وكتبه) وتلا عليهم بعض الآيات والمناجاة ودعاهم إلى الإيمان. فعظم عليهم الأمر وقاموا بالإنكار واعترضوا بالاستكبار وأجمعوا على التكفير وحكموا على الرسول بالإعدام والتدمير وانفض المجلس المشئوم ورفع الوالي صورة ما قرروا إلى الآستانة وصدر الأمر من الدولة بإرسال الرسول مكبلاً مع الكتب إلى الآستانة فبعد أن أكمل الرسول ستة أشهر في سجن بغداد وُجّه إلى العاصمة (الأستانة) مخفوراً عن طريق الموصل واشتهر الأمر في الموصل. ولما بارح الموصل انقطع خبره ولما سكنت فتنة العلماء رجع الوالد من كربلاء إلى بغداد وبقي يبشر الناس بالحكمة بظهور المبشر الأعلى مدة سنة واحدة ثم توجه إلى إيران ومعه

1 كان هذا بعد انقضاء حوالي ثلاثة شهور من استمرار الزيارات بين الشيخ محمد شبل والسجين الملا علي البسطامي.

جماعة من أهل الإيمان قاصدين زيارة الأعلى، ولكنهم بعدما وصلوا أصفهان لم يفوزوا بلقائه لأن دولة إيران أرسلت حضرته إلى (ماكو) فلما علموا بذلك توجه الوالد مع البعض منهم إلى مشهد خراسان ورجع الآخرون إلى بغداد وأقام الوالد مع رفقائه في المشهد المذكور، وكان هناك حضرة (ميرزا محمد علي) المازندراني الملقب (بالقدّوس) وهم مبتهجون مسرورون بذكر الله وظهور ملكوته مدة سبعة أشهر ثم رجعوا إلى بغداد وبقي حضرة القدوس في إيران يبلّغ أمر الله وجناب الوالد يبلّغ الأمر في بغداد وضواحيها إلى سنة ثلاث وستين بعد المائتين والألف الإسلامية. فحضرت (السيدة قرة العين) إلى الكوفة وكربلاء وكانت طلقة اللسان عذبة البيان ثابتة الجنان ذات فضل وكمال متذكرة بذكر الله منادية بين الخاص والعام "قد ظهر الموعود ونزل الرب الودود" وصدعت بأمر الرب العلي الأعلى وناظرت العلماء والعرفاء وهي تبين وتبرهن وتقرأ عليهم من آيات حضرة الأعلى (كتاب شرح الكوثر) إلى أن اضطرت العلماء إلى الشكوى لدى الحكومة فأرسلت الحكومة السيدة إلى بغداد ونزلت في بيت والدي الشيخ محمد وكان معها بعض العلماء المؤمنين من جملتهم جناب الملا إبراهيم المحلاتي وجناب الشيخ صالح الكريمي وجناب السيد احمد اليزدي أبى السيد حسين كاتب الوحي وجناب السيد محمد الكلبايكاني وجناب الشيخ سلطان الكربلائي. وبعض القانتات وهن السيدة والدة باب الباب وشقيقته الموجودة الآن في بشروئيه من خراسان والقانتة ضلع ميرزا هادي النهري ووالدته واجتمع الناس وسألوا مسائل متفرقة من الكتاب وسمعوا من حضرة الطاهرة قرة العين الجواب. إلى أن صدر الأمر من الحكومة أن تكون حضرة الطاهرة في بيت المفتي السيد محمد الآلوسي، فحضرت إلى بيته وناظرته وأفحمته بالدليل والبرهان وأظهر الإذعان واجتمع الناس في بيت الوالد الشيخ محمد شبل وأحيانا تشرّف الطاهرة البيت ومعها اثنتان من القانتات ومعهن ناظر من قبل المفتي ويجتمع الخاص والعام من الأحباء الكرام وأظهرت سر الظهور وأعلنت

نسخ التقليد المهجور وبينت تجديد الشريعة الإلهية بشريعة البيان وكانت في مجلس الأحباء مكشوفة الوجه ولكن في مجلس الأغيار تكلمهم من خلف حجاب وقد تزلزل بعض الأحباء لما شهدوا نسخ ما كانوا عليه وأكثرهم استقاموا واعتقدوا بأن الله يفعل ما يشاء والبعض من قصبة الكاظمية تزلزلوا وهم السيد محمد جعفر والسيد حسن جعفر والسيد علي بشر والسيد طه وكاظم الصوفي وقالوا أنهم مؤمنون بحضرة الأعلى الذي هو ذكر الله وان حضرته لم ينسخ الشرع العتيق ولم يجدد أمراً بل زاد في الأحكام وأكد في الصلاة والصيام وحرَّم الدخان وان السيدة قرة العين تجاوزت الحد ونسخت الشريعة التي ورثناها عن الأب والجد بدون أمر من حضرة الأعلى وكتب أعلمهم السيد علي بشر عريضة قدَّمها إلى (ماكو) وتشرفت بحضور العلي الأعلى وكان حاملها رجلا يدعى (نوروز علي) كان خادماً للسيد كاظم الرشتي، فنزل لوح بليغ في جواب تلك العريضة، ورجع به نوروز علي إلى قصبة الكاظمية وسلّمه للسيد علي بشر ورفقائه وتوجه من بغداد الوالد والأحباء الثابتون واجتمعوا في مجلس واحد يضم ما ينوف عن السبعين شخصاً وقرأوا اللوح المبارك علانية وفيه بيانات مباركة وآيات واضحة إلى أن وصل البيان إلى قوله تعالى مخاطباً للسائل بشر المتزلزل (وأما ما سألت عن المرأة التي زكت نفسها وآثرت فيها الكلمة التي انقادت الأمور لها فإنها امرأة صدّيقة عالمة عاملة طاهرة. ولا ترد الطاهرة في حكمها لأنها أدرى بمواقع الأمر من غيرها وليس لك إلا إتباعها لأنك لن تقدر أن تطلع بحقيقة شأنها) إلى آخر اللوح. فلما سمعه الثابتون فرحوا وحمدوا الله على ما هداهم والمتزلزلون ارتدوا على أعقابهم وكفروا بما آمنوا لأن تجديد الحدود شق عليهم. والحاصل أنه لما انتشر الأمر في بغداد كتبوا إلى الآستانة عن تفصيل حال حضرة الطاهرة وإنها تطلب المباهلة مع علماء العراق، فصدرت الإرادة من الدولة بتوجيهها إلى إيران مع من يريد أن يتبعها من العرب والعجم وأمرت الدولة بأن (قرة العين) عليها أن تعمل المباهلة مع

علماء إيران في بلادهم وعينت الحكومة محمد آقا ياور نجيب باشا رفيقا يكون بمعية حضرتها إلى حدود إيران (قصبة خانقين) ولما وصلنا الحدود استأذن الياور في الرجوع وقد انجذب إلى المحبة والتصديق من حسن البيان واستقامة الطاهرة بإظهار الدليل والبرهان ورجع باكياً خاضعاً متأسفاً على فراق الأحباء. ان حضرة الطاهرة توجهت من خانقين إلى (كرمنشاه) ومعها من العلماء المذكورين الشيخ صالح الكريمي والشيخ محمد شبل والشيخ سلطان الكربلائي. ومن السادات السيد احمد اليزدي والسيد محمد البايكاني والسيد محسن الكاظمي وملا إبراهيم المحلاتي ومعهم نحو ثلاثين رجلا من الأحباء الأعراب حتى وصلنا إلى قصبة (كرند) فبقيت حضرتها ثلاثة أيام في تلك القصبة تبلغ الأمر علانية لجميع الأهالي وقد حضر الخوانين الرؤساء وأظهروا التصديق والتسليم وعملوا الضيافات وذبحوا الأغنام وأظهروا الخضوع والاحترام وعرضوا على السيدة أن يكونوا في خدمتها وتحت أمرها وأنهم اثنا عشر ألفاً ينتظرون الأمر فباركتهم وأمرتهم بالرجوع وتوجهت إلى كرمنشاه ولما وصلتها أمرت بالنزول في ثلاث حارات (إحداها) لحضرتها والقانتات وبعض العلماء (والثانية) لعموم الأحباء (والثالثة) للتبليغ ولكافة الناس وصار الحال على حسب ما أمرت وفي اليوم الثاني فتحوا الحارة العامة للناس وحضر أكابر البلاد وأمراؤهم وخوانينهم وتجّارهم حتى ضاقت الدار مع اتساعها وقام الشيخ صالح الكريمي يتلو عليهم (شرح الكوثر) وعن يمينه الشيخ محمد شبل وملا إبراهيم المحلاتي يُترجمان للناس العربية إلى الفارسية وكذلك الشيخ سلطان يترجم أيضا والعلماء يجادلون ويسمعون الجواب وقد حضرت نساء الأمراء من جملتهنَّ حرم الأمير والي كرمنشاه وكلهن تشرفن بحضور الطاهرة وهي تقرأ عليهن آيات الحق وتبين أسرار الآيات ثم في الليل يحضر بعض العلماء والخوانين ويقابلون حضرتها من وراء الحجاب ويستمعون بيانها ويخرجون متحيرين وبعضهم منجذبين إلى أن قابل الوالي

(الشهير بالأمير) حضرتها وتكلمت وأثبتت الأمر فأظهر التصديق وكذلك ضلعه وجميع أهل بيته أظهروا الإيمان والمحبة وكان في كل يوم يكثر الازدحام إلى أن تضيق الحارات بالناس خصوصاً ما بين وقت العصر إلى الساعة الثالثة من انتصاف الليل ونحن "معشر أحباء العرب جميعاً" واقفون للخدمة وأحباء العجم قائمون بالتقرير والترجمة وفي كل يوم ترد المسائل المتعددة من العلماء وعامة الناس (وحضرة الطاهرة) تحرر الأجوبة بالسرعة إلى أن قامت العلماء على مجتهدهم العالم الشهير آقا عبد الله وطلبوا منه إجابة الطاهرة وإفحامها وردعها فتكلم آقا عبد الله المذكور مع الوالي الأمير وطالبه بإخراجها ومن معها من البلدة فوعده الأمير بمخابرتها وأخذ نتيجة أمرها. وطلب الأمير مقابلة حضرة الطاهرة، فتوجهت إلى قصره وفي خدمتها حضرة ملا إبراهيم المحلاتي وجناب الشيخ سلطان الكربلائي وبعض القانتات ولما حضر المجلس حضرة الأمير عرض بحضور الطاهرة شكاية العلماء ومجتهدهم وأنهم يطلبون معرفة النتيجة من هذا التبليغ، فأجابت الطاهرة (بأن النتيجة هي البشارة بظهور القائم الموعود الرب الودود وان دليله آياته ووجوده إثباته) فقال الأمير: إن المجتهد يطلب غير هذا الدليل. قالت: نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، وأمرت الأمير بأن يحضر المجتهد المذكور والعلماء والأمراء في المحل الذي يعينه الأمير لتثبت له الأمر بالآيات والمباهلة في آخر البيان على هذا الشرط - وهو أن المبطل يموت في المجلس. فلما سمع الأمير ذلك حصل له السرور والعزم وأمر المجتهد أن يعين وقتاً للمباهلة، ولكن عندما بلغه أن الوالي يريد ذلك، اعتذر بأنه عليل وانه متى اتجه نحو الصحة حضر للمناظرة والمباهلة وفي أثر هذا الاعتذار والتعلل ذهب إلى البستان الكائن خارج البلدة واختفى فيه وكتب إلى قزوين يخبر الحاج ملا صالح والد حضرة الطاهرة. والحاج ملا تقي والحاج ملا علي البرقاني عميها بما عملت كريمته الطاهرة من إظهار أمر حضرة الأعلى وإنها طلبت المناظرة والمباهلة ونسخت الشريعة العتيقة الخ

والتمس منهم أن يرسلوا من أقربائهم رجالا مع كتاب إلى السرتيب في كرمنشاه (سفر علي خان القزويني) فبعد مدة خمسة عشر يوما أو أكثر حضر من قزوين أربعة رجال من أقرباء والد الطاهرة وعميها لأنهم في قزوين رؤساء وعلماء واتفق هؤلاء الرجال الأربعة مع سفر علي خان السرتيب وكتموا أمرهم عن الوالي، وفي اليوم الثاني من ورودهم قبل طلوع الشمس وجدنا العسكر محيطة بالحارات الثلاث وفي مقدمتهم السرتيب المذكور وضباط العسكر ودخلوا البيوت وهجموا على الأثاث والأمتعة وصاروا يخرجونها إلى الخارج وأحضروا المكاري ومعه نحو عشرين بغلا وتحجبت حضرة الطاهرة ونادت بينهم (قد ظهر الموعود يا أيها الغافلون قد ظهر الرب الودود وأنتم ميتون).

والحاصل أن الخبيث سفر علي خان قام وضرب الشيخ صالح الكريمي ثم قام (قائد المائة) وضرب الشيخ سلطان. وضربوا ملا إبراهيم المحلاتي وأخذوا جميع الأسباب وحملوها جبراً على البغال وتوجهوا بنا إلى خارج البلدة أما الأحباء الأعراب (وهم خمسة وعشرون أو عشرون رجلا) الذين كانوا في تلك الحارة فأغلقوا عليهم الحارة وضرب العسكر الحصار عليهم وما زالوا سائرين بنا حتى أبعدونا عن البلدة بنحو ساعتين، من بعد أن سلبوا من الأحباء النقود وقليلا من الأحجار الكريمة. فلما رجع العسكر ونصبت الخيام لم يبق بين الأحباء من الأعداء سوى الرجال الأربعة القزوينيين. ومنهم رجل عاقل محب للطاهرة ابن سبعين سنة لم يتجاسر بالتعدي على أحد من الأحباء لكن الثلاثة الذين معه تجاسروا كثيراً وضربوا الأحباء.

والحاصل أن حضرة الطاهرة كتبت إلى الأمير رسالة تخبره بتفصيل ما ورد عليها وعلى أحباء الله من السرتيب والعسكر وحبس المؤمنين الخمسة والعشرين أو ما ينوف عن هذا العدد في بيوتهم مع دوابهم وأرسلت الكتاب مع حضرة الشيخ سلطان

الكربلائي، ولما وصل الرسول المذكور إلى باب السراي منعه الحرس فلم يمتنع إلى أن دخل محل الحكومة وحضر لدى الأمير وسلّمه الكتاب، فلما قرأه تأسف كثيرا وأمر بتخلية سبيل الأحباء المحبوسين في البيوت مع العز والاحترام وأحضر السرتيب ووبخه وزجره على فعله واسترجع منه ما سلبه ولده وبعض الضباط من أموال المؤمنين من النقود والأحجار الكريمة وقدم حضرة الأمير الأسباب وجواب الكتاب مع الشيخ سلطان الكربلائي والمؤمنين الخمسة والعشرين وقدّم معهم بعض الهدايا أيضا من المعاميل السكرية وغيرها، ولما حضر الشيخ سلطان وجميع الأحباب معه وعرض عريضة الأمير بحضور الطاهرة وقد كتب يلتمس رجوعها مع الأحباء إلى البلدة لان جميع ما وقع من التعدي كان من العلماء والعسكرية بدون علم الوالي وتبين أن آقا عبد الله رئيس العلماء هو الذي عمل هذه الفتنة حتى يتخلص من مجلس المناظرة والمباهلة، كتبت حضرتها إلى الأمير كتابا بشرته فيه بالملكوت لأنه نصر أمر الله حسب الإمكان ومدة ما وقع في كرمنشاه كلها كانت أربعون يوما وثلاثة أيام بقيت فيها الخيام منصوبة على مسافة ساعتين، ولما جمع الله شمل المؤمنين الأعراب وفازوا بخدمة الطاهرة وكانوا يزيدون عن ثلاثين رجلا وقع الخوف في قلوب الثلاثة المعتدين الذين تجاسروا على أحباء الله لأنهم وجدوا أنفسهم بين الأحباء، فاعتذروا ووقعوا على التراب والتمسوا العفو والصفح بين يدي حضرة الطاهرة، فأشارت عليهم بالرجوع إلى قزوين، وفي تلك الليلة ركبوا خيولهم وفروا هاربين خائفين ومن سوء أعمالهم وجلين مضطربين. ثم أن حضرة الطاهرة وجميع الأحباء توجهوا إلى (همدان) ولما وصلنا إلى قرية (صحنه) طلبت الأهالي التشرف والتمست الحضور فأجيبوا إلى ملتمسهم ولما حضروا بيّنت لهم أمر الله وبشَّرتهم بظهور الموعود بأجلى بيان وتلت عليهم من آيات البيان وجذبت قلوبهم بكلمة الله وكان من سحر بيانها وبلاغة تبيانها أن أعلنوا التصديق والمحبة في أول مجلس وطلبوا إعطاءهم الرخصة حتى

يجمعوا عشيرتهم وليسافروا معنا لنصرة الأمر، غير أن السيدة لم تأذن لهم وباركتهم وعملوا الضيافات يومين وفي اليوم الثالث توجهنا إلى همدان. وبعد الوصول نزلت حضرة الطاهرة ببيت خاص وفي خدمتها القانتات وبعض العلماء وهم الشيخ صالح الكريمي والفاضل ملا إبراهيم المحلاتي والسيد احمد اليزدي. أما باقي الأحباء فنزلوا في بيوت على حدة إلى أن حضر من قزوين إخوانها والتمسوا بكمال الاحترام أن يكونوا في خدمتها إلى قزوين فأجابت طلبهم بشرط أن تبقى في همدان تسعة أيام حتى تكمل الحجة على أهل البلدة. ثم أرسلت الفاضل ملا إبراهيم المحلاتي إلى رئيس العلماء في همدان وأرسلت معه رسالة بليغة تدعوهم فيها إلى الإيمان وتبشرهم بظهور الملكوت، فلما وصل الرسول إلى المجتهد الرئيس وكان مجلسه مملوء بالعلماء، أظهر الرسالة وتلا عليهم من البيان ما أمر به، فعظم الأمر عليهم وأخذتهم الحمية الجاهلية وأمروا الحاضرين بضرب الرسول وقتله بلا سلاح، فهجموا على المؤمن المستقيم وضربوه ضربا أليما بأيديهم وأرجلهم حتى انقطع نَفَسَهُ وسحبوه من رجله وطرحوه في الزقاق إلى أن عرفه بعض بسطاء الناس ووجد به رمقا فحملوه إلى بيت حضرة الطاهرة، ولما نظرت إليه ظهر على وجهها السرور وخاطبته قائلة صلوات الله عليك وطوبى لك بما قدّمت نفسك فداءً لإعلاء كلمة الرب الأعلى. والحاصل انه بقى طريحا سبعة أيام ثم توجه إلى الصحة وتوجهت حضرة الطاهرة إلى قزوين والإخوان بخدمتها والقانتات وجناب الشيخ صالح الكريمي وملا إبراهيم المحلاتي والسادات السيد احمد اليزدي والسيد محمد الكلبايكاني جميعا مع حضرتها في هذا السفر سوى حضرة الوالد الشيخ محمد شبل والشيخ سلطان الكربلائي وجماعة الأعراب فبقينا في همدان ثلاثين يوما بعد تشريفها (قزوين) ثم صدر أمرها برجوع الأحباء إلى بغداد فرجع أكثرهم إلا جناب درويش المكوئي وصهره صالح وولده جواد وعبد الهادي الزهيراوي وحسن الحلاوي وسعيد الجباوي، فانهم توجهوا معنا إلى قزوين وأخذنا بيوتا فيها وشرّفت

حضرتها في بيت قريب من البيت الذي نزلنا فيه وكنت أناهز العشر من السنين، فأمرني الوالد أن أعرض بعض المطالب وآخذ الجواب من حضرتها حيث انها كانت في كل يوم تشرّف ذلك البيت القريب ماكثة به مقدار ساعة ومعها نساء حرس من جانب عمها وأبيها وكذا بعض التلامذة من جهة عمها وطالت الأيام إلى شهر واحد وفي ذات يوم شرّفت وكان منها أن أمرتنا بالخروج من قزوين والتوجه إلى طهران إلى مقام الظهور وسر الظهور ثم شرّفت في اليوم الثاني وسألتني (هل بلّغت أباك بما قلت لك؟) عرضت نَعم ولكن أوّلوا طهران بالمقام الطاهر قالت (طيّب قل لهم أن يتوجهوا إلى بلدة قم) فبلغتهم أيضا الأمر فقالوا المقصود (أي مقصود السيّدة) قم بأمر الله وكذا وكذا ثم في اليوم الثالث تَشَرّفْتُ بمقابلتها وسألتني (هل بلغت الجماعة؟) عرضت نعم ولكن أوّلوا قم بالقيام بأمر الله. فتبسمت وقالت (اذهب وقل لهم يتوجهوا إلى مشهد المقدس في خراسان) فرجعت وعرضت الأمر فأوّلوا مشهد بمشهد النَفَس الرحماني الذي منه مشاهد النفوس وفي اليوم الرابع تشرّفت بمقابلتها وسألتني (هل بلّغت الوالد ومن معه بما قلت لك؟) أجبت نعم ولكن أوّلوا مشهد بمشهد النفس الملكوتي ومشاهد النفوس، فغضبت وأمرت العبد بأن أقول لهم أن يخرجوا جميعاً من قزوين لأنه لابد من وقوع زلزلة عظيمة ترتج منها قزوين وتسفك دماؤكم جميعا وان الله يريد بكم خيراً في المستقبل خصوصا أنت ووالدك الشيخ. فرجعت وعرضت الأمر المبرم فقالوا ارجع واعرض أن الشيخ صالح الكريمي وملا إبراهيم المحلاتي لِمَ لا يخرجون معنا؟ فرجعت وعرضت ما قالوا قالت (ارجع وقل لهم أن الشيخ صالح والفاضل ملا إبراهيم المحلاتي حان الوقت لهما وآن الأوان وان الشهادة حياة لهم) "اقتلوني اقتلوني يا طغاتي ان في قتلي حياة في حياة" ولكن الشهادة لكم ما حان وقتها وإذا ألقيتم بأنفسكم إليها كانت عليكم موتا. فرجعت وبلغتهم الأمر الصريح ومن ذلك اليوم توجهنا إلى طهران وجناب الشيخ سلطان معنا أما جناب الشيخ درويش المكوئي والجماعة

فتوجهوا إلى (قم) وبعد خمسة عشر يوما وقعت الواقعة في قزوين وقتل الحاج ملا تقي رئيس العلماء فيها لأنه في كل يوم كان يصعد المنبر ويسُبّ المبشرين أعني (حضرة الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي) ثم يسُبّ (حضرة العلي الأعلى) ويحرّض الناس على العداوة والبغضاء للمؤمنين إلى أن سلّط الله عليه من انتقم منه ولكن الظالمين اتهموا حضرة الشيخ صالح الكريمي وملا إبراهيم المحلاتي وهجموا عليهما وقتلوا ملا إبراهيم في قزوين وأرسلوا الشيخ صالح الكريمي إلى طهران وكلاهما بريئان من قتل اللعين. ولما رأى القاتل أن ملا إبراهيم استشهد وقتل ظلما وعدوانا وان الشيخ صالح محبوس في طهران يريدون أن يقتلوه أظهر نفسه وحضر لدى الحكومة وأقرّ بأنه هو الذي قتل المجتهد القزويني وكان اسم الرجل المقر (طاهر الشيرازي الخباز) فلما سمعوا أن قاتله خباز لم يقبلوا إقراره بل أصروا على اتهامهم للفاضلين المذكورين ولم يقتلوا ذاك المقر بل حبسوه فقط ثم فرّ أخيراً من الحبس. واستشهد الشيخ صالح الكريمي بالميدان الذي في وسط طهران وخرجنا قبل شهادته بيومين من طهران ورجعنا إلى بغداد وما بقي في طهران من الأعراب إلا اثنان وهما جناب الحاج محمد الكرادي وجناب سعيد الجباوي وتوفقا للوصول إلى خدمة القدوس وكانا من أصحاب القلعة حيث كان عددهم ثلثمائة وثلاثة عشر اثنان منهم عرب والباقي فرس - وان الحاج محمد الكرادي كان رجلا شجاعا وفي أيام فتوّته كان قائد ألف بعسكر (إبراهيم باشا المصري) وحضر عدة مواقع في الحرب من جملتها محاربتهم مع فرنسا ثم رجع إلى بغداد وتوفق لمحبة السيد المبشّر واشتعلت في قلبه نار محبة الله وصار ينتظر ظهور الرب وكان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب ولكنه كان شاعرا مجيدا فاضلا أديبا من جملة أشعاره قصيدته التي امتدح بها السيّد الرشتي (قال في مطلعها):

ومجهولة تاه الأنام بوصفه
سوى العالم الغطريف جرثومة الفخر

تقمَّصها طفلا وحين بلوغه

أبان خفيّ السر فــي النهى والأمر

(إلى أن قال)

فيا منقذي من لجة الجهل والعمى

ويا حافظي من حيث أدري ولا أدري

لأنت وأيم الله للفتنة التي

أشار لك الرحمن من محكم الذكر

(إلى آخره)

ولما وُفّق للإيمان وتشرف بمقابلة وخدمة الطاهرة في قزوين كان راجعا من (ماكو) وقد عرض القصيدة الرائية التي مدح فيها حضرة الأعلى ومطلعها (يا صاح كن من بني الدنيا على حذر) (إلى قوله):

من بحرص يميز الناس كلهم[1]

من راحتيه جرت فوّارة القدر

1 هكذا بالأصل وانظر المعنى.

نرى الوجـود كتابا أنت أحرفه

أجلى بيانا من الآيات والسور

(إلى آخرها)

وكان دائما يتمنى أن يكون من أنصار الله ولما انخرط في سلك الأحباب الذين في خدمة القدوس وباب الباب كان بالغا من العمر ثمانين سنة وكان قوي الجسم مقداما كريما وعند وصوله القلعة مرض بالفالج وبقي في القلعة يتحمس ويلتمس الشهادة من حضرة القدوس إلى أن سقطت عليه كلة طوب (قنبلة مدفع) من الأعداء واستشهد مسرورا. وأما سعيد الجباوي فكان من أهل بغداد وأصله من (جبّه) وهي قرية على الفرات وكان رجلا بسيطا سليما مخلصا بشوشا على الدوام متذكرا بذكر المحبوب. وتوفق لخدمة القدوس وخرج مع حضرة باب الباب في ليلة وأصابته رصاصة من عسكر السوء في بطنه فمسك جرحه وهو يضحك ضحكاً عجيبا وانتقل إلى دار البقاء وقبل رجوعنا من طهران حضر حضرة ملا حسين البُشرُوئي العلامة (باب الباب) وتشرَّفنا بخدمته في طهران وكان قاصداً مازندران. ورجعنا إلى بغداد والوالد يبلّغ الأمر علانية والأحباء في كل ليلة يجتمعون والمجالس عامرة إلى أن أتانا خبر القلعة بمازندران وان حضرة القدوس وحضرة باب الباب في القلعة وان مقصد الغافلين أن يحاصروا الأحباء، فقام في قَصَبة الكاظمية جناب الحاج عبد المطلب التاجر وجهز نحو خمسين رجلا من الأحباء الأعراب من جملتهم الشيخ عزيز والشيخ نصار من كربلاء ومهدي الزهيراوي وطعمة وعلاّو ومحمد البحراني وعلي وفارس وبندار من بغداد وعيسى الكرادي وجواد عبد الحسين.

والحاصل أن الحاج المذكور جهزهم من خالص ماله وأرسلهم إلى مازندران كي يدافعوا عن القلعة لأن الغافلين هاجموها ولما

وصلوا إلى حدود مازندران وجدوا العساكر متكاثرة والطريق مسدوداً فحزنوا وتأسفوا على عدم التوفيق ورجعوا إلى بغداد بعد خمسة أشهر ومات منهم ستة رجال من شدة البرد وكثرة الثلج ونالوا رتبة الشهادة لأنهم ضحوا أنفسهم في سبيل الحق طوبى لهم.

ثم من بعد ثلاثة أشهر أتانا الخبر بشهادة حضرة القدوس وحضرة باب الباب وجميع المؤمنين وذلك بعد أن أفنوا كثيراً من الأعداء الظالمين والوقائع بالتفصيل مشهورة: (أما نحن وحضرة الطاهرة وسفرها من قزوين إلى " بدَشتْ " وتفاصيل ما أظهرت إلى اليوم الذي استشهدت فيه ببيت محمود خان كلانتر، فذلك أمر مشهور عند أهل البهاء في إيران...) وان أعراب العراق اشتعلت في قلوبهم نار محبة الله وكلما زادهم الغافلون اضطهادا زادت محبة الله في قلوبهم وناظروا المسلمين والمسيحيين واليهود في بغداد حتى حضر العبد مرةً في مجلس المناظرة مع علماء المسيحيين وكان الوالد يتكلم معهم في ميزان معرفة الله وكلما ذكروا ميزاناً من الموازين الأربعة وهي العقل والنقل والحواس والقلب ردَّه الوالد عليهم إلى أن قام أحد الإنجيليين وكان عالماً وكتب هذه الأبيات، أحفظ بعضها وها هو أولها:

يا من سأل مستفهماً عن معتقد دين المسيح

هاك الجواب مسدداً من كتاب برهان صريح

(إلى قوله)

إذا أردت الوزن ولم تزن وزنا شحيح

عليك بميزان العقل فكر تستريح[1]

فرد عليه حضرة الوالد ميزانه وأثبت له اختلال ذلك الميزان بأن العقول مختلفة فالعقلاء الذين صلبوا المسيح فبالنقل والعقل صلبوه والذين آمنوا به فبتأثير الكلمة آمنوا لا بالتفكر ولا الكتاب الذي كان بأيديهم قال تعالى (إذا ظهر نبي أو حالم حلم وقال اعبدوا آلهة لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم فلوقته يقتل قتلاً ذلك النبي أو حالم الأحلام) الخ فإذا أرادوا أن يتمسكوا بظاهر الآية يلزمهم أن يتبعوا اليهود لان أصل المطلب في التوراة والإنجيل هو حلم وظهور الرب الذي لم يعرفوه ولا آباؤهم. والحاصل أن حجتهم اندحضت وأظهروا التعارف وقال المطران للوالد أشهد أنك فيلسوف وان اعتقادكم وديانتكم أقوى من ديانة الإسلام وانصرف الأحباء مسرورين والمسيحيون متحيرين. ثم عملوا المناظرة مع اليهود وكثيرا أظهروا العناد متمسكين بأن الذي يظهر لابد أن يؤيد دين التوراة ولا ينسخ حرفاً منها لان الأحكام أنزلت من الله في التوراة ولم يكن قبل التوراة أحكام مطلقاً وان الله دائم وأمره لا يزول إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين. والحاصل أن الوالد كان يتكلم معهم ويناظرهم بكمال الرفق وهم في نهاية الغيظ لان المجلس كان في بيت حاخام باشى وعلماء اليهود فيه وكان مع الوالد جناب السيد محسن الكاظمي وكاظم العرقجى وصالح القزاز ولما حصل اليأس من تفهيمهم سألهم حضرة الوالد عن الأحكام التي كانت قبل موسى هل هي من الله أم من غير الله؟ قالوا من الغير بل من الأفكار والعقول، قال لهم ما قولكم في عمران والد موسى هل هو عاقل أو جاهل؟ قالوا عاقل. قال ما قولكم في التزويج بالعمة؟ قالوا حرام. قال كيف أخذ عمران عمته (يوكابد)

1 هكذا بالأصل ثم ليعلم الناظرون أن الناطق بهذه الأبيات لم يلتزم فيها الأوزان العروضية فهي أشبه بالنثر المسجع منها بالشعر العربي الفصيح والبيت الأخير غير واضح المعنى ولعل معناه: انك إذا أردت الوزن الصحيح فعليك بميزان العقل الخ...

وولدت له موسى، فهل كان هذا العمل حراماً أو حلالاً؟ فإذا قلتم انه حرام كان موسى ابن حرام وهو كليم الله، وإذا قلتم أن العمل كان حلالا وحرّمه موسى بأمر من الله كنتم قد نطقتم بالواقع لان الله يمحو ويثبت، نسخ أمر التزوج بالعمة وأثبته بابنة العمة وبنحو هذا من الأدلة العقلية والنقلية أفحمهم وأظهروا الكدر وأحضروا المدام والشيخ قام مع الأحباء وبقينا مع الناس نمشي بالحكمة ولكن التبليغ كان علانية إلى أن أتانا الخبر بصعود حضرة العلي الأعلى في الثامن والعشرين من شعبان سنة ألف ومائتين وست وستين المطابق لأول تموز في مدينة تبريز بميدان صاحب الزمان[1] كما هو معلوم عند الخاص والعام علقوه بالحبل وضربوه برصاص البغضاء وفي غرة رمضان انتقل الوالد إلى رحمة الله فطوبى له بما سرع إلى دار البقاء لأنه لو بقي في تلك الفترة لخشى عليه لأن الأحباب تشتتوا وكل من كان يبلغ أمر الله رأى نفسه شيئاً من الأشياء كأنهم مرايا الظهور وخصوصا حين نزول صاعقة الامتحان وهي صعود الرب الأعلى جل شأنه لأنه امتحان عظيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبقي الأمر في هرج ومرج واستندت أحباء كل بلدة إلى أحد المرايا مثلا جماعة اعتقدوا بصبح الأزل وآخرون اعتقدوا برجل بغدادي يدعى الشيخ علي الدباس وجماعة أخرى اعتقدوا بالسيّد علاّو ولذلك نحمد الله تعالى على وفاة الوالد بعد صعود حضرة الأعلى بيومين والأحباء تشتتوا كل واحد منهم يفعل ما يشاء إلى أن منَّ الله على عباده بظهور نفس البهيّ الأبهى الأب الحنون وجمع أغنام الله بكلمته ونجاهم من الهلاك برحمته في مدة أربعين سنة أقام العباد بما أراد وأخذ عهده من جميع العباد بأن يتوجهوا بعد صعوده إلى من أراده الله الابن الوحيد الذي أجلسه عن يمينه وجعله مطلع أمره وسماه الغصن الأعظم وغصن القدس والعباس وسر الله الأقدم والحمد لله الذي

1 يقال له أيضا ميدان جبة خانه. كما جاء في التواريخ الموثقة أن الباب قتل في 9 تموز (يوليو) وليس في الأول منه.

وفق أهل البهاء على التوجه إلى حضرته وصاروا من أصحاب اليمين لأنه جالس عن يمين الرب وما أدراك ما اليمين هو عالم اليقين المنزه عن الظن والتخمين الذي هو الهيكل المحبوب من سمى نفسه عبد البهاء وأثبت العبودية وأظهرها لأبيه المقدس عن ذكر أهل الإنشاء وإذا أردنا أن نحرر ما شاهدناه في أيام تشريف حضرة البهاء جل شأنه بغداد في مدة اثنى عشرة سنة من الأخلاق الروحانية التي أظهرها للعالم والعلوم اللدنية والجذبات القدسية وإحياء النفوس الميتة وشفاء المرضى من داء النفس والهوى وفتح الأعين العمياء وتنوير العقول المظلمة وتهذيب النفوس الهائمة لضاق بنا المجال ولأنفقنا عدة من الأيام والشهور دون أن نفي بما هو مشهور خصوصا إذا حررنا ما شاهدناه من الذين نقضوا عهد حضرة المبشر عليّ بان يتوجهوا إلى حضرة من يظهره الله والأفق الأبهى وقام يحيى الملقب صبح الأزل وفي الظاهر هو منسوب إلى حضرة البهاء ونقض العهد واعتزل أهل البهاء ونشر الشبهات بأن الموعود لا يظهر إلا بعد ألفي سنة والله سبحانه وتعالى خذله وطرده من الملكوت. ثم في هذا العهد الأعظم الواضح الأنور قام الناقض الأكبر ووسوس في صدور الأحباء أن ينقضوا عبد البهاء ويبغضوا ابنه الوحيد ويعرضوا عن جماله الفريد ولكن الله نصر فرعه المنشعب من الأصل القديم وخذل ضده الناقض الأكبر ورده إلى أسفل الجحيم وعلى كل حال فقد اطلع أهل البهاء على سر الظهور وعرفوا أن لكل وجود خيال ولكل ظهور دجال (وهذا من سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) والبهاء على أهل البهاء الذين عرفوا الحق بالحق وتوجهوا إلى الله بالصدق وانقطعوا عن الهوى والعاقبة للمتقين.

بحمد الله وعونه وحسن توفيقه قد تم طبع هذه المجموعة البهية التاريخية في شهر محرم الحرام سنة ألف وثلثمائة وثمانية وثلاثين

في غاية الدقة والإتقان حسب الإمكان نسأله تعالى أن ينفع بها طلاب العلم والعرفان انه خير مستعان آمين.

الملحق الرابع

من كتاب

(لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث)

ونقتطف من كتاب "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث" - الجزء الثاني - الفصل الخامس – هذه النصوص دون اضافة رغم ما فيه من بعض الاختلافات بالنسبة للتواريخ. وهو من مؤلفات الدكتور المرحوم علي الوردي أستاذ متمرس سابق في جامعة بغداد ومؤرخ محايد له مؤلفات عديدة عن تاريخ العراق الحديث، إضافة الى انه من كبار علماء علم الاجتماع العرب:-

شغل المجتمع العراقي في السنوات الأخيرة من ولاية نجيب باشا بحديث امرأة عجيبة تدعى "قرة العين" إذ هي أسفرت عن وجهها، وارتقت المنبر، وخطبت وجادلت، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ العراق، وربما في تاريخ الشرق كله، طيلة قرون عديدة، ونحن الآن إذ نريد دراسة تاريخ المجتمع العراقي في تلك الآونة يحسن بنا التعرف الى شخصية هذه المرأة ومبلغ تأثيرها في العراق ثم في ايران.

ولدت هذه المرأة في قزوين عام 1814م، وقد سميت بـ "زرين تاج" وهو اسم فارسي بمعنى "التاج الذهبي" لأنها كانت ذات شعر أشقر، وكانت أسرتها من الأسر الدينية المعروفة في قزوين ذات جاه ومكانة تدعى بـ "آل البرغاني" وقد برز فيها علماء مجتهدون لهم شأن كان منهم الملا محمد صالح الذي هو والد قرة العين، والملا محمد تقي الذي هو أحد أعمامها، وكان الملا محمد تقي هذا كبير علماء قزوين في ذلك الوقت.

تميزت قرة العين بجمالها الفتان وذكائها المفرط، وقد بدأ نبوغها بالظهور منذ صباها الباكر قيل انها كانت تحضر دروس أبيها وعمها التي كانا يلقيانها على الطلبة، فكان يوضع لها ستار لتستمع الى الدروس من ورائه، وسرعان ما أخذت تشارك في المجادلات الكلامية والفقهية التي تثار بين رجال اسرتها، وكثيرا ما كان أبوها يظهر أسفه قائلا: "لو كانت ولدا لكانت أضاءت بيتي وخلفتني". وذكر أخوها عبد الوهاب في وصف ذكائها المفرط فقال: "إننا جميعا من أخوة واولاد عم ما كنا نقدر ان نتكلم في حضرتها لأن علمها كان يرعبنا، واذا تصادف وتكلمنا عن مسألة

فانها كانت تتكلم عنها بكل وضوح وإتقان على البداهة حتى نعلم إننا أخطأنا السبيل ونتركها ونحن متحيرون.[1]

كان أهل قزوين في ذلك الحين كأهل كربلاء منقسمين الى فريقين متنازعين: "بشت سري" و "بالا سري" أي شيخيين وخصوم الشيخيين. وكان هذا الانقسام قد سرى الى بيت قرة العين فكان عمها الكبير الملا محمد تقي من خصوم الشيخيين بينما كان عمها الآخر الملا علي من الشيخيين. وقد نشأت قرة العين في هذا الجو الفكري المفعم بالجدل، ولا شك أنها استطاعت أن تستوعب بذكائها الشيء الكثير من ذلك الجدل وتنتفع به.

عندما بلغت قرة العين الرابعة عشر من عمرها زفت الى ابن عمها الملا محمد بن الملا محمد تقي، ولم تمض على ذلك سوى مدة قصيرة حتى قرر الزوج الهجرة الى العراق لطلب العلم، فسافرا معاً الى كربلاء ونزلا في دار تعود للأسرة في محلة "الخيمكاه" وهي الدار التي لا تزال قائمة يسكنها بعض أسرة البرغاني وقد زارها كاتب هذه السطور منذ عهد قريب.

مكث الزوجان في كربلاء ثلاث عشرة سنة تقريباً رزقا فيها بولدين هما إبراهيم وإسماعيل، والظاهر أن حياتهما في كربلاء لم تخل من خصام ومناقرة، فهي أخذت تميل الى السيد كاظم الرشتي الذي كان يرأس الشيخيين يومذاك، بينما كان زوجها يميل الى "البالاسري". وربما كان الخصام بين الزوجين في بدايته بسيطاً ثم صار يشتد ويتعقد مع الأيام.

عاد الزوجان الى قزوين في عام 1841م، ورزقا هناك بولد ثالث سمياه "إسحاق" وكانت عودتهما إيذانا باستئناف الخصام

---

1 محمد زرندي "مطالع الأنوار" ترجمة عبد الجليل سعد - القاهرة 1940 - ص 63-66.

والمناقرة بينهما من جديد. فقد أصدر والد زوجها فتوى أعلن فيها تكفير الشيخيين بينما هي ازدادت من جانبها ولعاً بالعقائد الشيخية وتعلقاً بالسيد كاظم الرشتي.

وشرعت قرة العين تكاتب الرشتي تستفسر منه عن بعض المعاني الغامضة في كتاباته، ثم قررت أخيرا أن تترك زوجها وأولادها وتهاجر الى كربلاء لتكون قريبة من الرشتي وتنضم الى حوزته العلمية.

وفي عام 1843م سافرت قرة العين الى كربلاء، وكانت حينئذ في التاسعة والعشرين من عمرها وفي قمة نضوجها، وحين وصلت الى كربلاء فوجئت بان الرشتي الذي جاءت من أجله قد توفى قبل أيام قليلة، فأصيبت بخيبة الأمل وشاركت في مأتمه.[1]

اعتناقها الدعوة البابية:

تجمع المصادر البابية والبهائية على ان قرة العين كانت من أوائل الذين اعتنقوا الدعوة البابية حيث أصبحت من "حروف الحي" الثمانية عشر، وإنها اعتنقت الدعوة يوم كان الباب لا يزال في شيراز يدعو الى نفسه سراً. وهذا أمر يصعب علينا تصوره إذ كيف استطاعت قرة العين ان تعلم بالدعوة وهي في كربلاء وتقتنع بها دون ان تتصل بالباب او تعرف عنها شيئاً.

1 ان هذه المعلومات عن قرة العين حصلت عليها من مصادر مختلفة، وقد استفدت بصورة خاصة من كتاب مخطوط بقلم عبود الصالحي عنوانه "قرة العين على حقيقتها وواقعها". ومما يجدر ذكره ان هذا الكاتب هو من أسرة البرغاني ومن أقرباء قرة العين.

أوردت المصادر البهائية في هذا الشأن روايتين مختلفتين، فقد جاء في أحد تلك المصادر وهو كتاب "تذكرة الأوفياء": أن قرة العين عندما وصلت الى كربلاء بعد وفاة السيد كاظم الرشتي انقطعت الى العبادة والتضرع في انتظار الموعود الذي كان الرشتي قد تنبأ بقرب ظهوره، وفي ذات ليلة رأت في منامها شاباً يلبس رداءاً أسوداً وعمامة خضراء وهو في السماء رافعاً يده بالدعاء ويتلو بعض الآيات، وبعد حين وصل اليها تفسير من الباب لسورة يوسف، وجدت فيه إحدى الآيات التي سمعت الشاب يتلوها في المنام، فأدى ذلك بها الى التصديق بدعوة الباب.[1]

أما كتاب "الكواكب الدرية" فيروي القصة بشكل آخر إذ يقول: بينما كان تلاميذ السيد كاظم الرشتي قد انتشروا في البلاد يبحثون عن الموعود انقطعت هي للرياضة والتبتل وهجرت تناول المطبوخات، وكانت كل أوقاتها مصروفة في الترقب والانتظار. وفي ذات يوم كتبت رسالة الى الملا حسين بشروئي تقول فيها: "اذا وفقتم للقاء طلعة الموعود فلا تحرموني من موافاتي بذلك النبأ، ولا تضنّوا عليّ بالسعادة، فان للأرض من كأس الكرام نصيباً" فوصلت رسالتها الى الملا حسين أثناء وجوده في شيراز فقدم الرسالة الى الباب، فأدخل الباب اسمها في عداد "حروف الحيّ" وكتب توقيعا بذلك. ولما جاء الملا علي البسطامي الى العراق موفداً من الباب اتصلت قرة العين به واستفهمت منه عن تفاصيل الدعوة مما جعلها تزداد إيمانا بها.[2]

المرحلة الأولى:

---

1 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 64.

2 عبد الحسين آواره (الكواكب الدرية) ترجمة احمد فائق رشد - القاهرة 1924 - ج1 ص 110 - 111.

تشير القرائن الى ان الدعوة البابية أخذت تكتسب الاتباع في كربلاء تدريجياً، وكانوا كلهم من الشيخيين، غير انهم كانوا يلتزمون التقية والتكتم ولا يعلنون عن مذهبهم الجديد أمام الناس، ولم يكن من المسموح لهم في أول الأمر ان يذكروا اسم الباب او يعينوا شخصه بل كانوا يتحدثون عنه بطريق الرمز والإشارة، وكثيرا ما كانوا يطلقون عليه اسم (الذِكر) عند الحديث عنه.

والظاهر ان قرة العين حين اعتنقت الدعوة البابية كانت كغيرها من اتباع الدعوة تلتزم التقية، ولكنها أخذت تنشط في الاتصال بالناس لتمهيد الأذهان نحو قبول الدعوة الجديدة. قيل انها كانت في تلك المرحلة من حياتها تلقي الدروس الدينية في منزلها ويجتمع اليها عدد كبير من الطلبة والمستمعين، فكانت تجلس في غرفة صغيرة وراء باب عليه ستار، ويجتمع الطلبة والمستمعون في غرفة اخرى واسعة، وهي تتحدث اليهم من وراء الستار.

كانت قرة العين تملك صوتاً جهورياً ومقدرة كبيرة على الكلام والجدال، فأحدثت في المجتمع الكربلائي هزة عنيفة وأصبح اسمها على كل لسان، وصار الناس نساء ورجالا يتناقشون ويتجادلون في الأفكار الجديدة التي كانت تطرحها قرة العين في دروسها المنزلية.

وفي شهر آب من عام 1846م انتقلت قرة العين مع حاشيتها الى الكاظمية، ويقال في سبب هذا الانتقال ان خلافا حدث بينها وبين كبير الشيخيين المرزا محمد حسن جوهر فقررت الابتعاد عنه والذهاب الى بلدة أخرى تستطيع ان تنفرد فيها من غير معارض تخشى بأسه.

استُقبلت قرة العين في الكاظمية استقبالا حافلاً وكان على رأس المحتفين بها أولاد السيد عبد الله شبر، فنزلت أول الأمر في ضيافتهم، ثم تحولت بعدئذ الى دار السيد صادق الكشفي وهو من

خدمة الجوادين وكانت داره معدة لنزول الزوار الشيخيين فيها. وأخذت قرة العين تلقي الدروس في الكاظمية على منوال ما كانت تفعل في كربلاء، وزادت على ذلك فصارت تصعد المنبر أحيانا فتذهل السامعين بقوة حجتها وحسن إلقائها.

وذاع صيتها في بغداد فأخذ الكثير من سكانها، من الشيعة وغيرهم، يفدون الى الكاظمية لسماع دروسها ومحاضراتها. روى لي أحد المسنين من أهل الكاظمية نقلاً عمن شهد قرة العين أثناء مكوثها في الكاظمية فقال ان الكثير من الناس حضروا حلقات درسها وصلّوا وراءها، وكانوا اذا استمعوا اليها وهي تتكلم يكادون يذهلون عن أنفسهم من شدة تأثرهم بها.

يبدو ان قرة العين لم تكن متزمتة في حجابها على النمط الشديد الذي اعتادت عليه نساء عصرها، وهي ربما كانت تلتزم بالسفور الذي تبيحه الشريعة الإسلامية وهو إظهار صفحة الوجه والكفين من غير زينة، فكانت تجالس الذين تثق بهم من أصحابها وتحادثهم وهي مكشوفة الوجه، غير ان هذا النوع من السفور لم يكن يستسيغه الناس في تلك الأيام فأثار ضجة لدى العامة ورجال الدين وأخذوا يتقولون عليها ويلصقون بها التهم الشنعاء.

كان الناس في تلك الأيام قد اعتادوا أن يربطوا بين عفة المرأة وشدة حجابها، فكلما كانت المرأة أشد حجابا كانت في نظرهم أعظم عفة وأكمل خلقاً. ولهذا أخذ خصوم قرة العين يتهمونها بالتحلل الخلقي، ولا تزال هذه التهمة لاصقة بها حتى اليوم. سألت ذات مرة أحد المسنين من أهالي الكاظمية عما يعرف عنها، ولم يكد الرجل يسمع سؤالي حتى فاجأني بقوله انها كانت "كذا وكذا" مما لا يستحسن ذكره. وليس هذا الجواب بالأمر المستغرب من رجل عاش في بيئة الحجاب الشديد وآمن به إيمانا مطلقاً.

يقول صاحب كتاب "الكواكب الدرية": ان سفور قرة العين تلقاء صحبها وتلاميذها أثار خلافاً بين رجال الدين وقام بينهم الجدال والشقاق على قدم وساق، وعندما سألوا التلاميذ عن ذلك أجابوا بأن الوجه والكفين لم تكن عورة في نظر الدين الإسلامي وجاءوا بدليل الحج حيث ان أزواج النبي لم يسترن الوجه والكفين رغم الازدحام العظيم أثناء موسم الحج، ولكن هذا الجواب المؤيد بالشواهد لم ينه المشكلة بل استشرى الخلاف والجدال بين الناس.[1]

المرحلة الثانية:

مكثت قرة العين في الكاظمية زهاء ستة أشهر، ثم عادت الى كربلاء في شهر شباط من عام 1847 بمناسبة زيارة الأربعين التي حلت في الثامن من ذلك الشهر. وبعودتها الى كربلاء دخلت مرحلة جديدة من حياتها، فهي أخذت تترك طريقة التقية والتكتم وتعلن دعوتها جهاراً، وكان ذلك سبباً في حدوث انشقاق في صفوف البابيين حيث تابعها فريق منهم وهم الذين يسمون "القرتية" وكان منهم الملا باقر وهو أحد السابقين الى الدعوة البابية ومن الذين نالوا مديحاً من قلم الباب، أما خصومها فقد اتبعوا الملا احمد الخراساني الذي كان يتولى رعاية بيت السيد كاظم الرشتي ومسئولا عن أرملته.

عثر كاتب هذه السطور على كتابين يصوران ذلك الانشقاق الذي حدث في كربلاء تصويراً رائعاً، وهذان الكتابان يكمل أحدهما الآخر، او بعبارة أدق: يرد أحدهما على الآخر - فالأول منهما مخطوط عنوانه "عقائد الشيخية" وهو مكتوب بلغة عامية بقلم الملا أحمد الخراساني اذ ينتقد فيه قرة العين ويشتمها ويسميها "بنت طالح"، أما الكتاب الثاني فهو بقلم أحد أتباع قرة العين يدعى

1 المصدر السابق - ص 189.

الشيخ سلطان الكربلائي وهو يرد فيه على الملا أحمد الخراساني ويدافع عن قرة العين.

حين نقرأ هذين الكتابين بامعان ونقارن بينهما نستطيع ان نكتشف نقاط الخلاف بين أتباع قرة العين واتباع الملا أحمد. وهي باختصار كما يلي:

(1) ان قرة العين كانت تعتقد بأن الوقت قد حان برفع حجاب التقية والاجهار بالدعوة، بينما كان الملا أحمد يعتقد ان الباب أمره بالتزام التقية.

(2) كان الملا احمد يعتبر كتب الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي خالدة، وكان يواصل القراءة فيها، أما قرة العين وأصحابها فيعتبرون تلك الكتب منسوخة حيث ذهب زمانها بظهور الباب، وأخذوا يشنعون على الملا احمد ويمنعون الناس من مجالسته ويصفونه بأنه يأكل الميتة ويعنون بذلك أنه يقرأ كتب الأموات.

(3) المقصود بظهور الإمام الغائب في رأي قرة العين هو ظهور الباب أما رجعة الأئمة فالمراد بها ظهور السابقين في الدعوة أي الذين اعتنقوا الدعوة البابية قبل غيرهم: فالملا حسين البشروئي هو في مقام رسول الله، والملا علي البسطامي في مقام أمير المؤمنين، وقرة العين في مقام فاطمة الزهراء، والملا حسن السجستاني في مقام الحسن، والسيد حسين اليزدي في مقام الحسين، والملا باقر في مقام الإمام الباقر... الى آخره. ان هذا هو ما كان ينسبه الملا احمد الى قرة العين واصحابها، بينما هم كانوا يتبرأون من ذلك.

(4) كان الملا احمد ينسب الى قرة العين انها تمنع من اقامة العزاء على الحسين او زيارة قبور الأئمة بحجة ان الأئمة لا يجوز

نسبة الصفات البشرية إليهم كالموت والعطش، فلا معنى اذن لذكر عطش الحسين او قتله.

(5) كانت قرة العين وأصحابها يحرمون التدخين ويعدون ذلك من التعاليم الجديدة التي جاء بها الباب، أما الملا احمد فكان يدخن مدعياً انه يفعل ذلك أمام الناس من باب التقية.

قرة العين في بغداد:

اضطرت قرة العين إزاء تلك الخصومة العنيفة التي شنها عليها الملا احمد وأصحابه ان تغادر كربلاء، فرحلت الى بغداد مع حاشيتها وبعض أصحابها من النساء والرجال. وعند وصولها الى بغداد نزلت في ضيافة أحد المخلصين لها من سكان تلك المدينة هو الشيخ محمد شبل، وهذا الرجل أصله من الكوفة وهاجر الى الكاظمية، ثم انتقل منها الى بغداد في عام 1827م، كان وكيلا للسيد كاظم الرشتي في بغداد. فلما نزلت قرة العين في ضيافته أخيراً خصص لها ثلاث دور كان احداها لسكنى النساء من حاشيتها، والثانية لسكنى الرجال، والثالثة لمجلس الدرس.[1]

والظاهر ان قرة العين وجدت المجال لها في بغداد أرحب مما كان في كربلاء، فجلست لالقاء دروسها من وراء ستار وأخذ الناس يقصدونها للاستماع اليها، وكانت في معظم دروسها تنادي بحلول اليوم الذي تُجدد فيه الشريعة وتُنسخ التقاليد البالية.[2] وقد حضرت ذات يوم مجلساً كان فيه الوالي نجيب باشا والمفتي أبو الثناء الآلوسي فأذهلت الحاضرين ببلاغتها.[3]

---

1 عبود الصالحي (المصدر السابق) ص 21.
2 أغا محمد مصطفى البغدادي (رسالة أمرية) في ذيل الرسالة التسع عشرية - القاهرة 1338هـ - ص 109.
3 عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص 112.

ظلت قرة العين تلقي دروسها المثيرة في بغداد مدة غير يسيرة من غير معارض. ويبدو ان خصومها في كربلاء لم يسكتوا عنها، ولا سيما المرزا محمد حسن جوهر رئيس الشيخيين، فأخذوا يبذلون جهودهم لتحريض الحكومة ضدها. وكان للمرزا محمد حسن صلة حسنة بالوالي واستطاع ان يقنعه بوجهة نظره مما اضطر الوالي ان يكتب الى اسطنبول في شأن قرة العين ثم أمر بحبسها في بيت الآلوسي ريثما يأتي الجواب من هنالك.

مكثت قرة العين في بيت الآلوسي شهرين، ولم يكن الآلوسي مضيّقاً عليها بل كان يجتمع اليها ويناقشها في أمر دعوتها الجديدة، وكثيراً ما كان يسمح لها بالخروج مع ناظر يرسله معها، فكانت تذهب الى دار الشيخ محمد شبل حيث ينتظرها هناك أتباعها والمعجبون بها فتلقي عليهم ما تشاء من أحاديث ودروس.

وقد أشار الآلوسي في بعض كتاباته الى قرة العين، وكان مما ذكره عنها قوله: "... وهي ممن قلّدت الباب بعد موت الرشتي، ثم خالفته في عدة أشياء منها التكاليف فقيل انها كانت تقول بحل الفروج ورفع التكاليف بالكلية. وأنا لم أحس منها بشيء من ذلك مع انها حبست في بيتي شهرين، وكم من بحث جرى بيني وبينها رفعت فيه التقية من البين. والذي تحقق عندي ان البابية والقرّتية - يقصد أتباع قرة العين - طائفة واحدة يعتقدون في الأئمة نحو اعتقاد الكشفية - يقصد الشيخية - فيهم ويزعمون انتهاء زمن التكاليف بالصلوات الخمس وأن الوحي غير منقطع فقد يوحى للكامل لكن لا وحي تشريع بل وحي تعليم لما شرع قبل ونحو ذلك، وهو رأي لبعض المتصوفة... وأعظم أسباب ضلالتهم النظر في كلام الرشتي وشيخه الاحسائي مع عدم فهم مقاصدهما منه

وحمله على ما هو بعيد عن الدين المحمدي بمراحل ولـذا كفرهم أصحاب هذين الرجلين أيضاً على ما سمعته بأذني من كبارهم[1]...

انشقاق آخر:

في تلك الفترة التي كانت فيها قرة العين محبوسة في بيت الآلوسي حدث انشقاق وجدال بين أتباعها الذين هم في بغداد والكاظمية، وكان سبب هذا الانشقاق هو ان قرة العين أخذت تدعو الى تجديد الشريعة الاسلامية والى تبديل بعض تعاليمها وشعائرها، فوافقها على ذلك فريق من أتباعها بينما رفض الفريق الآخر. وقد أشار الى هذا الانشقاق كاتب من أتباعها هو أقا محمد مصطفى البغدادي، وهو ابن الشيخ محمد شبل، في رسالة صغيرة له حيث قال ما نصه:

"... وأظهرت سر الظهور وأعلنت نسخ التقليد المهجور وبينت تجديد الشريعة الالهية بشريعة البيان، وكانت في مجلس الأحباء مكشوفة الوجه ولكن في مجلس الأغيار تكلمهم من خلف حجاب. وقد تزلزل بعض الاحباء لما شهدوا نسخ ما كانوا عليه، وأكثرهم استقاموا واعتقدوا بأن الله يفعل ما يشاء، والبعض من قصبة الكاظمية تزلزلوا وهم السيد محمد جعفر والسيد حسن جعفر والسيد علي بشر والسيد طه وكاظم الصوفي وقالوا أنهم مؤمنون بحضرة الأعلى - يقصدون الباب - الذي هو ذكر الله وان حضرته لم ينسخ الشرع العتيق ولم يجدد أمراً بل زاد في الأحكام وأكد في الصلاة والصيام وحرّم الدخان وأن السيدة قرة العين تجاوزت الحد ونسخت الشريعة التي ورثناها عن الأب والجد بدون أمر من حضرة الأعلى. وكتب أعلمهم السيد علي بشر عريضة قدمها الى (ماه كو) وتشرفت بحضور العلي الأعلى - يقصد الباب - وكان

1 محمود شكري الآلوسي (مختصر التحفة الاثني عشرية) القاهرة 1373هـ ص 24.

حاملها رجلاً يدعى (نوروز علي) كان خادما للسيد كاظم الرشتي. فنزل لوح بليغ في جواب تلك العريضة ورجع به (نوروز علي) الى قصبة الكاظمية وسلمه للسيد علي بشر ورفقائه، وتوجه من بغداد الوالد - أي والد المؤلف وهو الشيخ محمد شبل - والأحباء الثابتون واجتمعوا في مجلس واحد يضم ما ينوف عن السبعين شخصاً وقرأوا اللوح المبارك علانية وفيه بيانات مباركة وآيات واضحة الى ان وصل البيان الى قوله تعالى مخاطباً للسائل بشر المتزلزل: (وأما ما سألت عن المرأة التي زكت نفسها وأثرت فيها الكلمة التي انقادت الأمور لها فانها امرأة صدّيقة عالمة عاملة طاهرة، ولا ترد الطاهرة في حكمها لأنها أدرى بمواقع الأمر من غيرها وليس لك الا اتباعها لأنك لن تقدر أن تطلع بحقيقة شأنها) الى آخر اللوح. فلما سمعه الثابتون فرحوا وحمدوا الله على ما هداهم، والمتزلزلون ارتدوا على أعقابهم وكفروا بما آمنوا لأن تجديد الحدود شق عليهم...).[1]

ان هذا "اللوح" الذي وصل من الباب الى الكاظمية كان بمثابة وحي منزل في شأن قرة العين وعلو مكانتها، وفيه ورد لقب جديد لها هو "الطاهرة" فصارت قرة العين منذ ذلك الحين تعرف به بين البابيين وكان له أثره فيما بعد كما سنأتي اليه.

إخراجها من العراق:

عندما وصل الخبر الى قزوين بأن قرة العين محبوسة في بغداد اهتم له عمها ووالد زوجها الملا محمد تقي البرغاني فأرسل الى أحد أرباب النفوذ في كربلاء يكلفه بالتوسط لدى الحكومة في اطلاق سراحها. وقد سافر هذا الرجل الى بغداد ليسعى في هذا السبيل، ثم كتب الى الملا محمد تقي رسالة يذكر له فيها نتائج مسعاه. وفيما يلي مقتطفات من تلك الرسالة وهي مترجمة الى

1 أغا محمد مصطفى البغدادي (المصدر السابق) ص 109 - 110.

اللغة العربية بقلم الشيخ عبود الصالحي حيث يقول فيها مرسلها مخاطباً الملا محمد تقي:

"سيدي الجليل... سافرت الى بغداد متوجهاً الى دار مفتي بغداد اليوم معالي السيد محمود الآلوسي أفندي، فوجدتها هناك مع ثلاث نساء أخريات وجارية. فطلب اليّ معالي السيد المفتي شرح حالها وبيان قصتها فقلت: نعم انها امرأة مستورة وهي في كمال الورع والتقوى وقد اعترتها بعض الوساوس الشيطانية وتمكنت منها وسيطرت على دماغها وأفكارها وكان للوسط الديني الذي تعيشه أثر بالغ في ذلك كله حيث انها تعيش بين أحضان الورع والتقوى وفي بيت العلم والتقدس. كما سألني معالي السيد المفتي عن تاريخ حياة والدها وحالاته فقلت: انه اليوم رجل ايران الأوحد في العلم والورع. وقد أثر كلامي في نفس معالي المفتي فقال لي: سأطلب من معالي الباشا خلاصها والاعتذار لها عما حيك حولها وذهابها الى أهلها... وهي الآن محترمة ومعززة في دار معالي السيد المفتي وأنا في هذا اليوم الجمعة الموافق لليوم الثامن من شهر ربيع الثاني ذاهب الى بغداد لأجل العمل الجاد في خلاصها وهي مكدرة الخاطر من طرف الملا حسن جوهر... كما ان حضرات الاعيان وعلماء بغداد قاطبة يحترمونها أي احترام ويكنّون لها كل تقدير، وان ما قالوه وأشاعوا عندكم فهو باطل ومحض اختلاق... ولتوضيح الحقيقة حررت الرسالة. وان شاء الله تعالى وبحوله وقوته سأنقلها الى داري الخاصة بأي حال من الأحوال، وأرسلها اليكم مع حضرات السادة ان شاء الله، فليكن خاطركم طيباً ومرتاحاً".[1]

وصل الأمر أخيرا من اسطنبول باطلاق سراح قرة العين واخراجها من العراق، فخرج معها لمرافقتها في السفر جماعة من اتباعها بلغ عددهم الثلاثين كان منهم: الشيخ محمد شبل، وابنه أقا

1 عبود الصالحي (المصدر السابق) ص 45 - 47.

محمد مصطفى وكان في العاشرة من عمره، والشيخ صالح الكريماوي، والشيخ سلطان الكربلائي، والسيد أحمد اليزدي، والسيد محسن الشعرباف الكاظمي، والملا إبراهيم المحلاتي، والحاج محمد الكرادي، وسعيد الجباوي، وعبد الهادي الزهيراوي، وحسن الحلاوي، ودرويش المكوئي، وغيرهم.

قرة العين في كرمنشاه:

خرجت قرة العين من بغداد فيما يشبه الموكب الكبير، فقد كانت هي والنسوة اللواتي معها يركبن الهوادج بينما كان الرجال من أتباعها يمتطون الخيول. وبعد سفر طويل وصلوا الى كرمنشاه، وقد أعطانا أقا محمد مصطفى في رسالته الصغيرة وصفاً مسهباً للضجة التي أحدثتها قرة العين في تلك البلدة. وفيما يلي ننقل عنه خلاصة لما جرى هناك.

عندما وصلت قرة العين الى كرمنشاه أمرت بالنزول في ثلاثة منازل حيث خصصت أحدها لها ولمن معها من النساء وبعض العلماء، وخصصت الثاني لعامة الاتباع، اما الثالث فخصصته لاجتماع الناس وتبليغهم بالدعوة. وفي اليوم التالي لوصولها أوعزت بفتح أبواب المنزل الثالث فحضر فيه أكابر البلدة وأمراؤها وخوانينها وتجارها حتى ضاقت الساحة بهم على اتساعها، ونهض الشيخ صالح الكريماوي يتلو عليهم شرح "سورة الكوثر" بالعربية، ووقف على يمينه الشيخ محمد شبل والملا ابراهيم المحلاتي والشيخ سلطان الكربلائي يترجمون ذلك الى الفارسية.

وقد ارتجت البلدة بأسرها للأمر فكان الازدحام يكثر حول منزلها حتى تضيق الأزقة بالناس، وكانت النساء يأتين اليها نهاراً فتقرأ عليهم الآيات الجديدة وأسرارها، وفي المساء يأتي اليها بعض العلماء والامراء فيقابلونها من وراء ستار ويستمعون الى

حديثها ثم يخرجون منها متحيرين، وبعضهم يخرج منجذباً. وكانت الأسئلة ترد اليها في كل يوم من العامة والعلماء فتكتب الأجوبة بسرعة.

لم يتحمل المتعصبون من رجال الدين هذا الوضع وانزعجوا منه، فكلموا كبيرهم أغا عبد الله البهبهاني في ذلك وطلبوا منه الرد على قرة العين وإجابة المسائل التي تثيرها بما يفحمها، فذهب البهبهاني الى الأمير حاكم البلدة وطلب منه اخراج قرة العين هي وأصحابها من البلدة، واستدعى الحاكم قرة العين الى قصره فذهبت اليه برفقة الشيخ سلطان الكربلائي والملا ابراهيم المحلاتي وبضع نسوة من حاشيتها، وأخذ الأمير يحاورها فعرض عليها شكوى العلماء وأنهم يطلبون معرفة الهدف الذي تسعى اليه، فأجابت قرة العين: أن الهدف هو البشارة بظهور القائم الموعود وان الدليل على ذلك هو الآيات التي جاء بها. وكان أغا عبد الله البهبهاني حاضراً في المجلس فقال يتحداها بأنه يطلب دليلاً غير هذه الآيات، فأجابته انها تطلب "المباهلة" منهم حيث يجتمعون كلهم معها في مكان يعيّنه الأمير، ثم يتباهلون ويجعلون لعنة الله على الكاذبين، وبذا تكون النتيجة أن يموت المبطل في مكانه.

أظهر الأمير السرور بهذا الطلب، وأوعز الى البهبهاني بان يعين موعداً للمباهلة غير ان البهبهاني اعتذر بأنه مريض وانه سيحضر المباهلة متى تم له الشفاء من مرضه. ثم خرج بعدئذ من البلدة واختفى في بستان خارجها.

وكتب البهبهاني رسالة الى عم قرة العين في قزوين يخبره بما فعلت ابنة أخيه في كرمنشاه من اظهار أمر الباب ونسخ الشريعة. وبعد مرور خمسة عشر يوما على ذلك وصل الى كرمنشاه أربعة رجال من اقرباء قرة العين واتفقوا مع قائد العسكر السرتيب صفر علي على تسفير قرة العين عنوة. وقبل شروق الشمس من اليوم

التالي، أحاط الجنود بالمنازل الثلاثة التي كانت قرة العين تنزل فيها مع أصحابها، فأخرجوا الأمتعة منها وحملوها على بغال كانوا قد أعدوها من قبل، فخرجت اليهم قرة العين وهي متحجبة تنادي فيهم: "قد ظهر الموعود أيها الغافلون، قد ظهر الرب الودود وأنتم ميتون!" فحدث هرج ومرج، ثم حصل اعتداء على الشيخ صالح الكريماوي والشيخ سلطان الكربلائي والملا إبراهيم المحلاتي.[1]

قرة العين في همدان:

توجهت قرة العين مع أصحابها نحو همدان. والمعروف عن سكان هذه البلدة ان الكثير منهم كانوا شيخيين، فلما سمعوا بقدوم قرة العين عليهم استعدوا لاستقبالها والاحتفاء بها باعتبارها شيخية مثلهم. وقد مكثت قرة العين في همدان تسعة أيام كانت في خلالها تسعى بحماس لنشر الدعوة الجديدة، فتأثر بها عدد من النساء والرجال.

وكان من بين الذين تأثروا بها في همدان اثنان من أحبار اليهود هما الملا الياهو والملا لالازار، فقد عرضت قرة العين على هذين اليهودين آيات من التوراة وكتب الأنبياء فيها اشارة الى ظهور الباب فتعجبا من سعة اطلاع قرة العين على الكتب المقدسة، ولما ألقيا عليها الاسئلة المختلفة في هذا الأمر أجابتهما بما أقنعهما. وكانت تلك البذرة الأولى لانتشار الدعوة البابية بين اليهود.[2]

وأرادت قرة العين أن تجتذب اليها كبير المجتهدين في همدان فأرسلت اليه الملا إبراهيم المحلاتي برسالة تدعوه فيها الى التصديق بظهور الموعود وتبرهن له على صحة ذلك بالآيات والأحاديث "الصحيحة". وحين دخل الملا إبراهيم الى مجلس

---

1 اغا محمد مصطفى بغدادي (المصدر السابق) ص 111 - 114.
2 عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص 197 - 201.

المجتهد وسلمه الرسالة استشاط هذا غضباً وأخذ يلعنه بأشنع الألفاظ، فرد عليه الملا إبراهيم ينصحه قائلاً: "ليس من شأن أهل العلم والعرفان مقابلة الدليل والبرهان باستعمال لسان الطعن والقدح"، فاضطرم المجتهد حنقاً عليه وأمر بضربه واهانته، فهجم الطلبة عليه وأوسعوه ضرباً ثم سحبوه وألقوا به خارج المنزل. وحمله بعض الناس الى دار قرة العين، فلما رأته بتلك الحالة أظهرت السرور وقالت له: "طوبى لك وصلى الله عليك بما قدمت نفسك فداء لاعلاء كلمة ربك الأعلى" ثم أمرت الأصحاب بمعالجته، وظل هو طريح الفراش سبعة أيام حتى تماثل للشفاء.[1]

قرة العين تهجر زوجها:

غادرت قرة العين همدان قاصدة الى بلدتها وموطن أسرتها قزوين، وعندما وصلت اليها نزلت في بيت والدها ولم تذهب الى بيت زوجها الملا محمد، فأرسل اليها زوجها نسوة لاقناعها بالعودة الى بيته غير انها رفضت بإصرار ان تستجيب له وقالت للنسوة: "قولوا لهذا القريب الأحمق المغرور لو كان قصدك حقاً أن تكون رفيقاً لي وزوجاً لكنت أسرعت لمقابلتي في كربلاء ولسرت على قدمك لحراستي وحراسة هودجي طول الطريق الى قزوين، واذ ذاك كنت أثناء سفري معه أقدر أن أوقظه من نوم غفلته وأظهر له طريق الحق. ولكن ذلك لم يقدر عليه، وقد مر على فراقنا ثلاث سنوات فلا يمكن له في هذه الحياة ولا في الحياة الآخرة أن أجتمع به فقد طرحته كلية من حياتي للابد.[2]

ان هذا العمل الذي قامت به قرة العين اذ هي هجرت زوجها خلافاً للتقاليد الشرعية والعرفية السائدة كان بمثابة سلاح ماض في يد خصومها فوجهوا اليها نقداً شديداً وألصقوا بها شتى التهم - وقد

---

1 المصدر السابق - ص 201 - 202.
2 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 218 - 219.

حاول أحد المؤلفين البهائيين تبرير هذا العمل فقال في ذلك ما نصه: "ولا يخفى أن سيدة مثل قرة العين بذّت الرجال في العلم والعرفان، وذاقت روحها حلاوة شهد الفضل والايقان، وأدهشت كل من سمع بياناتها الفائضة من لسانها الطلق، لن تقبل قط أن تقيم صاغرة كسائر النساء في منزل قرينها المستبد المنتقد لجميع أعمالها وأقوالها وسلوكها، وتقبع في كسر بيتها مكتفية بالاشتغال في بسائط الأمور المنزلية، وتجعل نفسها أسيرة في يد شخص فيه من الأطوار والأخلاق مثل ما كان عليه ابن عمها هذا. فلا جرم ان لم تقبل بوجه من الوجوه أن تجيب هذا الطلب ورفضته الرفض البات، ووقع حينئذٍ فراق البينونة بينهما، وصرفت النظر عن أولادها وتركتهم.[1]

مقتل الملا محمد تقي:

كان هذا القرار الحاسم الذي اتخذته قرة العين في هجران زوجها سبباً في نشوب خصام شديد بينها وبين والد زوجها الملا محمد تقي الذي كان كبير علماء قزوين كما أسلفنا. وقد حاول والد قرة العين التوفيق بين بنته وأخيه فلم يوفق واضطر الى الاعتزال وترك الأمور تجري لمقاديرها.

صار الملا محمد تقي يصعد المنبر بعد كل صلاة فينهال باللعن والطعن على الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي وكل من اتبعهما من البابيين وغيرهم. وانتشر الهياج من جراء ذلك بين العامة فأخذوا يطاردون الشيخيين والبابيين جميعاً ويعتدون عليهم. ومن القصص التي تروى في هذا الشأن أن أحد الشيخيين تجرأ في تلك الآونة فأعلن مدح الاحسائي والرشتي وأظهر فضائلهما، ولما سمع الملا محمد تقي بأمره حكم عليه بالكفر وبطرده من البلدة، فتجمع العامة عليه ونزعوا عمامته ثم ربطوا عنقه بها وأخذوا

1 عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص 203 - 204.

يسحبونه في طرقات البلدة حافياً وينهالون عليه بضرباتهم وشتائمهم.[1] ويُروى عن رجل آخر اسمه الملا جليل الأرومي انه كان يتجول في البلدان يبشر بظهور الباب، ولما مر بقزوين وعلم به الملا محمد تقي أمر بعض طلبته فقبضوا عليه وجاؤا به الى داره، ثم أمر بوضعه في "الفلقة" وبضربه على رجليه.[2]

لم يمض على ذلك سوى مدة قصيرة حتى هجم رجل مجهول على الملا محمد تقي وهو يصلي في المسجد فجراً فطعنه بالخنجر طعنات كانت القاضية عليه.[3] فارتجت البلدة كلها لمقتله وذهب ابنه الملا محمد الى دار الحكومة وقد شق ثوبه وهو يبكي وينتحب فأحدث هياجاً بين العامة واشتعلت نيران الفتنة وصارت حياة الشيخيين والبابيين في خطر شديد.[4]

ومما يلفت النظر في هذا الصدد أن قرة العين كانت قبل مقتل عمها بأيام معدودة قد أوعزت الى أصحابها بمغادرة قزوين والعودة الى مواطنهم اذ قالت لهم: "لابد من وقوع زلزلة عظيمة ترتج منها قزوين وتسفك دماؤكم جميعاً، وان الله يريد بكم خيراً في المستقبل..." غير انها استثنت من أصحابها رجلين هما الشيخ صالح الكريماوي والملا إبراهيم المحلاتي وقالت لهما ان الشهادة لهما قد حانت.[5]

وقد تحققت نبوءة قرة العين، فكان الشيخ صالح الكريماوي من أوائل المتهمين بقتل الملا محمد تقي، فسيق الى طهران وقتل في الميدان الذي يقع في وسطها، وهو يعتبر أول من سفك دمه في

---

1 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 220.
2 عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص 205 - 206.
3 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 220.
4 عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص 208.
5 أغا محمد مصطفى البغدادي (المصدر السابق) ص 118 - 119.

سبيل الدعوة الجديدة في ايران. ثم هجم الغوغاء في قزوين على متهمين آخرين كان منهم الملا إبراهيم المحلاتي فقطعوا أجسامهم إربا إربا.[1] أما قرة العين فقد سُجنت في حرم سراي الحاكم تحت المراقبة الشديدة، فلبثت في ذلك مدة، ولكنها استطاعت أن ترسل رسالة الى المرزا حسين علي النوري في طهران تستنجد به.[2] وكان هذا الرجل من ذوي الثراء والنفوذ ومن السابقين في اعتناق الدعوة البابية وكان الباب قد منحه لقب "بهاءالله". فاستطاع أن يبعث الى قرة العين من تمكن من تهريبها من قزوين وجاء بها الى طهران، فأخفاها في بيته. وظلت قرة العين مختفية في بيت بهاءالله الى أن تقرر عقد مؤتمر "بدشت" قرب خراسان فرحلت للمشاركة فيه.

"مؤتمر بدشت":

ان "بدشت" مكان تكثر فيه المروج والبساتين يقع على نهر شهرود بين مازندران وخراسان. وقد قرر البابيون عقد مؤتمر لهم فيه على أثر اعتقال الحكومة للباب في قلعة "ماكو" وهم انما اختاروا هذا المكان لبعده عن مزدحم الناس وتطفلهم. وكان الغرض من عقد المؤتمر هو للمداولة في أمرين، أولهما كيف يمكن انقاذ الباب من معتقله، والثاني هل تنسخ أحكام الشريعة الاسلامية أم تبقى على حالها. وقد انعقد المؤتمر في حزيران من عام 1848 م وحضره أقطاب البابيين من مختلف البلدان الايرانية فبلغ عددهم واحدا وثمانين كان فيهم قرة العين وبهاء الله، ولم يتغيب منهم سوى "باب الباب" أي الملا حسين البشروئي لانشغاله بأمر آخر في خراسان.

---

1 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 222 - 224.

2 عمر رضا كحالة (أعلام النساء) دمشق 1959 - ج 4 ص 197 - 198.

الواقع أن مؤتمر "بدشت" مهم جدا اذ هو يفصل بين عهدين في تاريخ الدعوة البابية. فقد كانت هذه الدعوة قبل مؤتمر "بدشت" تعتبر فرقة من الشيخية لا تختلف عنها الا في بعض الجزئيات التي لا أهمية لها، أما بعد المؤتمر فقد أصبحت الدعوة البابية فرقة قائمة بذاتها أو هي بعبارة أخرى أصبحت دينا جديدا.

يبدو أن المشتركين في المؤتمر لم يهتموا بأمر انقاذ الباب بمقدار ما اهتموا بالأمر الثاني وهو: هل تنسخ الشريعة الاسلامية أم تبقى على حالها. وتشير القرائن الى أنهم منذ بداية المؤتمر انقسموا الى فئتين مختلفتين: احداهما ترى وجوب نسخ الشريعة، والأخرى ترى وجوب الابقاء عليها.

كانت قرة العين على رأس القائلين بوجوب نسخ الشريعة، وكان رأيها أن الباب أعظم مقاما من جميع الأنبياء الذين سبقوه وأن له الحق في نسخ الأحكام الاسلامية القديمة والاتيان بأحكام جديدة. أما المعارضون لهذا الرأي فكان على رأسهم محمد علي البارفروشي وهو الشاب الذي رافق الباب في رحلة الحج ومنحه الباب لقب "القدوس"، وكان ذا منزلة رفيعة لدى البابيين ويعده البعض منهم في مقام الملا حسين البشروئي أو هو أرفع مقاما منه. وقد وقف هذا "القدوس" يعارض قرة العين معارضة شديدة وتابعه الكثير من البابيين، وكان رأيه أن الباب ليس سوى مروج للشريعة الاسلامية ومصلح لها مما طرأ عليها من الفساد والابتداع، ولهذا فهي يجب أن تبقى على ما كانت عليه في الكليات والجزئيات جميعا.[1]

بينما كان الخلاف يشتد في المؤتمر بين قرة العين والقدوس كان بهاءالله ساكتا ويبدو أنه اتخذ موقف الحياد بين الفريقين وبقي ينتظر ما تتمخض عنه الأيام. وظلت قرة العين تكافح في سبيل

1 عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص 217 - 221.

رأيها وتسعى الى اجتذاب القوم اليها بكل جهدها، فهي كانت تعلم علـم اليقين أن رأيها لـو تحقق لانفض عن الدعوة البابيـة الكثير من أتباعها، ولكنهـا أصرت على الرأي بالرغـم من ذلك وأعلنت قائلة: "أن هذا العمل سيبرز الى ساحة الوجود لا محالة وسيطرق هذا القول اذن العام والخاص، اذن فكلما أسرعنا في الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر وللعمل الذي نقوم به حتى ينفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد ولا يبقى معنا الا كل قوي مخلص يفدي بنفسه هذا السبيل القويم البديع".[1]

عزمت قرة العين أخيرا أن تقوم بعمل تحسم به الجدال الذي استفحل بين القوم، ففي أحد الأيام بينما كان القدوس وأكثر القوم مجتمعين في خيمة بهاءالله فاجأتهم قرة العين وهي تدخل عليهم سافرة الوجه ومتزينة، وكان هذا على خلاف عادتها اذ كانت قبلئذ متمسكة بالحجاب الشديد على طريقة النساء في زمانها، وكأنها أرادت بعملها هذا أن تنسخ حكما من أحكام الشريعة هو تحريم التبرج الذي نزل به القرآن.

أثار دخول قرة العين على القوم بهذه الصورة ذهولا عظيما. يقول صاحب كتاب "مطالع الأنوار" في وصف ما حدث: "فأخذت الناس الدهشة ووقف الكل حائرين أمام هذا المنظر الغير منتظر. وكانوا يظنون أن رؤيتها غير محجبة من أكبر المحال وأن النظر الى خيالها وظلها غير جائز لأنهم يعتبرونها مظهر فاطمة الزهراء ورمزا لعصمة الطهارة".[2]

حاول بعضهم اخفاء وجوههم بأيديهم، ووضع آخرون رؤوسهم تحت عباءاتهم لكي لا يقع نظرهم على وجه قرة العين، ولم يملك واحد منهم نفسه فعمد الى رقبته فحزها بسكين كانت بيده ثم خرج

---

1 المصدر السابق - ص 220 - 221.
2 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 234.

من المجلس والدماء تنزف منه وهو يصرخ مهتاجا، واقتدى به آخرون فخرجوا وراءه ولم يرجعوا اذ هم انفصلوا عن الدعوة وعادوا الى عقيدتهم القديمة. أما الذين صمدوا فقد وقفوا بلا حراك وهم متحيرون في أمرهم لا يدرون ماذا يفعلون. أما القدوس فقد استل سيفه وهو في غضب شديد كأنه يريد أن ينقض على قرة العين ليقتلها.

لم تتأثر قرة العين بما جرى ولم ترهب سيف القدوس بل قامت تخطب في الحاضرين بكل جرأة وبلاغة. يقول صاحب كتاب "مطالع الأنوار" أنها وقفت وقد أضاء وجهها بشعور الفرح والغبطة والنصر وأخذت تخطب ارتجالا باسلوب شبيه باسلوب القرآن، ثم قالت: " اني أنا الكلمة التي ينطق بها القائم والتي تفر منها نقباء الأرض ونجباؤها"، والتفتت نحو القدوس تلومه على عدم طاعته لها، ثم وجهت كلامها الى الجميع حيث طلبت منهم أن يحتفلوا بهذه المناسبة السعيدة، وقالت: "ان هذا اليوم يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذي تفك فيه قيود الماضي. فليقم كل من يشترك في هذا المجد ويعانق صاحبه".[1]

ان هذا الموقف الجريْ الذي وقفته قرة العين حسب رواية "مطالع الأنوار" يرويه خصوم البابية بشكل اخر، يقول صاحب كتاب "مفتاح باب الأبواب" أن قرة العين صعدت المنبر في المؤتمر وخطبت قائلة:

"اسمعوا أيها الأحباب والأغيار... واعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن لظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا، وان اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل، ولا يعمل بها بعد الآن الا كل غافل و جاهل، ان مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر

1 المصدر السابق - ص 232 - 235.

العباد، وستخضع له الأقاليم السبع المسكونة، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة، حتى لا يبقى الا دين واحد، وذلك الحق هو دينه الجديد، وشرعه الحديث، الذي لم يصل الينا الى الآن منه الا نزر يسير. فبناء على ذلك أقول لكم وقولي هو الحق: لا أمر اليوم ولا تكليف، ولا نهي ولا تعنيف، وإنا نحن الآن في زمن الفترة، فاخرجوا من الوحدة الى الكثرة، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم، بأن تشاركوهن بالأعمال، وتقاسموهن بالأفعال، واصلوهن بعد السلوة، واخرجوهن من الخلوة الى الجلوة، فما هن الا زهرة الحياة الدنيا، وان الزهرة لا بد من قطفها وشمها، لأنها خلقت للضم وللشم، ولا ينبغي أن يعد ولا يحد شامّوها بالكيف والكم، فالزهرة تجنى وتقطف، وللأحباب تهدى وتتحف، وأما ادخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال، فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال، لأنه لم يخلق لنفس واحدة تتلذذ به من حيث يتحسر المحروم، بل هو حق مشاع غير مقسوم، جعل للاشتراك بين الناس، وللتداول من دون احتكار ولا اختصاص، فليشارك بعضكم بعضا بالأموال، ليرفع عنكم الفقر ويزول الوبال، ساووا فقيركم بغنيكم، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، اذ لا رادع الآن ولا حد، ولا منع ولا تكليف ولا صد، فخذوا حظكم من هذه الحياة، فلا شيء بعد الممات".[1]

اننا لا نستطيع أن نسلم بصحة هذه الخطبة تسليما تاما، فهي مروية بقلم أحد الخصوم ومن طبيعة الخصم أنه ميال للمبالغة في ذكر الحقيقة أو اختلاق الأكاذيب فيها كما لا يخفى. ومهما يكن الحال فقد أجمع الرواة - البابيون وخصومهم جميعا - على أن الخطبة أحدثت نزاعا شديدا بين الحاضرين، فقد تعصب فريق منهم الى رأي قرة العين بينما تعصب آخرون الى رأي القدوس. وقد

1 محمد مهدي خان (مفتاح باب الابواب) القاهرة 1321هـ - ص 180 - 181.

وصف كتاب "مطالع الأنوار" هذا النزاع الشديد الذي حدث بين البابيين فقال ما نصه:

"وحصل اضطراب عظيم بين الذين قاموا على نشر هذا الاصلاح بكل جهدهم. وكان بعضهم لا يوافق على حصول مثل هذا التغيير الأساسي وظنوا أنه عين الكفر وامتنعوا أن ينسخوا ما يعتبرونه أعظم أحكام الاسلام التي لا تنسخ، وطائفة اعتبرت أن قول الطاهرة هو الفصل في مثل هذه الأحوال وأن طاعتها واجبة على جميع المؤمنين، وتمسك البعض ممن امتعضوا من تصرفها مع القدوس واعتبروه انه هو الممثل والنائب عن الباب والوحيد الذي يحق له أن يحكم في مثل هذه الأمور الخطيرة، ونظر فريق غير هؤلاء الى الحادثة بأجمعها انها عبارة عن امتحان الهي لفصل الصادقين من الكاذبين، والمؤمنين عن الكافرين، وكانت الطاهرة في كثير من الأحيان ترفض اطاعة القدوس وتقول: (اني أعتبر القدوس تلميذا أرسله اليّ الباب لتعليمه وتهذيبه ولا أنظر اليه بنظر آخر). ولم يمتنع القدوس أن يتهم الطاهرة أنها صاحبة هذه الفتنة وادعى أن الذين يدعون الى رأيها وقعوا فريسة للخطأ. واستمرت حالة المشادة بين الاثنين بضعة أيام الى أن توسط بهاءالله وبطريقته المثلى وفق بينهما تماما، ولمّ شعثهما، ولأم الجرح الذي سببه هذا الهياج والنزاع الحاد، وبذلك وجه همة كل منهما الى طريق الخدمة المنتجة. وحصل المقصود من هذا الاجتماع المنشود، لأن النداء بالنظام الجديد كان بمثابة النفخ بالصور، فمسخت التقاليد العقيمة المجمع عليها والتي كانت تقيد ضمائر الناس، ومحيت بكل جسارة وبغير وجل. فتهيأت الطريق لاعلان الأحكام والقواعد الجديدة التي جاء بها الأمر الجديد. وعزم بقية الجمع المحتشد في بدشت على الرحيل الى مازندران. ورحل القدوس مع الطاهرة في هودج واحد أعده لسفرها بهاءالله. وفي الطريق كانت الطاهرة تنظم قصيدة وتأمر الأصحاب أن ينشدوها أثناء سيرهم خلف الهودج، وكانت

الجبال والأودية تردد أصوات وأناشيد ذلك الجمع المتحمس أثناء سفرهم إيذانا بمحو القديم وبعث اليوم الجديد".[1]

فترة النسخ:

ويروي لنا مؤلف "مفتاح باب الأبواب" ما الذي جرى في قرية "نيالا" فيقول: ان قرة العين عندما وصلت مع أصحابها الى تلك القرية ابتغاء الراحة من وعثاء السفر، وسمع بهم أهل القرية وبما هم فيه، فتجمعوا زرافات ووحدانا، وتسلحوا وهجموا عليهم، وفرقوا شملهم، وقتلوا منهم نفرا معدودين، وجرحوا جماعة، وأخذوا أموالهم وسلبوا أحمالهم، ثم أطلقوا سبيلهم وهم عراة حفاة.[2]

ان هذه الرواية التي جاءت في كتاب "مفتاح باب الأبواب" ينكرها البابيون والبهائيون انكارا تاما ويعدونها من أكاذيب الخصوم. ويعلق عليها السيد كامل عباس الذي كان سكرتير المحفل البهائي ببغداد سابقا فيقول: ان قرة العين كانت موضع ثقة العلماء وقد شهدوا بطهارتها في كل أدوار حياتها، أما ما ورد في كتاب "مفتاح باب الابواب" فهو مختلق وملفق.[3]

وقد تحدث كاتب هذه السطور الى السيد كامل عباس فسأله عن "فترة النسخ" وهل هي تشمل قواعد الزواج والطلاق مثلا، فكان جوابه: ان الفترة شملت التكاليف التعبدية فقط كالصوم والصلاة ونحو ذلك، أما التعاليم الاخلاقية فلم يحدث فيها أي تبديل اثناء الفترة لأن الاديان كلها تتشابه في الاخلاق فلا فرق بين القديم والجديد منها.

---

1 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 235 - 236.
2 محمد مهدي خان (المصدر السابق) ص 182.
3 عبد الرزاق الحسني (البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم) صيدا 1957 - ص 77.

مصير قرة العين:

في 9 تموز من عام 1850م أعدم الباب في تبريز بناء على فتاوى صدرت من علماء تلك المدينة. وقد أثار مقتله حنق بعض أتباعه فصمموا على اغتيال الشاه ناصر الدين أخذاً بثأره. وفي 15 آب من عام 1852م بينما كان الشاه يتريض خارج قصره عند سفح جبل شمران تقدم نحوه رجلان وبيد احدهما عريضة وهما يصرخان "الظليمة الظليمة، الغوث الغوث"، فلما مد الشاه يده لتسلم العريضة، عاجله الثاني بطلق ناري أصاب فخذه اصابة خفيفة، وسرعان ما تداركه الحرس فقتلوا احد الرجلين وأمسكوا بالثاني جريحا. وكانت محاولة الاغتيال هذه إيذانا ببدء حملة واسعة النطاق في انحاء ايران للبحث عن البابيين وقتلهم، وقد ذهب الكثير من الأبرياء ضحايا من جراء اتهام الخصوم لهم بأنهم من البابيين.

شهدت طهران آنذاك ضروبا من التعذيب والقسوة الفظيعة اشترك فيها الأهالي والحكومة معا. قيل ان البابيين الذين اعتقلوا في طهران وزعوا على مختلف طبقات الناس، فأخذ كل منهم حصته من البابيين وشهروهم في طرقات المدينة وأهانوهم وعذبوهم ثم قتلوهم.[1] وروى سايكس ان بعض البابيين قُطّعوا بالفؤوس، وعندما أُعطي طبيب الشاه الفرنسي حصته من البابيين رفض تقطيع ضحيته بالفؤوس حيث اعتذر قائلا: انه قتل بحكم مهنته من الناس ما فيه الكفاية وهو لا يريد ان يضيف الى القائمة ضحايا جديدة.[2]

كانت قرة العين من جملة الذين ألقي القبض عليهم غير انها أودعت لدى محافظ مدينة طهران محمود خان كلانتر. ومما يلفت

---

1 عبد الرزاق الحسني (المصدر السابق) ص 33.

2 - Sir Percy Sykes (A History of Persia) London 1958 vol. 2, P. 344 .

النظر انها لم تراع الظروف الإرهابية المحيطة بها فكانت طيلة فترة اعتقالها في دار المحافظ دائبة على التبشير بالدعوة البابية. انها كانت تنتهز مناسبات الولائم والمجالس النسائية التي تعقد في تلك الدار لتلقي فيها أحاديثها المثيرة. والظاهر ان وجود قرة العين في تلك الدار جعل النساء يتهافتن عليها ليحظين بمشاهدة تلك المرأة المشهورة التي أصبح اسمها على كل لسان. وأخذت قرة العين تضرب على أوتار قلوب النساء وتظهر لهن المنزلة الواطئة التي خصصها رجال الدين القديم للمرأة وكيف ان الدين الجديد رفع من شأن المرأة ومنحها حريتها.

أرسل الصدر الأعظم الى قرة العين رجلين من العلماء، هما الملا محمد اندرماني والملا علي كنى، من أجل امتحانها وكتابة تقرير عن عقيدتها الدينية لكي يتخذ الاجراء المناسب لها. وقد عقد الرجلان معها سبع جلسات لامتحانها، فكانت هي في كل جلسة تناقشهما بحماس وتبرهن لهما ان الباب هو الامام المنتظر الموعود، وكان ردهما عليها ان الامام المنتظر يجب ان يظهر من مدينتي "جابلقا" و "جابرسا" حسبما ورد في المصادر الدينية، فكانت تجيبهما بأن هذا باطل محض اخترعه الرواة الكذابون وان المدينتين المذكورتين لا وجود لهما مطلقا وما هما سوى خرافة تليق للمجانين، ثم قالت بتأثر: "ان الأدلة التي تسوقانها هي أشبه بأقوال طفل غبي جاهل، فإلى متى تسيران وراء هذه الأكاذيب والخرافات الجنونية، والى متى لا ترفعان رأسكما لتريا شمس الحقيقة". فغضب الملا علي من هذه الأقوال ونهض قائلا لصاحبه: "ما هي الفائدة من زيادة البحث والمناقشة مع كافرة!". ثم خرجا وكتبا تقريرا ذكرا فيه ان قرة العين قد ارتدت وكفرت ورفضت التوبة وانها تستحق القتل عملا بحكم القرآن.[1]

1 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 497 - 498.

واختلفت الأقوال في الكيفية التي قتلت بها قرة العين، فمن قائل: انها وضعت في فوهة مدفع واطلقت عليها قنبلة مزقتها اربا اربا،[1] ومن قائل: انها رُبطت من شعرها بذيل بغل فسحبت الى المحكمة وهناك صدر الحكم بإحراقها حيّة، غير ان الحكومة أوعزت بتأخير الإحراق الى ما بعد موتها، فخنقت ثم ألقيت جثتها الى النار.[2] ويروي المستشرق براون نقلا عمن سمع من محمود خان كلانتر: ان الشاه استدعى قرة العين الى قصره في نكارستان وطلب منها التبري من الباب ولما رفضت قرة العين ذلك وأصرت على الرفض أمر الشاه بالقائها في بئر كانت في حديقة القصر، ثم ألقيت فوقها أربعة أحجار ضخام، وهيل عليها التراب.[3] أما صاحب كتاب "مطالع الأنوار" فيذكر: ان قرة العين أخذت من دار المحافظ الى حديقة الايلخانة، وهي حديقة كانت موجودة في ذلك الحين مقابل السفارة البريطانية، فخُنقت بمنديل من الحرير قدمته هي بنفسها الى جلادها، ثم أنزلت في بئر كانت قد حفرت هنالك حديثا، وهيل عليها التراب.[4]

كلمة تقييم:

حين نستقرئ سيرة قرة العين منذ بداية أمرها حتى ساعة مقتلها نشعر بأنها امرأة ليست كسائر النساء، فهي علاوة على ما تميزت به من جمال رائع كانت تملك ذكاءا مفرطا وشخصية قوية ولسانا فصيحا، وتلك صفات أربع قلما اجتمعت في انسان واحد، وان هي اجتمعت فيه منحته مقدرة على التأثير في الناس وجعلته ممن يغيرون مجرى التاريخ.

---

1 محمد باقي الجلالي (الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية) النجف بدون تاريخ - ص 24.

2 محمد مهدي خان (المصدر السابق) ص 183.

3 E. G. Browne op. cit. P p. 541 - 542.

4 محمد زرندي (المصدر السابق) ص 500 - 501.

وصفها الكونت دي غوبينو في كتابه "الأديان والفلسفات في اسيا الوسطى"، وهو قد زار ايران بعد مقتل قرة العين بمدة قصيرة، فقال: "... كان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها في أوقات مختلفة من حياتها يذكرون لي دائما انها فضلا عما اشتهرت به من العلم والغزارة في الخطب فان القاءها كان من السهل الممتنع وكان الناس اثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير الى أعماق قلوبهم مفعمين بالاعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق.[1]

وكذلك وصفها صاحب كتاب "مفتاح باب الابواب" فقال: "وقصارى القول ان هذه الفتاة كانت آية الجمال والكمال، وفريدة وصيفاتها بالحسن والاعتدال، طلقة اللسان، فصيحة البيان، عذبة المنطق، شهية الكلام، جسورة مقدامة، ومن منظومها بالفارسية والعربية ما يطرب الأديب، ويخلب لب الأريب، ولكن قضى عليها سوء الحظ ونكد الطالع (ان صح جميع ما يقال عنها) ان تحيد عن محجة الحق والصواب، وتميل عن منهج الهدى والثواب، وتأتي بما تمجه نفوس أولي الألباب، حتى ترتكب ما أطفأت به نور جمالها الزاهي الزاهر، ومحقت بدر كمالها البهي الباهر، ولله الأمر في الأول والآخر".[2]

الملاحظ من خلال سيرتها انها كانت شديدة الميل الى التجديد في العقيدة، فهي قد اعتنقت العقيدة الشيخية عندما كانت تلك العقيدة جديدة بالنسبة الى عقائد الشيعة المألوفة، غير انها لم تكد تسمع بظهور الباب حتى أسرعت الى اعتناق دعوته. ورأيناها منذ اعتنقت الدعوة البابية تتزعم القائلين بتجديد الشريعة بين أتباع تلك الدعوة، مرة في كربلاء واخرى في الكاظمية وثالثة في بدشت، حتى كتب لها الفوز اخيرا. وقد يصح القول انه لولا قرة العين لما سار تاريخ الدعوة البابية على النحو الذي سار عليه فعلا.

---

1 المصدر السابق ص 505.

2 محمد مهدي خان (المصدر السابق) ص 183 - 184.

حاول بعض الخصوم تعليل هذا الميل لتجديد الشريعة عند قرة العين بأنه نتيجة زواجها الفاشل من ابن عمها، ففي رأيهم انها كانت تبغض زوجها من أعماق قلبها ولما كانت الشريعة الاسلامية لا تمنح المرأة حق الانفصال عن زوجها او الطلاق منه فقد اندفعت قرة العين اندفاعا لا شعوريا نحو اعتناق كل دعوة تتيح لها نسخ الشريعة لكي تتخلص من ربقة زوجها البغيض على وجه من الوجوه.

اني اعتقد على أي حال ان قرة العين امرأة لا تخلو من عبقرية وهي قد ظهرت في غير زمانها، او هي سبقت زمانها بمائة سنة على أقل تقدير. فهي لو كانت قد نشأت في عصرنا هذا، وفي مجتمع متقدم حضاريا، لكان لها شأن آخر، وربما كانت أعظم امرأة في القرن العشرين!

الملحق الخامس

نبذة مختصرة عن البهائية[1]

المؤسس: ميرزا حسين علي بن ميرزا عباس النوري، لقّب نفسه فيما بعد بـ (بهاءالله).[2]

---

1 اقتبست معلومات هذا الفصل من كتاب "بهاءالله والعصر الجديد" المترجم من اللغة الانجليزية، تأليف الدكتور جون أسلمنت، وكذلك من كتاب "مطالع الأنوار" لنبيل زرندي.

2 بهاء الله (1817-1892): ولد في طهران (ايران) وتوفي في عكاء. لقب ميرزا حسين علي نوري، خليفة علي محمد (الباب)، مؤسس البهائية، ترك سلطته الروحية لإبنه عباس أفندي (عبد البهاء) ادعى انه (من يظهره الله). أهم مؤلفاته كتاب الأقدس و (الايقان). (من كتاب المنجد في

ولادته ووفاته: ولد في الثاني من محرم 1233هـ (1817م) في مدينة طهران – إيران. وتوفي في سجن عكاء في فلسطين عن عمر قارب 75 عاما، منفياً بأمر الحكومة العثمانية في 29 مايو سنة 1892م.

أولاده: له العديد من الأولاد، أشهرهم عباس أفندي (عبد البهاء).[1]

إعلان الدعوة: تقسم فترة إعلان الدعوة الى أربعة مراحل:-

1 – الدعوة السرية: من سنة 1852م في سجن سياه چال في طهران الى سنة 1863م في بغداد وقت خروجه منها.

2 - الدعوة الخاصة: إبريل سنة 1863م بغداد - حديقة نجيب باشا لجمع من أصحابه البابيين.

3 - الدعوة لعموم البابيين: 1864م-1868م / ادرنة تركيا.

4 - الدعوة لعموم العالم: 1868م-1892م، عكاء – فلسطين.

مدة الدعوة: من سنة 1852م حتى سنة 1892م. قضاها بأكملها بين نفي متكرر وسجن وحبس واعتزال.

كتبه: له كتب عديدة أهمها "الأقدس" باللغة العربية ويحتوي غالبيه أحكام البهائية، و "ألواح الى الملوك والرؤساء" و "مجموعة من ألواح نزلت بعد كتاب الأقدس" و "بشارة النور" و

اللغة والاعلام – دار المشرق بيروت – الطبعة الحادية والعشرين – بيروت في 1 كانون الثاني 1973م).

1 جاء في كتاب المنجد: عباس أفندي (عبد البهاء بن حسين علي) 1844-1921: ولد بطهران وتوفي بحيفا. نهض بشأن البهائية تنظيماً ونشراً. له (الخطابات).

"الايقان" و "الكلمات المكنونة" و "لئالئ الحكمة" عدة أجزاء، و "آثار قلم أعلى" عدة أجزاء، و كتاب "مبين" و "كتاب بديع" و "مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله" عدة أجزاء، وكتب عديدة من الأدعية والمناجاة يقدر عددها تقريبا بالمائة مجلد باللغتين العربية والفارسية.

تعليمه: تقول المصادر التاريخية البهائية أن بهاء الله لم يتعلم ولم يدخل المدارس قط.

الحالة الاجتماعية: من كبار الأغنياء في ايران، أمير وابن وزير سابق في الحكومة القاجارية.

* * *

كانت نهاية المذبحة الواسعة التي أطلقت شرارتها الأولى محاولة ثلاثة من شباب الدين الجديد الثأر لاستشهاد رسولهم الشاب في الإقدام على محاولة قتل الشاه، وبعد فشل هذه المحاولة الغبية، وجد الخصوم فرصة ذهبية للقضاء على الفكر الجديد، فقامت قيامتهم وتضافروا واتحدوا اتحاداً لم يسبق له مثيل وفتكوا بكل من كان له صله بهؤلاء القوم، بل ان الأحقاد امتدت لتطول الكثيرين ممن لا علاقة لهم بالموضوع ولم يسمعوا باسم البابية، فراح الناس يتبادلون الوشاية فيما بينهم للتخلص من دائن لئيم او عدو سابق او مكروه آبق او منافس قوي. وهكذا امتدت يد العقاب الى أبرز الشخصيات البابية وأفنتهم ولم تبق منهم أحداً، حتى وصلت الى شخص بهاءالله مؤسس الديانة البهائية فيما بعد، وكان من رجال إيران البارزين وابن وزير سابق معروف وناشر فعال للديانة البابية ومبادئها. وبمجرد أن علم بورود اسمه في التحقيقات وانه مطلوب للمثول أما التحقيق، تقدم الى أقرب ثكنة عسكرية وسلم نفسه. فأخذ لمسافة ثلاثين كيلومتراً حافي القدمين حاسر الرأس تحيط به صرخات الجنود وغلظتهم وصياح العامة وتصيبه

أحجار المارة وعصيّهم تحت حرقة أشعة شمس شهر أغسطس المحرقة، ثم ليطرح في غياهب سجن نتن تحت الأرض لا منفذ له سوى فتحة دخوله ولتوضع رقبته تحت سلاسل حديدية قارب وزنها المائة كيلوغرام تركت أثرها الغائر في عنقه وكتفيه طوال بقية عمره. ومنذ ذلك الحين أمضى بقية حياته بين نفي مكرر من بلاد الى أخرى وسجن وحبس حتى توفي سنة 1892م في سجن عكاء في فلسطين.

سجن بهاءالله مع ثمانون شخصاً من معتنقي الديانة الجديدة في سجن موبوء تحت الأرض يدعى "سياه شال" في طهران، مع أكثر من مائة وخمسون مجرماً من القتلة واللصوص وقاطعي الطريق، وكان في كل يوم كان يسحب أحد المتهمين البابيين ويساق الى ساحة الإعدام ليقتل بدون محاكمة، حتى قتلوا جميعا رغم برائتهم مما اتهموا به وعدم إثبات ذلك من قبل أي جهة. وفي النهاية، ولحسن سمعة بهاء الله ولتدخل بعض الشخصيات البارزة من اصدقائه وأقربائه في مساعدته وإثبات برائته من تهمة المشاركة في محاولة اغتيال ناصر الدين شاه، أطلق سراحه بعد قضاء أكثر من أربعة شهور في ذلك الجب، ورغم سوء حالته الصحية وعدم قدرته على المشي، فقد قضى الفرمان الملكي بمغادرته الأراضي الإيرانية، فاتجه بعد شهر واحد من إطلاق سراحه الى العراق مع أفراد عائلته في ظروف مناخية صعبة وفي برد شتاء قارس وأراضي مغطاة بالثلوج، ودخل بغداد في 21 مارس 1853م وسكن هناك حوالي أحد عشر سنة ميلادية (اثنى عشر سنة هجرية)، ثم نفي مرة أخرى حسب إرادة الباب العالي العثماني الى استنبول سنة 1863م (وهي سنة إعلان دعوته الجديدة لأتباعه البابيين) نتيجة المؤامرات التي حاكها القنصل الايراني في بغداد. وفي نفس السنة نفي مرة أخرى من استنبول مع عائلته وأصحابه الى مدينة أدرنه في أقاصي الحدود الغربية للدولة العثمانية، وبعد أربع سنوات ونصف تقريباً من استقراره

فيها، صدر الأمر من السلطان العثماني عبد العزيز بنفيه مع أهله وأتباعه الى أظلم وأبشع سجن في أراضي الإمبراطورية العثمانية آنذاك وهو سجن مدينة عكاء في فلسطين سنة 1868م بغرض إطفاء شعلة دينه وإفناء ذكره، وبقى هناك حتى نهاية حياته سنة 1892م.

ابتدأت البهائية بنزول الوحي على بهاءالله[1] وهو في سجن (سياه چال) في طهران سنة 1852م، عندما كان مقيداً ومسلسلاً في ذلك المكان الموبوء محاطا بالمجرمين والقتلة، وعندما نفي الى بغداد، لَمَّ جمع البابيين هناك وعلّمهم ونفخ فيهم روح الايمان من جديد وكان القليل منهم يعلم انه الرسول الجديد الموعود. الا ان الحكومة الإيرانية ورجال الدين لم يتركوه بعد ان شاهدوا ثمار أعماله في جمع شتات المؤمنين من جديد، فكانت المراسلات السرية والعلنية مستمرة بين كل أعدائه وحساده حتى نجحوا في النهاية من الحصول على أمر من الباب العالي في الآستانة (استنبول) بنفيه من بغداد بحجة قربها من الحدود الإيرانية واحتمال تشكيله وأتباعه خطراً على الدولة القاجارية، فتم استدعائه مع أتباعه الى العاصمة بحجة النظر في قضيته واعتباره ضيفاً على الباب

---

1 يقول بهاءالله، مترجما:
وفي أثناء حبسنا في أرض الطاء (طهران) ونحن مغلولين بالأغلال في سجن كريه الرائحة لم يسمح لنا بالنوم الا قليلا ومع ذلك أحيانا في لحظات النوم شعرت بشيء ينصب على صدري أقوى من السيل المنهمر الذي انحط من قمة جبل عال واستقر على الارض ومنه اشتعلت جميع أعضائي وفي تلك الأوقات نطق لساني بما لا تقدر أذن أن تسمعه. (من كتاب ابن الذئب صحيفة 17 انجليزي).
ويقول ايضا:- وفي ليلة من الليالي في عالم الرؤيا، سمعت هذه الكلمة العليا من جميع الجهات: (انا ننصرك بك وبقلمك، لا تحزن عما ورد عليك ولا تخف إنك من الآمنين. سوف يبعث الله كنوز الأرض وهم رجال ينصرونك بك وبإسمك الذي به أحيى الله أفئدة العالمين). (كتاب بهاء الله والعصر الجديد صفحة 39 تأليف دز جون اسلمنت).

العالي. وقبل تحركه من بغداد باثني عشر يوما خرج من بيته ليستقر في حديقة نجيب باشا في الضفة المقابلة لبيته على نهر دجلة في ناحية الرصافة من بغداد، وهناك أعلن دعوته وكشف النقاب عنها للخاصة من أتباعه البابيين.

استمر السفر البري على الجمال والخيول مائة وعشر ايام من بغداد الى استنبول، حيث لم يزد استقراره فيها عن أربعة شهور الا بضعة أيام، صدر بعدها الأمر السلطاني بنفيه وأتباعه الى أقاصي الحدود الغربية للدولة العثمانية في مدينة أدرنه، في رحلة استمرت اثنى عشر يوما من نهاية شهر ديسمبر سنة 1863م في برد قارس لم تشهد البلاد له مثيل، وكان المسافرون ما زالوا يرتدون ملابسهم الصيفية التي حضروا بها من بغداد. استقر بهاءالله وأتباعه في أدرنه أكثر من أربع سنوات ونصف، وخلالها استطاع ان ينشر أمره رويدا رويدا بين أتباع الديانة البابية والمسلمين وغيرهم من أتباع بقية الديانات وبقي يرسل خاصة أتباعه في رحلات تبليغية لنشر دعوته الى إيران والعراق ومعهم ألواحه ورسائله ومكاتباته حتى آمن بدعوته غالبية البابيين، فجميعهم كانوا موعودين بظهوره من قبل رسولهم الباب الذي بشّرهم بذلك مرارا وتكرارا في غالبية كتبه. عندما أدركت السلطات العثمانية حقيقة ما يجري على أرضها وشاهدت سيول الزوار القادمين من الشرق وهم متوجهين لزيارة بهاءالله في الغرب، أمر السلطان عبد العزيز يدفعه حث الحكومة الإيرانية ورجال دينها من جهة وكثرة المؤامرات والدسائس التي كان يحيكها ميرزا يحيى أخ بهاء الله من جهة أخرى، بنفي بهاءالله وأتباعه الى أخرب الديار العثمانية مدينة عكاء في فلسطين. كان هذا السجن موبوءاً قذراً يجمع تحت سقفه أعتى مجرمي الإمبراطورية العثمانية، فدخلها سنة 1868م واستقر في سجنها الذي كان عبارة عن بناء عسكري قديم للجيش التركي. وبعد مضي سنتين داخل السجن، شاءت الأقدار ان تحتاج الحكومة الى

هذا البناء مرة أخرى، فأمرت بإخلائه من السجناء وحبسهم في بيوت داخل المدينة بين السكان الذين كانوا يحملون أفكاراً سيئة عن هؤلاء المظلومين، فعانوا من قسوتهم وظلمهم واعتداءاتهم وشتائمهم الكثير، الا انه ومع مرور الأيام أدرك السكان ان هؤلاء السجناء ليسوا كغيرهم وانهم يحملون صفات ومثل وأفكار جيدة، فخفّت مع مرور الوقت قسوتهم. بعد قضاء بهاءالله وأتباعه تسع سنوات تقريبا في مدينة عكاء، خفّف حكام المدينة المتتالين قيود الحبس عليه، فاستطاع ان يغادر المدينة الى ريفها وسكن في قصر المزرعة لمدة سنتين ثم انتقل بعد ذلك الى قصر آخر كبير (البهجة) عاش فيه بقية حياته.

من مدينة عكاء خاطب بهاءالله جميع ملوك العالم ورؤساء دول العالم، مثل: ناصر الدين شاه ملك ايران، ونقولا الثاني قيصر روسيا، وفكتوريا ملكة انكلترا، وعالي باشا رئيس وزراء الدولة العثمانية، وويلهلم الأول قيصر المانيا، وفرانسوا جوزيف ملك النمسا، ورؤساء أمريكا، وامبراطور فرنسا نابليون الثالث، والخليفة العثماني السلطان عبد العزيز، وأعلن لهم انه الرسول الجديد الذي بشرت به كل الكتب السماوية السابقة، ودعاهم الى دينه وأتم الحجة عليهم وحذرهم والبشرية جمعاء من مستقبل عالمي لا تحمد عقباه إن هم أصروا على نكرانه، وكتب لكل واحد منهم لوحاً خاصاً يدعوه للإيمان به ويحذره من تجاهل دعوته، وبذلك أتم حجته على الجميع.

تعيد تعاليم بهاء الله المبادئ الإلهية الأساسية التي أعلنها رسل القبل. ويمكن قراءة بعض هذه التعاليم في كتاب صغير اسمه "الكلمات المكنونة"، الا انه أضاف الى هذه الحقائق الخالدة تعاليم جديدة لم تعلن من قبل أي رسول إلهي سابق. وها هي بعضها:-

ان أول تعاليم البهائية هي وحدة العالم الانساني، فجميع البشر هم عائلة واحدة، حيث يخاطب بهاءالله الناس بقوله: "أنتم أثمار شجرة واحدة وأوراق غصن واحد"(مترجم). ويعني ان عالم البشر مثل شجرة والأمم والملل أغصانها، والرجال والنساء أثمارها وأورادها. ومن أقواله أيضا: ان بعض الناس نيام يحتاجون الى الإيقاظ، وبعضهم مرضى بحاجة الى الشفاء وبعضهم كالأطفال يحتاجون للتعليم، إلا انهم جميعا يستحقون رحمة وبركة الله وبركته. ومبدأ آخر هو تحري الحقيقة، ومعناه أن على كل إنسان عدم تقليد آبائه وأجداده تقليداً أعمى دون فهم، وعليه ان ينظر الى الأمور بعينيه ويسمعها بأذنيه ويتحقق منها بنفسه. ومبدأ آخر هو أن أساس الأديان واحد، هو الله، لذلك فدين الله واحد. ولقد نادى جميع الرسل السابقين بنفس الحقائق رغم اختلاف أسماء دياناتهم وكتبهم وشرائعهم، الا انها جميعا جاءت من الله. وآخر أن الدين يجب ان يكون سبب الألفة والمحبة والوفاق بين البشر. فاذا أصبح سبباً في الخلاف والكراهية وقاد الناس الى التفرق والقتال، فعدمه خير من وجوده. ومبدأ آخر هو اتفاق الدين والعلم، فاذا لم يتفق الدين مع العلم فهو خرافة وان لم يتفق العلم مع الدين فهو خطأ. ونادى بمساواة حقوق المرأة مع الرجل، وهذا مبدأ جديد يتناسب مع مراحل التطور الإنساني، ولقد فضلت جميع الديانات السابقة الرجل على المرأة بشكل أو بآخر. مبدأ آخر، نبذ التعصبات بجميع أشكالها، دينية، عرقية، وطنية أو سياسية، فالتعصبات تحطم أسس السلام في الأرض. لذلك على البشر ان ينزعوا عنهم لباس التعصب حتى يشاهدوا الحقيقة وهي ان البشر جميعهم عائلة واحدة وليست أحزاب وملل متفرقة. كما ان السلام العالمي وعد حق في الديانة البهائية، وسوف يتحقق بتطبيق مبادئها، ويعم السلام كل البشر وكل الحكومات والشعوب والأديان والأعراق وكل ملل الأرض. ولم يسبق ان وعد أحد الرسل بالسلام العالمي التام سابقاً. ودعت البهائية ايضا الى ضرورة التعليم والثقافة لكل انسان وضرورة تعلم البنت والصبي

معـاً. ووضـعت الحلـول الأساسـية للمشـكلة الاقتصـادية العالميـة، ولفتت الانتباه الى ان حل هذه المشكلة يكمن في الناحية الروحانيـة للبشر.

ومن أهم المبادئ الجديدة هو تأسيس وتعيين "مركز العهد". فقد عيّن بهاء الله ابنه عبد البهاء مركزا للعهد والميثـاق، ليقـوم مقامـه ويقود البهائيين من بعده. وبهذه الطريقة حافظ بهاءالله على البهائية من الاختلاف والتفرق الى ملل ومذاهب. وأغلـق البـاب تمامـا فـي وجه أي انشقاق في الديانة البهائية. ولإدامة الوحدة بين أتباعـه فقد خصّ مركز عهده (عبد البهاء) بتفسير وتوضيح تعاليمه.

هذه هي بعض مبادئ الباب وبهاء الله التي تختلف عن الـديانات السابقة. واليوم يعيش ملايين البهائيين في جميع دول العـالم تقريبـا في اتحاد تام تحت ظل خيمة نظـام عـالمي واحـد جديـد علـى أمـل مشاركة اخوانهم البشر في نشرها.

كتب بهاءالله قبل وفاتـه وصـيته الشـهيرة باسـم (كتـاب عهـدي) التـي عـيّن فيهـا ولـده عبـاس أفنـدي (عبـدالبهاء) ليكـون المفسـر والمبيّن الوحيد لآثاره وكتبه وآياته من بعده واشـترط علـى أتباعـه الانقياد له، فكانـت أول وثيقـة رسـمية فـي التـاريخ تكتـب بخـط يـد رسول وتختم بختمه الخاص لتحـافظ علـى وحـدة ديانـة إلهيـة منـذ ظهور الرسالات على الأرض.

استلم عبدالبهاء مهمتـه الجديـدة وقـاد بحكمـة إلهيـة بالغـة أتبـاع الدين الجديد واستطاع نشره فـي الـدول الغربيـة، فـآمن كثيـر مـن الناس بالديانة البهائية في أوربا وأمريكا والشرق الأقصى، وبـذلك نشر الأمر الجديد في كثير من دول العالم، ثم عززها بعد الإفـراج عنه من حبسه الشديد الذي استمر أكثر من خمسة وخمسـين عامـا، قضاها بين نفي وحبس وسـجن واعتقـال وتعـذيب مـن أول إعـلان والده دعوته السرية في سنة 1852م حتى سنة 1809م عنـد نجـاح

ثورة تركيا الفتاة وإعلانها إطلاق سراح جميع السجناء السياسيين والعقائديين، بسفره الى أوربا وأمريكا مرتين قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحذر الناس من خلال خطبه ورسائله في الكنائس والجوامع والجامعات والمجالس والأندية والمؤتمرات الخاصة والعامة من خطر اندلاع الحرب وشدة مآسيها، وانه لا سبيل للسلام بين شعوب الارض إلا بتطبيق المبادئ البهائية.

في سنة 1921م توفي عبدالبهاء في فلسطين ودفن فيها بعد 77 سنة قضاها في خدمة دين والده ليل نهار، بعد أن ترك مؤلفات عديدة باللغتين العربية والفارسية، منها "خطب عبد البهاء في أوربا وأمريكا"، "المفاوضات"، "الخطابات (عدة أجزاء)"، "الرسالة المدنية"، "مقالة سائح" في البابية والبهائية، ومجلدات عدة من الأدعية والمناجاة. وكما فعل والده وحفاظا على وحدة الدين الجديد، كتب وثيقة رسمية بخط يده وختمها بختمه الخاص، عيّن فيها سبطه شوقي أفندي المولود في سنة 1897م ولياً لأمر الدين الجديد من بعده. فاستلم شوقي أفندي شؤون الدين البهائي ونظم قوانينه وقننها وخصصها واستمر يدير شؤونها حتى سنة 1957م، بعد ان ترك بدوره عدة مؤلفات، منها "القرن البديع" و "الكشف عن المدنية الإلهية" و "التواقيع" (عدة أجزاء) وحوالي ثلاثين ألف رسالة.

في سنة 1963م وبعد مرور مائة سنة على إعلان أمر الدين البهائي في بغداد، قرر البهائيون في العالم وحسب وصايا رسولهم بهاءالله، انتخاب هيئة من بين جميع البهائيين في العالم لإدارة شؤون دينهم، فتم لهم ذلك وسميت هذه الهيئة كما وصفها بهاء الله في آثاره (بيت العدل الأعظم الإلهي) ومقرها اليوم مدينة حيفا في فلسطين، يخضع لإدارتها جميع البهائيين في العالم بدون استثناء، وبذلك ظهر للبشر لأول مرة دين موحد لم تجزئه المذاهب والأحزاب.

عندما كان بهاءالله سجيناً في عكاء، التقاه رجل من أهل الغرب يدعى البروفيسور ادوارد براون، وهو عالم ومستشرق إنكليزي واستاذ في جامعة كمبردج. كتب الأخير في وصف ذلك اللقاء، هذه السطور:-

(.. وهنا في البهجة مكثت ضيفا في وسط كل ما يعده البابيون مقدسا وشريفا وهنا صرفت خمسة أيام تذكارية تمتعت في أثنائها من الفرص الثمينة التي لا مثيل لها والتي كنت كثير الشوق لاغتنامها حيث تحادثت مع الذين هم معتبرون منبع هذه الروح العجيبة التي تعمل بقوة لا حد لها في تغيير واحياء الأقوام الذين هم في نومهم أشبه بالأموات. ولقد كانت تجربة مؤثرة حقاً تلك الفرصة التي أتاحت لي المقابلة التي لا أقدر ان أصفها الا بقدر مقدور وربما أجتهد فيما بعد أن أصف تفصيل تلك الأحوال والأوضاع والوجوه التي أحاطتني والمحادثات التي كان لي الحظ باستماعها وقراءة الكتب المقدسة بالنغمات والترتيل وبالجملة أحوال المحبة والرضا التي أحاطت بالمجلس. والحدائق الغناء التي لجأنا اليها في عصر بعض الأيام وكل هذا لم يكن شيئا مذكورا في جانب الجو الروحاني الذي أحاطني. ويذكر لك المسلمون الإيرانيون ان البابيين يسحرون ضيوفهم حتى انهم من تأثير ذلك السحر لا يمكنهم المقاومة فيصبحون مثلهم منجذبين وذلك مما يسميه هؤلاء المسلمون بالجنون الغريب الغير المعقول. ومع ان مثل هذا النظر سخيف وقول هراء فانه مع ذلك يستند على سبب أقوى مما يظنون فان الروح التي تحيط بالبابيين هي مما لا يمكن ان يفلت من تأثيرها جميع الذين يقعون تحت أنظارها. فهي إما تخيف او تجذب ولا يمكن لأي كان ان يتجاهل وجودها فليكذبني كل من لم يشاهد الأمر بعينه ولكن اذا ظهرت مرة هذه الروح لهم فانهم يشعرون بإحساس لا يقدرون على تناسيه).[1]

1 من مقدمة لكتاب مقالة سائح ا. ج. براون – صفحة 38-39.

(... انتظر دليلي لحظة من الزمن ريثما خلعت حذائي، وبحركة سريعة من يده سحب ستارة، وبمروري من الباب أعادها، فوجدت نفسي في غرفة كبيرة، في صدرها امتدت أريكة منخفضة، ووضع في مقابل الباب كرسيان او ثلاثة كراسي. وإني وإن كنت متصورا تصورا مبهما المكان الذي أنا ذاهب اليه، ومن أنا قادم لرؤيته، إذ لم تعطَ لي إيماءة واضحة حول ذلك، الا انه قد مرت ثانية او ثانيتان من الزمن، وأخذتني الرهبة والذهول، قبل ان اعرف معرفة تامة بوجود من فيها، وحانت مني التفاتة الى الركن. وحيث تلتقي الأريكة بالجدار، كان يجلس هيكل عظيم، تعلوه المهابة والوقار، وتتوج رأسه قلنسوة من الصوف، من النوع المسمى عند الدراويش بـ "التاج" تمتاز بطولها، وحول اسفل "التاج" عمامة بيضاء صغيرة).

(... وإنما الوجه الذي رأيته، لا أنساه ولا يمكنني وصفه، مع تلك العيون البراقة النافذة التي تقرأ روح الشخص. وتعلو جبينه الوضاح العريض القدرة والجلال، بينما أسارير وجهه وجبهته تنم عن عمر لا يصدقه الشعر الأسود القاتم، مع لحية كانت تتماوج بوفرة مألوفة لغاية وسطه، فلم أكُ إذ ذاك في حاجة للسؤال عن الشخص الذي امتثلت في حضوره، ووجدت نفسي منحنيا، أمام من هو محط الولاء والمحبة التي يحسده عليها الملوك، وتتحسر لنوالها عبثا الأباطرة! وسمعت صوتا هادئا جليلا يأمرني بالجلوس، ثم استمر يقول:

(الحمد لله إذ وصلت... جئت لترى مسجونا ومنفياً... نحن لا نريد الا إصلاح العالم وسعادة الأمم، وهم مع ذلك يعتبروننا مثيرين للفتنة والعصيان ومستحقين للحبس والنفي... فأي ضرر في ان يتحد العالم على دين واحد وان يكون الجميع إخوانا، وان تستحكم روابط المحبة والاتحاد بين بني البشر، وان تزول الاختلافات الدينية وتمحى الاختلافات العرقية؟... ولا بد من

حصول هذا كله، فستنقضي هذه الحروب المدمرة والمشاحنات العقيمة، وسيأتي "الصلح الأعظم"... ألستم تحتاجون الى ذلك في أوروبا أيضا؟ أليس ذلك ما تنبأ به السيد المسيح؟... ومع ذلك فإنا نرى ملوككم وحكامكم ينفقون خزائنهم على وسائل تدمير الجنس البشري، بدلا من إنفاقها على ما يؤدي الى سعادته،... ولا بد من زوال هذه المشاحنات والبغضاء وهذا السفك للدماء وهذا الاختلاف، حتى يكون جميع الناس جنسا واحدا وأسرة واحدة... فلا يفتخر الإنسان انه يحب وطنه، بل يفتخر بأنه يحب جنسه...).

هذه كانت على ما أتذكر بعض الكلمات التي سمعتها من بهاءالله مع غيرها من الكلمات، فلينظر الذين يقرأونها، وليحكموا بأنفسهم هل هذه الآراء تستحق القتل والسجن؟ وهل ينتفع العالم بانتشارها أم يخسر؟".[1]

1 منتخبات من كتاب "بهاءالله والعصر الجديد" مقدمة لدراسة الدين البهائي تأليف الدكتور جون اسلمنت صفحة 56 - مترجم من مقدمة كتاب مقاله سائح.

الملحق السادس

مقتطفات من أشعر قرّة العين

للطاهرة (قرّة العين) دواوين شعرية كثيرة مشهورة باللغتين العربية والفارسية، هذا بالإضافة الى ما فقد وأحرق وضاع منها، حيث أحرقت مكتبتها الخاصة بكل محتوياتها، ولم يتبق منها إلا ما سبق واحتفظ به بعض الأصدقاء والأقرباء من محبي شعرها. ولعدم وجود ضرورة لاقتباس الكثير من أشعارها باللغة الفارسية للقارئ العربي، ولندرة شعرها باللغة العربية في الوطن العربي، اكتفينا ببعض ما وقع بين أيدينا من قصائدها الفارسية للإشارة الى قدراتها الشعرية. ومن يود الاطلاع على المزيد من أشعارها باللغتين العربية والفارسية، عليه مراجعة كتاب "جهار رسالة تاريخي" در باره / طاهره (قرّة العين) بقلم أبو القاسم أفنان. وكذلك كتاب "خوشه هائه از خر من ادب وهنر" دوره طاهره/دار النشر في لندك سويسرا.

مقتطفات من أشعار الطاهرة

قطعـة

من قصيدة باللغة الفارسية لها أيضا :

اى خفته رسيد يـار برخيـز *از خود بنشان غبـار برخيز
هين بر سر مهر ولطف آمـد * اى عاشـق زار يـار برخيز
آمـد بر تـو طبيب غمخوار * اى خسته دل نزار برخيـز
اى آنكه خمار يـار دارىآمد * مى غمكســـار برخيـز
اى آنكه بـه هجـر مبتلائى * شد موسم وصل يـار برخيز

اى آنكه خزان فسرده كردت * اينك آمـد بهـار برخيـز
هان سال نو وحيات تازه است * اى مـرده لاش بار بـرخيز

قطعة

يا نديمي قُم فان الديك صـاح * غَنِّ لي بيتاً ونـاول كاس راح
لست اصبر عن حبيبي لحظـة * هل اليه نظرة مني تبـــاح
بذل روحي في هواه هيـــن * تجمد القوم السرى عند الصباح
قاتلتني لحظه من غير سـيف * اسكرتني عينه مـن دون راح
قد كفتني نظرة مني اليـــه * من بهائي في غداة في رواح
هام قلبي في هواه كيف هـام * راح روحي في قفاه اين راح
لم يفارقني خيـــال منه قـط * لم يزل هو في فؤادي لا يراح
ان يشاء يحرق فؤادي في النوى * او يشاء يقتل لـه قتلي مبـاح

هـــو

كـربتو افتـــدم نظـر * جهره بجهره روبرو
شـــرح دهم غـــمِ تـرا * نكته بـه نكته مـو بمـو
از بي ديـــدنِ رخـــت * همجـو صبـا فتـاده ام
خانه بخـــانه در بـدر * كوجه بـــه كوجه كو بكـو
ميـــرود از فراقِ تـــو * خـونِ دل از دو ديـده ام

دجلــه بدجله یم به یــم * جشمه به جشمه جو بجـو
دورِ دهــانِ تنـكِ تـو * عارضِ عنبــرین خطت
غنجه بــه غنجه کل به کل * لالـه به لاله بـو به بـو
ابرو و جشـمِ و خالِ تــو * صید نمـــوده مرغِ دل
طبــع بطبـع و دل بـدل * مهر بمهر و خـــو بخو
مهــرِ ترا دلِ حزیــن * بافته بر قمـــاش جان
رشته بـه رشته نخ به نـخ * تار به تار بـو بـه بــو
در دلِ خـویـش طـاهره * کشت وندید جز تـــورا
صفحـه بـه صفحـه لا بـه لا * برده به برده تـو بـه تـو

ولها أيضا :

حبـذا ای بهجـت فا حبـذا * حبذا ای نزهت طا حبـذا
مرحبا ای رشــحه قطر بدیع * در تلئلؤ از مرایا مرحبـا
جون بیامد مر حبایت از عمـا * خواستی از هاء بابهی مرحبا
جملـه ذرات هوش او معیـن * یافتی آن کنز اخفـی مرحبا
نازل آمـد از خداوند جلیـل * جوهری لا مثل مرآ مرحبا
هـان بکیر أین منظر با استتار * ان درخشان وجهت فا مرحبا
باش با مـا در تغرد ای حبیب * تا بیابی سـر ابقا مرحبـا

ملاحظة:

جمعت قصائد وأشعار الطاهرة هذه من كتابي:-
1 – "الطاهرة قرة العين" للكاتب حسام نقبائي باللغة الفارسية.
2 – "أربع رسائل تاريخية بخصوص الطاهرة" قرة العين، لأبو القاسم أفنان باللغة الفارسية.

مصادر الكتاب

1 – كتاب "السيد علي محمد الباب" – ا. ل. م. نقولاس (مكتبة كريتيك شارع نوتردام دي لوريت باريس سنة 1908).
2 – كتاب "ديانة الباب" ـ المسيو كليمان هوارت (مكتبة ارتست لرو شارع بونابرت باريس سنة 1889).
3 – "المجلة الآسيوية الملوكية" سنة 1889 المقالة 6 و 12، وكذلك سنة 1892 المقالة 7-9-13).
4 – كتاب "نظرة عامة في تاريخ ايران" – كلمنت ر. ماركهام – طبع لونجمان جرين وشركاه لندن سنة 1874.
5 – كتاب "الفلسفة والأديان في آسيا الوسطى" – الكونت دي جوبينو (مطبعة ج. كري وشركاه باريس شارع سيفر سنة 1928).
6 – كتاب "تاريخ ايران" – اللوتنت كولونيل ب. م. سايكس – جزئين طبع ماكملان وشركاه لندن سنة 1915.
7 – كتاب "ايران والمسألة الايرانية" – اللورد كرزون (جزءان) مطبعة لونجمان جرين لندن سنة 1892.
8 – كتاب "التاريخ الجديد" – لميرزا حسين من همدان ترجمة من الفارسية ا. ج. براون (طبع مطبعة الجامعة كامبردج سنة 1893).
9 – كتاب "مقالة سائح" – ترجم من الفارسية بمعرفة ا. ج. براون (مطبعة الجامعة كامبردج سنة 1891).
10 – كتاب "الدين المقارن" د. ج. استلين كاربنتر.

11 – كتاب "تاريخ وتعاليم عباس أفندي" م. هز فيلبس (طبع ج. ب. بوتمان وأولاده لندن سنة 1912).
12 – كتاب "البابية" م. ج. بالتو (خطابة للمسيو م. ج. بالتو فخري في الأكاديمية الملية للريمس بتاريخ 22 مايو سنة 1896).
13 – كتاب "لمحات في حياة وعوائد الفرس" الليدي شيل (طبع جون ماري شارع البمارل لندن سنة 1856).
14 – كتاب "اتحاد الأديان والأقوام" د. ت. ك. جين (طبع آدم وشارل بلاك سنة 1914).
15 – كتاب "مستندات لدراسة الديانة البابية" ا. ج. براون (مطبعة الجامعة كامبردج سنة 1918).
16 – مقالة بعنوان "البابيون في ايران" ا. ج. براون.
17 – كتاب "اللمحة" د. سير فرانسس يونج هازبند (طبع جون مرى شارع البمادل لندن سنة 1923).

18 – كتاب "المسألة الشرقية الوسطى" فالنتين شيرول.
19 – كتاب "الأنبياء" رنان.
20 – مذكرات ومخطوطات ميرزا أبو الفضل – مخطوطات يدوية لم تطبع.
21 – كتاب "البيان الفارسي" ترجم من الفارسية بمعرفة ا. ل. م. نقولاس 4 أجزاء (مكتبة بول جوتنر شارع مازارين باريس سنة 1911-1914).
22 – كتاب خطي خاص بشهداء ايران – مترجم عن الفارسية.
23 – كتاب "مطالع الأنوار" (تاريخ النبيل) – نبيل زرندي – طبعة القاهرة – ترجمه الى العربية – عبد الجليل بك سعد سنة 1940.
24 – كتاب "تاريخ ميرزا جاني" – مترجم عن الفارسية.
25 – كتاب "كشف الغطاء" – لأبي الفضل، مترجم عن الفارسية (طبع عشق آباد روسيا).
26 – كتاب "الطاهرة أعظم امرأة ايرانية" – مارثا روت – طبع الهند باللغة الانجليزية – ترجمة مؤلف هذا الكتاب.
27 – كتاب "تذكرة الوفاء" عبد البهاء (عباس أفندي) مترجم عن الانجليزية.
28 – "الرسالة الأمرية" – محمد مصطفى بغدادي – عربي (مطبعة السعادة القاهرة مصر).
29 – كتاب "بهاء الله والعصر الجديد" د. اسلمنت – مترجم عربي (لجنة الطبع البهائية نيويورك) سنة 1927.

30 – كتاب "القرن البديع" – شوقي أفندي رباني – عربي نيسان 1986 من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل.
31 – كتاب "مقالة سائح في البابية والبهائية" عبد البهاء (عباس أفندي) ترجمه للعربية محمد حسين بيجاره سنة 1923.
32 – "رسالة أديب" – مترجمة عن الفارسية.
33 – رسالة سمندر – مترجمة عن الفارسية.
34 – جريدة جازيت طهران.
35 – كتاب "المنجد في اللغة والأعلام" بيروت 1960.
36 – كتاب "جهار رساله تاريخى در بارءه طاهره" (قرّة العين) – بقلم أبو القاسم أفنان – طبع سنة 1991 – مترجم عن الفارسية.
37 – كتاب "الطاهرة" (قرّة العين) تأليف حسام نقبائى – مؤسسة ملي مطبوعات أمري – مترجم عن الفارسية – مؤسسة ملي مطبوعات أمري سنة 1972.
38 – كتاب "قيوم الأسماء" (تفسير سورة يوسف) للباب.
39 – كتاب "ايران نظرة أدبية وتاريخية"، جيمس دار مستتر، ترجمة ج. ك. ناريمان.
40 – كتاب "ناسخ التواريخ" (عدد القاجارية) لميرزا تقي مستوفى لسان الملك المشهور بسبهر (طبع حجر في طهران).
41 – "المجلة الآسيوية" سنة 1866 السلسلة السادسة جزء 7 و 8 (في الباب والبابية تأليف كاظك بك).
42 – "تاريخ حاجي معين السلطنة" مخطوطة.
43 – ومصادر عديدة أخرى.

انتهى

سيفي سيفي النعيمي